جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـامـعـة ميسان/ كلية التربية
قسم اللغة العربية

استراتيجيات الخطاب في مقدّمات دواوين شعراء التّفعيلة العراقيّين وبياناتهم وتجاربهم الشّعرية

رسالة تتقدَّم بها الطالبة

بتول منعم فاضل محمد

إلـــــــــــــى

مجلس كلية التربية - جامعة ميسان

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ. د. خالد محمد صالح كرم

University of Misan
2007

١٤٤٣هـ **٢٠٢١م**

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ربِّ السَّماواتِ والأرضِ وما بينهما

الرَّحمنِ لا يَملِكونَ مِنهُ خِطابا ﴾

صدق الله العلي العظيم

(النبأ: ٣٧)

الإهـــــداء

إلى من قرن الله تعالى عبادته برضاهما ... أبي، وأمي

إلى رفيق دربي في كلّ خطوة... وسندي في الحياة.. زوجي الدكتور علي

إلى ابنتي الغاليتين ... فاطمة ورهف

إلى من شددت بهم أزري ... أخوتي.. أخواتي

الباحثة

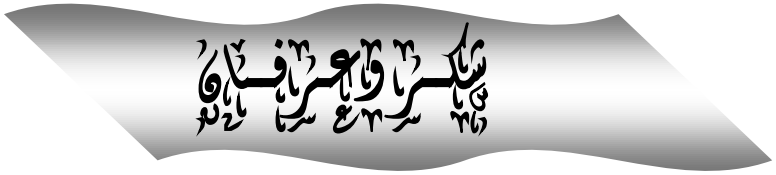

الحمـــد لله حمد الشاكرين ... حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه ...

الشـكر الجزيل للمشرف الأستاذ الدكتور خالد محمد صالح، الذي كـــان لي عونا من خلال توجيهاته ونصائحه ... فجزاه الله عني خير الجزاء وأن يتولى شكره ويرفع قدره.

والشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الكريمة على تفضلهم بمناقشة هذا العمل وتقويمه.

إقــرار المشـــــــرف

أَشهد أنَّ هذه الرسالة الموسومة بـــــ(استراتيجيات الخطاب في مقدّمات دواوين شـــعراء التّفعيلة العراقيّين وبياناتهم وتجاربهم الشّـــعرية) التي قدمتها طالبة الماجســتير(بتول منعم فاضــل محمد)، قد أُعدت بإشــرافي في كلية التربية، جامعة ميســان وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجســتير في اللغة العربية وآدبها.

الإمضاء:

الاسم: أ. د. خالد محمد صالح
جامعة ميسان/ كلية التربية
التاريخ: / / ٢٠٢١

بنـــاءً علـــى التوصـــيات والشـــروط المتـــوافرة، أُرشـــح هـــذه الرســـالة للمناقشة.

الإمضاء:

الاسم: أ.م.د. علي عبد الرحيم كريم
رئيس قسم اللغة العربية/كلية التربية
التاريخ: / /٢٠٢١م

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أنّنا، اطّلعنا على هذه الرسالة الموسومة **بـ(استراتيجيات الخطاب في مقدّمات دواوين شعراء التّفعيلة العراقيّين وبياناتهم وتجاربهم الشّعرية)** وقد ناقشنا الطالبة **(بتول منعم فاضل محمد)** في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، ووجدنا أنّها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في **اللغة العربية وآدابها.**

الإمضاء:

الاسم: ا.د علي هاشم طلاب

رئيس اللجنة

الإمضاء:

الاسم: ا.د خالد محمد صالح

عضواً ومشرفاً

الإمضاء:

الاسم: ا.د كاظم عبد فريح

عضواً

الإمضاء:

الاسم: ا.م.د حازم فاضل محمد

عضواً

صدّقها مجلس كلية التربية / جامعة ميسان.

الإمضاء:
أ.د. هاشم داخل حسين
عميد كلية التربية
/ /٢٠٢١م

فهرس المحتـــويـــات

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	أ- ز
الفصل الأول: استراتيجيات الخطاب من المفاهيم إلى الإجراءات	١-٣٦
المبحث الاول :ـ الخطاب: خصائصه وتحقّقها	١-٩
المبحث الثاني:ـ الاستراتيجيات: سماتها ووظائفها	٩-٢٥
المبحث الثالث:ـ المقدّمات والبيانات والتّجارب الشّعرية: موقعها في الخطاب وتمثّلها في استراتيجياته	٢٦-٣٦
الفصل الثّاني : مواضعات الاستراتيجية التّوجيهية ومنزلتها في الخطاب وعلاقتها باستراتيجيّاته	٣٧-٦٥
المبحث الاول: العوامل المؤثرة في اختيار الاستراتيجية	٣٧-٤٥
المبحث الثاني : آليات المرسل ومقاصدهُ وعلاقتُه بالمرسل إليه	٤٥- ٥٧
المبحث الثالث: الأساليب اللغوية وغير اللغوية	٥٧-٦٥
الفصل الثالث : آليات الاستراتيجية التضامنية ومسوّغات حضورها في الخطاب	٦٦-٨٦
المبحث الاول: مسوّغات التضامن وعلاقته باستراتيجيات الخطاب	٦٦-٧٤
المبحث الثاني: قواعد الاستراتيجية التضامنية والعناصر المتحكمة فيها	٧٤-٧٨
المبحث الثالث: مكوّنات الاستراتيجية التضامنية بين اللغوية وغيرها	٧٨-٨٦

الفصل الرابع: بنية الاستراتيجية الإقناعية وتشكّلها	٨٧-١١٧
المبحث الاول: أصناف الإقناع وعلاقتها باستراتيجيات الخطاب	٨٧-٩٧
المبحث الثاني: أدوات الاستراتيجية الإقناعية وعلاماتها	٩٧-١٠٩
المبحث الثالث: مندرجات خطاب الاستراتيجية الاقناعية في النص وخارجه	١٠٩-١١٧
الخاتمة ونتائج البحث	١١٨-١٢٢
المصادر والمراجع	١٢٣-١٣٤
الملخص باللغة الإنكليزية	A

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Maysan / Faculty of Education

Department of Arabic

DISCOURSE STRATEGIES IN THE INTRODUCTIONS TO POETRY & STATEMENT BY GREATEST CONTEMPORARY IRAQI POETS

By

Batool Muneam Fadhil Al-Jber

A thesis submitted to to the council of the faclty of Education /Maysan University in Partial Fulfilment of the Requirements for the Degree of master of Arts in Arabic language and Literature

Supervised by

Prof. Dr. Khalid Muhammed Saleh

2021A.D *1443 A.H*

Abstract

This research came to apply a tool of pragmatics, which is a very important "Discourse Strategy", on the selected boundaries from the introductions to poetry & statement by greatest contemporary Iraqi poets. We came with the meaning of strategy in the discourse and its types. Whereas, practically, we had dealt with every strategy according to its appropriate text, such as the boundaries which brought the directions and the instructions and so on.

These boundaries had been fragmented by the instructed strategy whereas that latter belonged to literary scenes which were fragmented by the insinuation which was its door. That means the good use of the word with its other pragmatic meaning which shows some relation. Finally, we presented the important results which we had come with after tracing this scientific distance that had been under analytic descriptive method.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

أولا: المراجع العربية والمترجمة

❖ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٨م.

❖ أساطير، بدر شاكر السياب، النجف: منشورات دار البيان، مطبعة الغري الحديثة، ١٩٥٠م.

❖ أساليب الشعرية المعاصرة، صلاح فضل، بيروت: دار الآداب، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

❖ استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي الشهري، بيروت– لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

❖ استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (مقاربة تداولية)، باسم خيري خضير، كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة – مؤسسة علوم نهج البلاغة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

❖ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة رقم (٩)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٧٨م.

❖ الأعمال الشعرية، عبد الرزاق عبد الواحد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٠م.

❖ إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، د. محمد الباردي، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.

❖ أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث، فؤاد القرقوري، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٨م.

❖ بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، القاهرة: الشركة العالمية للنشر (لونجمان)، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
❖ البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحِجاج)، عبد الله صولة، ضمن: الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٠م.
❖ تحليل الخطاب، براين بالتريدج، ترجمة: عبد الرحمن بن عبد الله الفهد، الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٨ م.
❖ تحليل الخطاب، ج.ب. براون، وج. يول، ترجمة: محمد لطفي الزليطني، ومنير التريكي، الرياض: النشر العلمي والمطابع–جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م.
❖ التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
❖ تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، حسام أحمد قاسم، القاهرة: دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
❖ تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، محمود طلحة، إربد–الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م.
❖ التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس، د. محمد الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ١٩٩٨م.
❖ التداولية، جورج يول، ترجمة: الدكتور قصي العتابي، الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
❖ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.
❖ الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، بيروت: دار الفارابي للنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

❖ الحجاج في اللغة، أبو بكر العزاوي، المغرب: دار الأحمدية، ٢٠٠٦م.
❖ الحجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع، د. حمدي منصور جودي، عمّان: مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٨م.
❖ الحجاج والاستدلال الحجاجي، الحبيب أعراب، ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف: حافظ إسماعيل علوي، ج١، إربد الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م.
❖ الحجاج وتوجيه الخطاب، باسم خيري، العراق: دار نيبور، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
❖ الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه، عبد الله صولة، ضمن: أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، تونس، كلية الآداب بمنوبة، ١٩٩٩م.
❖ الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، نبيل منصر، الدار البيضاء–المغرب: دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
❖ الخطاب، سارة ميلز، ترجمة: عبد الوهاب علوب، القاهرة: المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
❖ دراسات في الشعر والمسرح، محمد مصطفى بدوي، القاهرة: دار المعرفة، ١٩٦٠م.
❖ ديوان نازك الملائكة، نازك الملائكة، المجلد الثاني، بيروت: دار العودة، ١٩٩٧م.
❖ زحام الخطابات، عبد الله العشي، تيزي وزو–الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
❖ سايكلوجية الشعر ومقالات أخرى، نازك الملائكة، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٣م.

❖ الشعر العربي الحديث وروح العصر، جليل كمال الدين، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤ م.
❖ شعرية النص الموازي، جميل حمداوي، الرباط: منشورات المعارف، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
❖ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دمشق: دار القلم، الطبعة السادسة، ٢٠٠٢م.
❖ عتبات الكتابة (مقاربة لميثاق المحكي العربي)، عبد النبي ذاكر، دار وليلي: المغرب، ط١، ١٩٩٨ م.
❖ عتبات النص البنية والدلالة، عبد الفتاح الحجمري، منشورات الرابطة، الدار البيضاء: المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.
❖ علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: د. مالك يوسف المطلبي، بغداد: دار آفاق عربية، ١٩٨٥م.
❖ علم اللغة المعاصر: نظرية وتطبيقا، توفيق عزيز عبد الله البزاز، دار زهران، عمان، ٢٠٢١م.
❖ في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمان، الدار البيضاء–بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
❖ في المعنى (دراسات سيميائية)، أ.ج. غريماس، تعريب: نجيب غزاوي، اللاذقية: مطبعة الحداد، ٢٠٠٠م.
❖ في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
❖ قضايا الشعرية، رومان ياكوبسن، ترجمة: محمد الولي، مبارك حنون، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
❖ كتاب السياب النثري، جمع وإعداد وتقديم: حسن الغرفي، فاس: منشورات مجلة الجواهر، ١٩٨٦م.

❖ لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
❖ لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،١٩٨٨ م.
❖ اللغة والخطاب، عمر أوكان، المغرب: إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
❖ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرّحمن، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦،
❖ ما الخطاب؟ وكيف نحلله؟،عبد الواسع الحميري، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.
❖ مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ترجمة: عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، المغرب: دار أفريقيا الشرق، ٢٠١٣م.
❖ المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة، شوقي المصطفى، الدار البيضاء: دار الثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
❖ مدخل إلى السيميائيات السردية، سعيد بنكراد، الجزائر: منشورات الاختلاف، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣ م.
❖ المشيرات المقامية في اللغة العربية، نرجس باديس، منوبة– تونس: مركز النشر الجامعي، ١٩٩٩م.
❖ المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
❖ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، د. سعيد علوش، بيروت–لبنان: دار الكتاب اللبناني، والمغرب–الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

❖ معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، تونس: دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، ٢٠٠٨
❖ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٨م.
❖ المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، الرباط: مركز الإنماء القومي، ١٩٨٧م.
❖ مقاربة الخطاب المقدماتي الروائي(مقدمة حديث عيسى بن هشام، وإنشاء الرواية العربية)، السعدية الشاذلي، سلسلة الأطروحات والرسائل رقم ٦، مطبعة المعارف الجديدة: الرباط، ١٩٩٨م.
❖ مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي، حسن محمد وجيه، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، العدد: ١٩٠، أكتوبر ١٩٩٤.
❖ مقدمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، ترجمة وتقديم: دكتور عز الدين إسماعيل، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
❖ الموسوعة العسكرية، هيثم الأيوبي وآخرون، ج١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١.
❖ ميشيل فوكو مسيرة فلسفية، أوبير دريفوس وبول رابينوف، ترجمة: جورج أبي صالح، مراجعة وشرح: مطاع صفدي، بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٩٠م.
❖ النص بنياته ووظائفه، (مدخل أولي إلى علم النص، ضمن نظرية الأدب في القرن العشرين)، ترجمة: محمد العمري، المغرب: إفريقيا الشرق، ١٩٩٦م.
❖ النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،٢٠١٤م.
❖ النّظريّة البراجماتيّة اللّسانيّة، محمود عكاشة، القاهرة: مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

❖ نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن: أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، تونس، كلية الآداب بمنوبة، ١٩٩٩م.
❖ نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، صلاح إسماعيل، القاهرة: الدار المصرية السعودية، ٢٠٠٥م.
❖ النقد الأدبي الحديث (مصادره الأولى تطور فلسفاته الجمالية ومذاهبه)، القاهرة: دار ومطابع الشعب، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م.
❖ النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
❖ الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا، مقارنة أسلوبية حجاجية، عبد الله البهلول، بيروت– لبنان: مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
❖ الوظائف التداولية في اللغة العربية، د. أحمد المتوكل، الدار البيضاء– المغرب: دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
❖ الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل (في نظرية النحو الوظيفي)، يوسف تغزاوي، إربد: عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
❖ الوظيفية بين الكليّة والنّمطيّة، أحمد المتوكل، الرباط: دار الأمان للنشر والتّوزيع، ٢٠٠٣م.

ثانيا: ـ الدوريات

❖ الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية: المغرب، المجلد: ٨، العدد: (١٥/٢)، ١٤٣٥هـ–٢٠١٤م.

❖ إلى الأستاذ رئيف خوري (بيان)، بدر شاكر السياب، مجلة الآداب، بيروت، العدد: ٦، يونيو ١٩٥٥م.
❖ تجربتي الشعرية، عبد الوهاب البياتي، مجلة الآداب، بيروت، العدد: ٣، مارس، ١٩٦٦.
❖ تحليل الخطاب المقدماتي، مقدمة مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري أنموذجا، ليلى محمد بايزيد، مجلة الأثر: السعودية، العدد: ٢٧، ديسمبر ٢٠١٦م.
❖ تحليل الخطاب من المدرسة البنيوية إلى المنهج التداولي، محمد حوله، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ: الجزائر، العدد: ٩، ديسمبر ٢٠١٤م.
❖ تقديم السياب لمختارات شعرية، ضمن أخبار وقضايا، مجلة شعر: لبنان، العدد: ٣، ١ يونيو ١٩٥٧م.
❖ الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، حبيب أعراب، مجلة عالم الفكر: الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد: ٣٠، العدد:١، سبتمبر ٢٠٠١م.
❖ خصوصيات التأسيس اللساني التلفظي عند "بنفنست"، مسكين دايري، مجلة سيميائيات: الجزائر، المجلد ٣، العدد ٣، سبتمبر، ٢٠١٠م.
❖ الدَّرْس الحِجاجيّ في نظريّة تحليل الخطاب: دراسة تطبيقيّة في سورة يوسف من خلال تفسير ابن عاشور، خالد حسين دلكي، أحمد محمّد أبو دلو، مجلة المنارة، المجلد: ٢١، العدد: ٣، ٢٠١٥م.
❖ الذاتية في اللغة، إميل بنفنيست، ترجمة: حميد سمير وعمر حلي، مجلة نوافذ: المغرب، العدد ٩، سبتمبر ١٩٩٩م.
❖ رسالة إلى الشاعر العربي الناشئ، نازك الملائكة، مجلة الأقلام: العراق، العدد: ١، ١٩٦٤.

❖ رؤية المقالح النقدية في مقدمات دواوين الشعر المعاصر، أحمد قاسم علي أسحم، مجلة الباحث الجامعي، جامعة إب: اليمن، العدد: ١٧، ٢٠٠٨م.
❖ سياق الحال في الاتجاهِ الوظيفيِّ (مايكل هاليداي "أنموذجا")، م.د. أحمد كاظم عمّاش، م.د. رياض حمود حاتم، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد: ٢٩، تشرين الأول، ٢٠١٦.
❖ عبد الوهاب البياتي المبشر بالشعر الحديث، نهاد التكرلي، مجلة الأديب: بيروت، العدد: ١٢، ديسمبر ١٩٥٣م.
❖ عتبة النص: قراءة في مقدمات دواوين شعرية، ياسر جلال شعبان محمد، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط: مصر، العدد: ٣٧، المجلد: ٢، ٢٠١٨م.
❖ فاعلية البيانات الشعرية في بناء حداثة الخطاب الشعري (بيان نازك الملائكة وأدونيس أنموذجا)، فريدة آيت حمدوش، مجلة أبحاث: الجزائر، العدد: ٦، ديسمبر ٢٠١٨م.
❖ قضايا الشعر في مقدمات دواوين مدرسة الديوان، خالد طلعت عبد الفتاح الخولي، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا: مصر، العدد: ٢٦، المجلد: ١، ٢٠١٣م.
❖ مزالق النقد المعاصر، نازك الملائكة، مجلة الأديب: بيروت، العدد: ٥، مايو ١٩٥٣م.
❖ مصطلح الشعر في مقدمات دواوين عبد الرحمن شكري، محمد الصديق معوش، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة: الجزائر، العدد: ٢٥، ٢٠١٦م.
❖ مفهوم الحجاج عند "بيرلمان" وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد محمد الأمين، مجلة عالم الفكر: الكويت، المجلد:٢٨، العدد:٣، ٢٠٠٠م.
❖ مفهوم تحليل الخطاب عند زيليغ هاريس، د. فريدة موساوي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب: الجزائر، المجلد ٨، العدد ٤، ٢٠١٩م.

❖ مقاربة المصاحبات النصية في دواوين جيل التسعينيات الجزائري: الهوامش والمقدمات أنموذجا، مريم حكوم، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بو علي الشلف – مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب: الجزائر، المجلد: ٦، العدد: ٣، ٢٠٢٠م.
❖ مقدمات الدواوين الشعرية بين السجال النقدي وخطاب التعاقد العاطفي، محمد بن عياد، مجلة آفاق أدبية، العدد: ١٠، ٢٠١٨م.
❖ مقدمات الشعراء الإحيائيين لدواوينهم في الربع الأول من القرن العشرين: دراسة نقدية، أحمد بن صالح الطامي، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها: السعودية، المجلد: ١٨، العدد: ٣٦، ٢٠٠٦م.
❖ المقدمة: التأصيل النظري بين الوعي الغربي والتراث العربي، د. نصيرة لكحل، مجلة جسور المعرفة: الجزائر، المجلد: ٧، العدد: ٢، جوان ٢٠٢١م.
❖ نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، أبو بكر العزاوي، مجلة المناظرة: المغرب، العدد:٤، السنة الثانية، ١٩٩١م.
❖ النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد، مجلة فصول: مصر، الهيئة المصرية للكتاب، العدد: ٦٠، ٢٠٠٢.
❖ النص الموازي آفاق المعنى خارج النص، أحمد المنادي، مجلة علامات: السعودية، الجزء: ٦١، المجلد: ١٦، جمادي الاول ١٤٢٨ هـ، مايو ٢٠٠٧.
❖ نظرية الحِجاج اللغويّ عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر، جايلي عمر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب: الجزائر، العدد: ٣، ٢٠١٨م.
❖ النقد في مقدمات الدواوين الشعرية من الشدياق إلى العقاد، د. حسن أحمد الأشلم، مجلة البحوث الأكاديمية، جامعة مصراتة: ليبيا، العدد: ٣، ٢٠٠٢م.
❖ وظائف الخطاب التقديمي وأبعاده الدلالية في ديوان "الكتابة بالنار"، لعثمان لوصيف دراسة في المصاحب النصي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ب/قسم الآداب واللغات: الجزائر، العدد: ٢٠، جوان ٢٠١٨م.

ثالثا: الرسائل والأطاريح الجامعية

- ❖ استراتيجيات الخطاب القرآني سورة آل عمران أنموذجا، مقاربة لغوية تداولية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، التخصص: المعجمية وقضايا الدلالة، جيلي هدية، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الأمين دباغين – سطيف ٢: الجزائر، ٢٠١٦-٢٠١٧م.
- ❖ استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، دليلة قسمية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص: لسانيات الخطاب، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر-باتنة: الجزائر، السنة الجامعية ٢٠١١-٢٠١٢م.
- ❖ الاستراتيجية التضامنية في سورة طه: دراسة تداولية، خديجة رحومة، وكوثر شكيمة، ونور الهدى بته، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص: لسانيات عامة، كلية الآداب واللغات، جامعة الّشهيد حمّه لخضر- الوادي، الجزائر، ٢٠١٩-٢٠٢٠م.
- ❖ التجربة الشعرية الحديثة عند نازك الملائكة (ديوان شظايا ورماد أنموذجا)، سميرة بوكرمة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في ميدان اللغة والأدب العربي، مسار: ادب عربي حديث، قسم اللغة والأدب العربي، كلية اللغات والآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي-الجزائر، ٢٠١٢م.
- ❖ تحليل استراتيجية خطابات رئيس الجمهورية خلال نهاية العهدة الثالثة، ريغي أسماء، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه نظام جديد في علوم الإعلام والاتصال، تخصص اللغة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم: الجزائر، ٢٠١٦-٢٠١٧م.

❖ الرؤيا الشعرية في بيانات عبد الوهاب البياتي (تجربتي الشعرية أنموذجا)، بلخوخه عبد العزيز، رسالة لنيل شهادة الماجستير في نظرية الأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة أحمد بن بلة وهران: الجزائر، ٢٠١٥م.

❖ مفهوم الشعر في بيانات الشعريين العرب المعاصرين، جميلة سيش مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، شعبة: الشعرية العربية، السنة الجامعية ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

رابعا: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

❖ أشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، محمد السيدي، موقع على www.aljabriabed.net/n٢٥-٠٧sayidi.htm

❖ إعادة نظر واجبة (بيان)، عبد الوهاب البياتي، موقع جهة الشعر:

http://www.jehat.com/ar/BayanatShe٣reya/Pages/A.Wahab.html

الخاتمة ونتائج البحث

الخاتمة ونتائج البحث

بعد الخوض في بعض المفاهيم والمصطلحات، التي لها علاقة مباشرة بالمقاربة التّداوليّة ومكانتها في تحليل الخطاب، ثم البحث في مفهوم الاستراتيجيّة بوجه عام، واستراتيجيات الخطاب بوجه خاص، من خلال اكتشاف أهم أنواعها، ومعايير تصنيفها، وتبين أهم العوامل المتدخّلة في انتقائها.

وبعد دراسة وتحليل مختلف الآليّات المستعمَلَة في خطاب شعراء التفعيلة العراقيين من خلال مقدمات الدواوين، والبيانات الشعرية، والتجارب الشعرية، جسدتها ثلاث استراتيجيات من استراتيجيات الخطاب، هي: الاستراتيجية التوجيهية، والاستراتيجية التضامنية، والاستراتيجية الإقناعية (الحجاجية)، عمل شعراء التفعيلة العراقيون: نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، على انتقائها والاستثمار فيها، بغية تحقيق مقاصد خطابيّة معيّنة.

وقد توصّل البحث إلى مجموعة من النّتائج، شكّلت في مجملها أجوبة على الإشكالات، التي طرِحَتْ في المقدّمة، وقد تم تلخيصها في النّقاط الآتية:

١) إنّ مرسل أيَّ خطاب شفاهي أو مكتوب، يستحضر مجموعة من التّصوّرات الذّهنيّة، تؤدي إلى تفعيل إجراءات معيَّنة، وهي بدورها تشكَّلَت في مجملها عمليّة تخطيط- سواء وعيها المرسل أم لا-

خاضعة لعناصر سياقيّة تداوليّة، لها تأثيرها المباشر في لحظة إنتاج الخطاب، كما أن درجات توظيفها من مرسل لآخر تتفاوت ،حسب قدرته التّواصليّة، والمقصديّة التي يودّ تحقيقها كل مرسل، مضافاً إلى هذا طبيعة السّلطة الحاضرة أثناء عمليّة التّلفّظ، وعليه تجتمع هذه العوامل كلّها؛ كي تؤسِّس خطّة خطابيّة، يتَّكِئ عليها المرسل في مراحل تكوين خطابه، يُطلَقُ عليها تسمية (استراتيجيّة خطابيّة).

٢) تمثل استراتيجيات الخطاب، عمليّة إنتاج خطاب يعتمد فيها المرسل على تخطيط ذهني مسبق، ينعكس في اختيار المسلك الخطابي الأنسب، ويتجسّد في استثمار آليّات لغويّة وغير لغويّة معيّنة، بغية تحقيق أهداف ومقاصد معيّنة في ظلّ سياق تداولي معيَّن.

٣) إنّ الاحتمالات المتعدّدة لاستثمار استراتيجيّة واحدة أو أكثر، تتحكّم فيها عناصر سياقيّة تداوليّة محدّدة؛ إذ يمكن للمرسل، أن يستعمل مجموعة من الاستراتيجيّات المختلفة في خطاب واحد، أو ينتقي منها استراتيجيّة واحدة ويعمد إلى توظيفها في خطاب واحد أو أكثر.

٤) بما أنّ المرسل، لا يستطيع أن يوظِّف كل الاستراتيجيّات الخطابيّة المتاحة، وجب عليه انتقاء استراتيجيّات معيّنة، تكُون هي الأعمّ والأشمل؛ أي تعُدُّ هي الاستراتيجيّات الرّئيسة، وتُعد الأخرى إحدى آليّاتها وأدواتها اللّغويّة، وغير اللغوية.

٥) تصنّف الاستراتيجيّات الخطابيّة، تصنيفًا شاملًا، يحتكم إلى ثلاثة معايير واضحة المعالم: أوّلها، المعيار الاجتماعي: القائم على

نوعيّة العلاقة بين طرفي الخطاب، والثّاني: معيار لغوي: قائم على شكل الخطاب من حيث لغته، وأمّا المعيار الثّالث؛ فهو المعيار القائم على الهدف الذي يسعى الخطاب إلى تحقيقه.

٦) يؤدّي دور السّلطة في تأطير طبيعة العلاقة الاجتماعيّة التي تربط بين طرفي الخطاب، إلى اختيار استراتيجيات الخطاب الملائمة التي تجسّد تلك العلاقة، وبما أنّه يتفرّع عن اعتبار هذا العامل من النّاحية الاجتماعيّة استراتيجيّتان هما: الاستراتيجيّة التّضامنيّة، والاستراتيجيّة التّوجيهيّة، فإنّه يربط كثير من الباحثين بين استعمال إحداهما من جهة وبين توفّر السّلطة عند المرسل من جهة أخرى.

٧) وظف خطاب (شعراء التفعيلة العراقيين) في مقدمات الدواوين، والبيانات الشعرية، والتجارب، ثلاثة أنواع من استراتيجيّات الخطاب، هي: الاستراتيجيّة التّضامنيّة، والاستراتيجيّة التّوجيهيّة، والاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحجَاجِيَّة)، ولكل واحدة منها آليّاتها الخاصة بها. ولم يوظفوا الاستراتيجية التلميحية في خطاباتهم؛ لكونها تتناقض مع أهدافهم في المباشرة والوضوح والتصريح، ولكون رغبتهم مبنية على عدم إرهاق المرسل إليه والاستعلاء والتفوق عليه، أو الاستعانة بالتقية في مخاطبته.

٨) تبيّن وجود الكثير من الأهداف الخطابيّة، التي يمكن أن يتوخّاها المرسل في خطابه، في المقدمات والبيانات والتجارب الشعرية، ومن أشهرها هدف الإقناع الذي يستلزم استراتيجيّة معيَّنة، يمكن أن نسمّيها بـ "استراتيجيّة الإقناع (الحِجَاج)"، والتي تختصّ ببعض آليّات اللّغة، وكذا بعض الآليّات المنطقيّة؛ حيث تعوّل

عليها كثير من خطابات شعراء التفعيلة في مقدماتهم وبياناتهم الشعرية؛ لتحقيق أهدافها الإنجازية.

٩) يستمدّ خطاب (شعراء التفعيلة العراقيين)، في بعض السّياقات التّداوليّة، في المقدمات والبيانات والتجارب الشعرية، سلطته من شخصيّة مرسله، بصفته شاعراً مجدداً حديثاً، صاحب دعوة للثورة على الطريقة القديمة المتمثلة في عروض الخليل بن أحمد الفراهيدي، واللغة القابعة في بطون المعاجم، وفي سياقات أخرى، يمكن أن يستمدّ خطاب شعراء التفعيلة سلطته، بصفتهم منظرين، قد صقلت التجربة، وسعة الاطلاع، والانفتاح على تجارب الأمم الأخرى، مواهبهم، وجعلتهم مؤهلين لصياغة هذه الخطابات.

١٠) قد ينتقي (شعراء التفعيلة العراقيون) – في بعض السّياقات التّداوليّة الخاصّة في مقدمات دواوينهم أو في بياناتهم الشعرية– استراتيجيّات خطابيّة محدَّدة، تحت مسمّى (الرسائل التوجيهية والإرشادية)، ويوظّفونها في خطاباتهم، بناءً على عناصر سّياقيّة تّداوليّة متغيّرة، وعليه يمكننا القول: إنّهم كانوا يَعِون مفهوم استراتيجيات الخطاب، بصفتها خطّة يعتمدون عليها في تأسيس خطاباتهم,

١١) تنوعت العوامل المتدخّلة في انتقاء استراتيجيات الخطاب لدى (شعراء الحداثة العراقيين)، بين القصديّة والسّلطة والمرجعيّة، وقد تباينت تأثيراتها في عمليّة الانتقاء عندهم، وفقَ خصوصيّة العناصر السّياقيّة التّداوليّة التي يستدعيها كل خطاب لوحده؛ لهذا قد نجد في الخطاب الواحد عندهم توظيف استراتيجيّة خطابيّة واحدة، أو أكثر.

١٢) شكّل التّناص اللغوي، والاجتماعي سمَةً بارزة من سمَات خطاب (شعراء التفعيلة العراقيين)، بناءً على خصوصيّة المرجعيّة الثقافية التي يكتسبها كل مرسل منهم.

وختاما، فإن هذا ما تيسّر إعداده، وتهيّأ إيراده، وأعانني الله على قوله، والصّلاة والسّلام على محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الفصل الرابع

بنية الاستراتيجية الإقناعية وتشكّلها

المبحث الاول: ـ أصناف الإقناع وعلاقتها باستراتيجيات الخطاب

المبحث الثاني: ـ أدوات الاستراتيجية الإقناعية وعلاماتها

المبحث الثالث: ـ مندرجات خطاب الاستراتيجية الاقناعية في النص وخارجه

الفصل الرابع

بنية الاستراتيجية الإقناعية وتشكّلها

المبحث الاول: ـ أصناف الإقناع وعلاقتها باستراتيجيات الخطاب

يعد الحِجاج عملية فكريّة تُخاطِب العقل، وتتوسل بأدوات اللغة، ومجالُها الخِطاب، فـ"حيثما وجد خطاب العقل واللغة، فإنّ ثمة استراتيجية معيّنة يتم الركون إليها، لغويًا أو عقليًا، إمّا لإقناع الذات، أو لإقناع الآخر، وهذه الاستراتيجية هي الحِجاج ذاته"(١)؛ أي أنّ الحِجاج مرتبط باللغة الطبيعية، متى استُعملتْ؛ لأنّ استعمالَها يعني أنّ هناك متخاطبين يلجؤون بفكرهم إلى اللغة، ولايكتفون بإبلاغ محتوى خطاباتهم حسب، بل ليؤثروا ويتأثروا، وليقنعوا ويقتنعوا.

إن المتكلم يقدّم كلّ الحِجج التي من شأنها أن تقنع المخاطَب في مرحلة الإقناع، والمخاطَب مطالبٌ ببذل جهْد تأويليّ مناسب للمقام، ليصل إلى النتيجة المبتغاة من الخِطاب في مرحلة الاقناع، ولكن الحجاج لاينجز بحدود لإقناع، حسب، بل لا بدّ من العمل بما يؤديه الإقناع؛ لأنّ العمل دليل ماديّ على الاقناع، ولعلّ هذه المرحلة هي ما قصده (جون أوستين) من تأثير العمل في القول(٢)، وهو ما أكده "سيرل" في اهتمامه بالفعل المتضمَّن في القول في تقسيم أستاذه أوستين، "ليميّز هو الآخر داخل الجمُلة بين: (المحتوى القضوي) المتعلق بالمضمون، و(القوَّة الإنجازيَّةّ للفعل)، التي تتعلق بالعمل في حدّ ذاته"(٣). فعندما ينجز المتكلم عملًا حِجاجيًا سبيله الإقناع، فإنّ لهذا تأثير سلوكي، أو فكري، في المخاطَب، وهو نتيجة حتمية للحِجاج، ودليل على قوة الخِطاب وقدرته التبليغية، وتحقيقه التأثير المطلوب، وإنجاز الغرض المتوخى منه.

---

(١) الحجاج والاستدلال الحجاجي، الحبيب أعراب، ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف: حافظ إسماعيل علوي، إربد الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠، ج١، ص٦٢٥.

(٢) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص٣٢.

(٣) القيم التداولية (أفعال الكلام والحجاج) في الخطاب الشعري قصيدة " الغاضبون" لنزار قباني أنموذجا، مختار حسيني، مسعود صحراوي، مجلة الباحث: الجزائر، المجلد:٧، العدد:١، ص١٢٣.

وقد رأى (بيرلمان وتيتيكاه) أن الحِجاج "غايته التأثير العمليّ، الذي يمهّد له التأثير الذهنيّ"[١]، وموضوعه درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، أما غاية الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه، ففي أن " يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجع الحجاج ما وُفّق في جعل حدة الإذعان تقوى لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك به، أو هو ما وُفّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"[٢].

إن بيرلمان وتيتكاه، من خلال ماتقدم، يريان أن تحقيق الإقتناع، الذي هو غاية الحجاج يقع بين الاستدلال، الذي يتكون من عناصر يفهمها الناس جميعهم عبر مقدمات يستنبط منها نتائج، والإقناع هو سعي الآخر لإقناع الذات. أما الاقتناع فهو إقناع الذات نفسها. ومن هنا فقد قسم بيرلمان وتيتكاه الحجاج إلى قسمين، على وفق الجمهور، الأول: الحجاج الإقناعي الذي يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص. والآخر: الحجاج الاقتناعي الذي يرمي إلى أن يُسلّم به كلّ ذي عقل، وهو عام. لكن بيرلمان وتيتكاه يجعلان الاقتناع أساس الإذعان وأساس الحجاج؛ لأنه عام وعقلي دائما، في حين أن الإقناع ذاتي وخاص وضيق، فلا يعتدّ به في الحجاج عندهما[٣].

أما (ديكرو وأنسكومبر) فقد تحدثا عن الحجاج في مؤلفيهما (نظرية الحجاج اللغوي)، وقد سعيا إلى إثبات تجذر الحجاج في اللغة وتغلغله فيها، فاللغة تحوي إضافة إلى الوظيفة التواصلية الوظيفة الحجاجية بالضرورة، وان الحجاج لصيق باللغة وملازم لها، واللغة ذات توجيه حجاجي، من خلال الروابط، والعوامل اللسانية التي تتوافر عليها،

---

(١) الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه، عبد الله صولة، ضمن: أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، تونس، كلية الآداب بمنوبة، ١٩٩٩م، ص٣٠٣.

(٢) في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص١٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص١٤-١٦.

والتي تستغل لتوجيه الدلالة وجهة معينة بحسب مقاصد المتكلمين[١]. ونظرا إلى الخطاب، فوجداه "ليس وسيلة حسب، بل هو غاية أيضا، فهو وسيلة إخبارية تكمن غايتها في التأثير في الغير. وهذه العملية التأثيرية هي التي تدعى الحجاج بالنسبة لنا. نقول عن المتكلم إنه يقوم بحجاج حينما يقدم القول ق١ (أو مجموعة الأقوال) وغايته في ذلك حمله على الاعتراف بقول ق٢(أو الأقوال)"[٢].

ويفرق ديكرو وأنسكومبر بين عملية المحاجة والاستدلال، فالاستدلال أساسه ربط المتكلم آراءه واعتقاداته بحالة الأشياء في الكون. أما الحجاج فهو "عملية موجودة في الخطاب نفسه، أي لا يستند إلى أي حدث في الكون خارجي عن اللغة. فالحجاج خاصية لغوية دلالية وليس ظاهرة مرتبطة بالاستعمال في المقام"[٣]. وأما هدف الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر فهو التوجيه، وهو على مستويين: السامع، فعندما تتكلم فالغاية هي السامع، التأثير في السامع أو مواساته أو إقناعه أو جعله يأتي عملا ما أو إزعاجه أو إحراجه وغير ذلك، والمستوى الثاني: الخطاب: إن المحاجة من أجل الحصول على النتيجة(ن) بوساطة (أ) إنما هي ضرب كم تقديم (أ) على أنها ينبغي أن تؤدي بالمتلقي إلى استنتاج (ن) وجعل (أ) تعلة لاعتقاد (ن).[٤] انطلاقا مما سبق نلاحظ أن الحجاج في هذه النظرية مؤسس على بنية الخطاب اللغوي فقط، ومركبات هذه البنية هي الحجة والنتيجة والرابط الحجاجي، وتكون هذه العناصر ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق الذي ترد فيه.

يرى العزاوي: "أمّا ما تدرسه نظرية الحِجاج في اللغة، فهو اشتغال الأقوال داخل الخِطاب، أي هو تسلسل الأقوال وتواليها داخل الخِطاب بصورة استنتاجية، وبعبارة

---

(١) ينظر: الحجاج في اللغة، أبو بكر العزاوي، المغرب: دار الأحمدية، ٢٠٠٦، ص ١٥.

(٢) نظرية الحِجاج اللغويّ عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر، جايلي عمر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب: الجزائر، العدد: ٣، ٢٠١٨، ص١٩٦.

(٣) نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت،، ضمن: أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، تونس، كلية الآداب بمنوبة، ١٩٩٩م، ص٣٦٢.

(٤) ينظر : في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، ص١٣-١٥.

أخرى، إنها تدرس منطق الخِطاب"[١] ويذهب عبد الله صولة إلى أنّ الحِجاج "حملٌ على الاقتناع أولا، وعمل في ضوء ذلك الاقتناع ثانيًا، وهذا يجعل القول الحِجاجيّ مرهونًا بالاقتناع والعمل"[٢]. ولأن المتكلم يسعى في حِجاجه إلى تغيير معتقدات المخاطَبين وسلوكهم، فإن الحِجاج يغدو عملا صعبًا؛ لأنّ الباعث عليه، وجود شك في صحة فكرة ما، تبعث على النزاع، والاختلاف في وجهات النظر، أو تحقيق الاقتناع بفكرة ما. إن هذا يفسر انتماء الحِجاج إلى المحتمل لا الحقيقي المطلق، فأنْ يجعل المتكلم المحتمل مطلقًا، والشك يقينا، يعني أنّه بحاجة إلى قوّة خطابية، تستنفد كل طاقتها من أجل الإقناع. فلا غرابة إن عد بعض الباحثين الحِجاج بديلا عن العنف؛ لأنّ الحِجاج هو ينوب عن (القوة الماديّة) بوصفه نسقا قوليّا لينجز نتائج ملموسة"، وهو يتميز بكونه عملا جادّا، وليس نوعًا من التسلية الكلامية [٣]، بمعنى أنّ على المتكلم، وهو ينجز عملَه الحِجاجيّ، أن يكون واعيًا بِكُلِّ أدواته وتقنياته الخطابية، التي يتمثلها في حِجاجه، بالإضافة إلى مراعاته الجوانب النفسية والاجتماعية واللياقة الأدبية، وكلُّ ذلك من شأنه أن يسهم، إن كان مضبوطًا بالقدْر المطلوب، في إنجاز الخِطاب، ورفع مستوى الحِجاج، وبالتالي، القدرة على تحقيق الاقتناع لدى المخاطَب، الذي لولاه ما وجد الحِجاج.

ويغدو الحِجاج عند نازك الملائكة في مقدمة شظايا ورماد بحثا من أجل ترجيح خيار من بين خيارات قائمة وممكنة، بهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائمًا؛ فالاختيار مظهر حِجاجيّ، يتجلّى في إقصائه للإمكانات التي تتيحها اللغة، والعدول عنها إلى اختيارٍ، يتوقّع المتكلم أنّه يكون أقوى وأنجع في حِجاجِه تأسيساً على مبدأ التأثير أو الجمال. تقول الملائكة: "الواقع أن القارئ العربي يتهرب من الشعر الرمزي، لأن اللغة تجابه التعبير عن مثل هذه الأحاسيس المبهمة أول مرة، فليس غريبا أن تتلكأ قليلا، وتتوتر. أما تعليل الأمر بأن ذاتية العربي

---

(١) الحجاج في اللغة، أبو بكر العزاوي، ص٧١-٧٢.

(٢) الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه، ص٣٠٦

(٣) ينظر: مفهوم الحجاج عند "بيرلمان" وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد محمد الأمين، مجلة عالم الفكر: الكويت، المجلد:٢٨، العدد:٣، ٢٠٠٠، ص٨٢.

تنفر بطبعها من الرموز... فأمر لا أعتقد به أنا على الأقل. ذلك لأن النفس البشرية عموما، ليست واضحة، وإنما هى مغلفة بألف ستر، وقد يحدث كثيرا أن تعبر الذات عن نفسها بأساليب ملتوية؛ تثيرها آلاف الذكريات المنطمسة الراكدة من أعماق العقل الباطن ...، وليست مثل هذه الأحاسيس الغريبة وقفا على إنسان دون إنسان، سوى أن التعبير عنها يختلف. فالإنسان العادي يراها في أحلامه. أما الفنان فيعبر عنها بفنه وأحلامه معا".(١)

إن المرسل/الملائكة، هنا، لا يَعرضُ محتوى أقواله فقط، وإنّما يتّخذ منها موقفًا، يريد من المخاطَب أن يقتنع به، فيصادق عليه، ويشاركه في الحكم عليه، والعمل بنتائجه. فـ "غاية المتكلم من تطبيق مبدأ (العدول) –بالإضافة إلى تبليغ المحتوى– هو المُحاجّة به، بمعنى أنّه يقوّي التوجيه نحو النتيجة التي يروم تحقيقها"(٢)، والتي يريد من المخاطَب أن يعملَ بها. وتحاول نازك أن تبلور وظيفة التجنيس الشعري المتصلة بالدعوة إلى شعر التفعيلة، بوصفه مقترحا يمثل انحرافا عروضيا عن بنية الخليل التناظرية الصارمة، مع ما يستدعيه هذا الانحراف من تواشجات نظرية ونصية تتصل بتبني مفهوم تعبيري يربط الشعر بوظيفة التعبير عن الذات عبر رؤية شعرية، فتميل أكثر نحو إهمال المستعمل اللغوي (المنهك)، واستعمال المهمل (الخام)، رغبة في إيقاظ الإيحاء الشعري القادر على التسلل إلى مناطق الظل القابعة في أعماق الذات.

وأصناف الحجاج تتم في مقدمات نازك الملائكة، على وفق أهداف تُصنف بها، حسب نوع الرسالة والهدف منها، ويأتي الحجاج التوجيهيّ مقدما في صنف الحجاج، الذي "يمثل له بالأفعال اللغويّة التي تفي بالجانب الخاص بالمرسل من الاستدلال. ولأنّ المرسل لم يفترض حجج المرسّل إليه، فإن تصوّره عنه مازال ناقصاً"(٣)، ولهذا ينصبُّ اهتمامها على إيصال الرّسالة، ومحاولة إقناع المرسّل إليه بها، مع افتراض أَنْه لا يمتلك

---

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص٢١-٢٢.

(٢) البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحِجاج)، عبد الله صولة، ضمن: الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث،،ط١, ٢٠١٠م

(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٤٧٦.

فكرة مسبقة عنها أو يتبنى أفكاراً معارضةً لها. ومما ينطوي تحت هذا الصنف من الحجاج، قول نازك الملائكة في مقدمة شظايا ورماد:" قلت ان اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الإيحاء، لان كتابها وشعراءها لم يعتادوا استغلال القوى الكامنة وراء الألفاظ استغلالا تاما، إلا حديثا، فقد بقيت الألفاظ طيلة قرون الفترة الراكدة «المظلمة..» تستعمل بمعانيها الشائعة وحدها. وربما كان ذلك هو السبب في جنوح الجمهور العربي جنوحاً شديداً إلى استنكار المدارس الشعرية التي تعتمد على القوة الإيحائية للألفاظ، كالرمزية، والسريالية، على اعتبار أن هذه المدارس تحمل اللغة أثقالاً من الرموز والأحلام الباطنية والخلجات الغامضة، واتجاهات اللاشعور، ومثل ذلك مما لا تنهض به إلا لغة بلغت قمة نضجها. والواقع أن القارئ العربي يتهرب من الشعر الرمزي –، لأن اللغة تجابه التعبير عن مثل هذه الأحاسيس المبهمة أول مرة، فليس غريبا أن تتلكأ قليلا، وتتوتر. أما تعليل الأمر بأن ذاتية العربي تنفر بطبعها من الرموز ولا تجد جمالاً في الدهاليز التي تتلوى وراء الحس، والعوالم الخفية التي يعسر إدراكها، فأمر لا أعتقد به أنا على الأقل"(١)

لقد ساقت الملائكة مجموعة من الحجج، التي حاولت فيها اقناع المرسل اليه، وتثبيت دعواها بان اللغة العربية ما زالت لم تأخذ نصيبها الحقيقي؛ لأنها لم تكتسب وتستغل استغلالا كاملا، واستخراج ما فيها من ثورة وراء الالفاظ الا حديثا، فصقلت الامر وإعادة فيه منذ بداية خطاب المقدمة او البيان كما يسميه بعض النقاد، فقد استخدمت مجموعة من الاليات الإقناعية، منها حروف العطف كالواو والفاء، كل بحسب موقعه من السياق باعتبارها أدوات حجاجيه. وأظهرت بمجملها قدرة المتكلم في توجيه خِطابِه لمخاطَب دون الآخر، بما فيه من زخمٍ حِجاجيّ، يمثّله العدول التخاطبيّ –إنْ صحّ التعبير– عن مخاطَب (المخالفين لها)، ليخرِجهم المتلكم، بلياقة أدبية، من دائرة الاهتمام، وفي هذا التماسُ عذرٍ منه، إلى مخاطَب (القارئ العربي) يخصّه المتكلم بالتوجيه، ممّا يولّد لديه (القارئ العربي) شعورًا بالاهتمام يحركه للإنصات، والتسليم بحجة المرسل/الملائكة. إن سمة (التوجيه)، بعدّها سمة أساسيّة في كلّ خِطابٍ حِجاجيّ، عنت في نص الملائكة

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص٢٠–٢١.

أنّ كل ما في الخِطاب قد تم توجيهه للمخاطَب نحو النتيجة المتوخاة، إلى البحث عن كلّ عناصر الحِجاج التي توسّلها الملائكة في خِطابها لتظفر بنتيجة مؤداها أن ذاتية العربي لا تنفر بطبعها من الرموز، وتجد جمالاً في الدهاليز التي تتلوى وراء الحس.

وقد يرد الحجاج التقويميّ في مقدمات دواوين شعراء التفعيلة وبياناتهم وتجاربهم الشعرية، ليراعي المرسل في خطابه الحجاجيّ أمرين، هما: الهدف الذي يريد تحقيقه وهو الإقناع، والحجج التي يمكن أن يعارضه بها المرسل إليه. وأكثر استعمال هذا النوع من الحجاج يحضر في المناظرات والحوارات. ففي الحجاج التقويمي نجد " المرسل يستبق اعتراضات المرسل إليه، ثمّ يدحضها بحجج في الخطاب نفسه؛ معولاً في تكوين خطابه الحجاجيّ وبنائه على سعة معرفته بالموضوع"(١)، كما يسعى المرسل إلى "التنبؤ بحجج المرسّل إليه، بالاطّلاع على خلفيّاته الفكريّة والمرجعيّة والثقافية حول موضوع الحوار"(٢). إن هذا ما يلمسه القارئ لمسا بينا في أجزاء من مقدمة (شظايا ورماد) في قول نازك الملائكة: "ويقولون: ما لطريقة الخليل؟ وما للغة التي استعملها آباؤنا منذ عشرات القرون؟ والجواب أوسع من أن يمكن بسطه في مقدمة قصيرة لديوان ما لطريقة الخليل؟ ألم تصدأ لطول ما لامستها الأقلام والشفاه منذ سنين وسنين؟ ألم تألفها أسماعنا، وترددها شفاهنا، وتعلكها أقلامنا، حتى مجتها . منذ قرون ونحن نصف انفعالاتنا بهذا الاسلوب حتى لم يعد له طعم ولا لون لقد سارت الحياة وتقلبت عليها الصور والألوان والأحاسيس ومع ذلك ما زال شعرنا صورة لقفا نبك وبانت سعاد. الأوزان هي هي والقوافي هي هي.. وتكاد المعاني تكون هي هي"(٣)

ثم تقول الملائكة في موضع آخر: "ويقولون: ما للغة؟ وأية ضرورة إلى منحها آفاقا جديدة؟ فينسون أن اللغة ان لم تركض مع الحياة ماتت والواقع أن اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الإيحاء، التي تستطيع بها مواجهة أعاصير القلق والتحرق التي تملأ أنفسنا اليوم. انها قد كانت يوما لغة موحية، تتحرك وتضحك وتبكي وتعصف، ثم ابتليت بأجيال من

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٤٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص٤٤٩.

(٣) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص٨-٩.

الذين يجيدون التحنيط وصنع التماثيل، فصنعوا من ألفاظها (نسخا) جاهزة، ووزعوها على كتابهم وشعرائهم، دون أن يدركوا أن شاعراً واحداً قدم للغة ما لا يصنعه ألف نحوي ولغوي مجتمعين. ذلك أن الشاعر بإحساسه المرهف وسمعه اللغوي الدقيق، يمد للألفاظ معاني جديدة لم تكن لها، وقد يخرق قاعدة مدفوعاً بحسه الفني، فلا يسئ الى اللغة، وانما يشدها الى الأمام"[١]. لكنها تستدرك في موضع لاحق من المقدمة، فتقول: "ثم ان هنالك شيئا آخر هاما يستدعي هذا الاستبعاد للألفاظ التي كثر استعمالها، هو أن الأذن البشرية تمل الصور المألوفة والأصوات التي تتكرر، وتستطيع أن تجردها من كثير من معانيها وحياتها، وخير مثال لهذا أننا ننفر الآن بطبيعتنا من استعمال ألفاظ كهذه: عمير، كافور، غصن بان، قد، هلال، صدغ، عود، نرجس، لؤلؤ، وهي الفاظ كانت في بعض العصور السالفة تبدو رقيقة شعرية، وربما كانت ..."[٢]

إن الملائكة من خلال هذه الخطابات المتراتبة سُلميّا، تفترض مرسلا إليه موجودا يحاجج، فترد عليه عبر استثمار صيغ السؤال والجواب، بين سؤال استنكار منحرف عن صيغته الاصلية، وجواب منطقي، فتكون هكذا شكل الأسئلة والاجوبة

- ويقولون ما لطريقة الخليل؟
- والجواب أوسع من ....

فهي تفترض سائلا يعي صيغة الخطاب؛ لهذا فإنها، بعد كل سؤال تصوغ الحجج واحدة تلو الأخرى، وتلقي بها بين فقرات المقدمة:

- ما لطريقة الخليل؟
- ألم تصدا لطول.....
- ألم تألفها...

---

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة ، ص٩-١٠.

(٢) المصدر السابق، ص١١-١٢.

وهكذا تفترض نازك الملائكة حضور متلق يحاجج محاججة مباشرة، بما يتوافر عليه من مجموعة من الأسئلة، التي تفرغها الشاعرة على لسانه، كما أنها تأتي بالأجوبة التي تراها مقنعة:

- ويقولون ما للغة، واي ضرورة الى منحها افاقا جديدة؟
- فينسون ان اللغة، إن لم تركض....

وهكذا تنتقل بالأسئلة من سؤال الى سؤال آخر، وبالأجوبة المتوالية التي تبدو شبيهة بصيغ السؤال، إنها تأتي مرة بصيغة الاستنكار، وتأتي مرة أخرى بصيغة جواب منطقي، وهذه الأسئلة تمثل عدولا عن الخبر إلى الاستفهام، ويُسمى هذا الاستفهام، عند الحِجاجيين، بالاستفهام الحِجاجيّ؛ إذ ليس هو استخبارا أو طلبا للجواب، وإنّما هو وسيلة حِجاجية[١]، والعدول عن الخبر إلى الاستفهام من شأنِه حِجاجيًا أن "ينقل محتوى الكلام من احتمال أن يكون صادقًا أو كاذبا إلى عدم احتمال ذلك، فهو مجرّد عمل لغويّ حاضر في المقام"[٢]. وما ينبغي التوكيد عليه أنّ هذا العدول من الخبر إلى الاستفهام قد أضاف إلى الخِطاب معاني لم تكن له في أصله (دون عدول)، وهذا من شأنه حِجاجيًا أن يقوّي الاتّجاه نحو النتيجة، إذ إنه كثّف الطاقة الإقناعية للنتيجة، التي سعى إليها الخِطاب. ويلاحظ أن بناء الأسئلة في نصوص الملائكة السابقة، لم يكن عشوائيا، بل جاء تراتبيا، وقد بدأ المرسل بالشكل الشعري، من الوزن حتى اللغة مرورا بالقافية، والصور، والاحلام، وسواها. وكان الإقناع هو المطلب الأساس من الخطابات، التي دارت بين المتحاورين اللذين تختلف توجهاتهما حتما. ويمكن أن نعزو نجاح العملية الحِجاجية في نص الملائكة إلى تقنية الحضور، أي وضع المخاطَب في ظروف مشابهة لظروف المتكلم، فكلاهما ينظر إلى اللغة وإلى العروض من إعتبارات وقواعد واحدة، ممّا يساعد على أن تتولّد لدى المرسل إليه درجةً كبيرة من الاقتناع.

---

(١) ينظر : الحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص٤٢٥.

(٢) البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحِجاج)، ص٤٧.

ولكن المرسل قد يعوّل في الحجاج على استراتيجيّات أخرى، كما يظهر في مقدمة ديوان(طيبة) للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد التي كتبها الشاعر عبد الوهاب البياتي:" فأين هو مكان عبد الرزاق في قصائده هذه بين كثير من الشعراء الذين برزوا في هذه الفترة؟ لأجل الحقيقة والتاريخ أقرر هنا أن أكثر هؤلاء الشعراء لم يكونوا، بل لم نسمع بأسمائهم، أو انهم كانوا في بداية الطريق يوم بدأ شاعرنا في نظم الشعر. فما هي أسباب عدم ذيوع اسمه وانتشار شعره على نطاق واسع مثلما ذاع وانتشر شعر الآخرين إذن ؟؟... أعتقد أن شاعرنا – هنا – مسؤول بعض المسؤولية أولا، فقد كان باستطاعته أن يدرك أن الشاعر قد كتب عليه أن يناضل من أجل مكان تحت الشمس، وان يصنع مصيره هو بنفسه. ويقع اللوم على مجلاتنا ثانية، التي لم تفسح لشعره حيزا، وهي التي اعتادت أن تنشر الكثير من تافه الشعر في أكثر الأحيان. وعلى أيامنا البشعة هذه التي لا تتيح للموهوبين منا حياة كريمة يستطيعون فيها أن ينتجوا في جو من الأمن والطمأنينة، متحررين من العوز والفاقة التي كثيرة ما أخمدت مواهبهم. إن ما استطاع أن يحققه عبد الرزاق في مجموعته هذه: أنه استطاع أن يعبر بشيء من الطلاقة واليسر عن هموم البسطاء من الناس، وعن مخاوفهم وأعيادهم الأرضية وحبهم لكل ما هو جميل ومقتهم لكل ما هو هو قذر وبشع وكريه...."[١].

لقد كان هدف المرسل/البياتي من وراء صياغة خطابه هنا، التوصّل إلى الإقناع عبر لجوئه إلى ما ينعته البلاغيُون بـ(الاستدراج)[٢]، وقد جاء على وفق ما يقتضيه مبدأ التأدّب مع المرسل إليه، و كانت وسيلته إلى هذا الترتيب المنطقي للحجج، للوصول إلى

---

(١) مقدمة ديوان (طيبة) للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد، عبد الوهاب البياتي، ضمن: الأعمال الشعرية: عبد الرزاق عبد الواحد ، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٠، المجلد الأول، ص٢٨.

(٢) ذكر الطنطاوي في التفسير الوسيط أشارة الطيبي إلى ما في الآية الكريمة من احتجاج بليغ مبنى على فنون من علم البيان؛ أي: "كمن ليس كذلك"، فهو احتجاج عليهم وتوبيخ لهم على القياس الفاسد لفقد الجهة الجامعة لهما. ثم ذكر وجه الاستدراج الحجاجي في الآية، وجعله وجها خامسا عند قوله تعالى: {أَم بِظاهِرٍ من الْقَولِ} [الرعد:٣٣]، فهو: (احتجاج من باب "الاستدراج" لبعثهم على التفكر. أى: أتقولون بأفواهكم من غير روية، وأنتم ألباء فتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه!). ثم قال: (قَالَ أَهل الْمعانِي: الاستدراج أَنْ يتدرج إِلى الشيءِ في خفْية قَليلًا قَليلًا فلا يباغت، ولا يجاهر)، ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٧١، ج٧، ص٤٨٨.

نتيجة حتميّة أراد البياتي إنجازها؛ لتسويغ غياب اسم الشاعر الذي يقدم ديوانه عن الساحة الثقافية العراقية قبل عام ١٩٥٦، حيث يكتب البياتي هذه المقدمة مستجليا عدم ذيوع اسم عبد الرزاق عبد الواحد بوصفه شاعر حداثة يومئذ، وكانت الحجج التي ساقها البياتي متوزعة بين العنصر الذاتي للشاعر، لأنه(مسؤول بعض المسؤولية أولا)، والعناصر الخارجية: كالمجلاّت، وما أسماه (الأيام البشعة). ولكن البياتي يضع في نهاية مقدمته النتيجة الحتمية التي تترتب عبر سوق هذه الحجج، وهي أن عبد الرزاق عبد الواحد شاعر (طلاقة ويسر وموهبة)، وهذا ما يجعل تقديمه لديوانه مسوّغا لدى البياتي.

المبحث الثاني: ـ أدوات الاستراتيجية الإقناعية وعلاماتها

إنّ الخِطاب، بكل أدواتِه وتقنياتِه وآلياتِه، يشتغل حِجاجيًا، من أجل غاية واحدة، هي الإقناع فالاقتناع. وقد عد هذا دليلا كافيًا على قدرة الحِجاج في تحقيق الانسجام التامّ للخطاب، وهذا هو مبتغى نظرية تحليل الخِطاب. يقول العزاوي: "أمّا ما تدرسه نظرية الحِجاج في اللغة، فهو اشتغال الأقوال داخل الخِطاب، أي هو تسلسل الأقوال، وتواليها داخل الخِطاب بصورة استنتاجية، وبعبارة أخرى، إنها تدرس منطق الخِطاب"(١)؛ أي الآليات والقواعد الحِجاجية التي تحكم الخِطاب، وتضمن انسجامَه. فالحِجاج، أداة فعّالة في تحليل الخِطاب، والكشف عن الأساليب والآليات التي يتوسل بها المتكلم في خِطابه للتأثير في المخاطَب، وتحقيق النتائج التي يترجمها سلوكه وعقله. وتُعْرَف الآليات والتقنيات الحِجاجيّة بأنّها "الطرائق والمبادئ التي تحكم البناء الحِجاجيّ في خِطاب ما، وهي الطرق والأساليب التي يتمثلها المتكلم، عن وعْيٍ وقصدٍ حِجاجيين، من أجل رفع رصيدِه الحِجاجيّ، بما يكفل له القدرة على التأثير في المخاطَب وإقناعه إقناعا ناجعا"(٢).

---

(١) الحجاج في اللغة، ص٧٢.

(٢) الدَّرْس الحِجاجيّ في نظريّة تحليل الخطاب: دراسة تطبيقيّة في سورة يوسف من خلال تفسير ابن عاشور، خالد حسين دلكي، أحمد محمّد أبو دلو، مجلة المنارة، المجلد: ٢١، العدد: ٣، ٢٠١٥، ص٤١.

إن هذه الآليات، والتقنيات مرتبطة ارتباطًا أوليًا وأساسيًا بالحُجة، التي يرى (ديكرو) أن حضورها في خِطاب ما، يعني القول (ق١)، أو مجموعة الأقوال التي يوجهها المتكلم إلى جعل المخاطَب يقبل بقول آخر (ق٢)، أو مجموعة أقوال أخرى، بوصفها نتيجة لحِجاجه، سواء كانت صريحة أو ضمنية. فالحِجاج هو تقديم المرسل الحِجج، في قوالبَ أو مبادئ حِجاجية، تسعفه البلاغة واللغة في رسمِها أو تفنينها، للوصول إلى نتيجة معيّنة. إنّ الحديثَ عن الحِجاج، هو حديثٌ عن الآليات والتقنيات التي تضمن للخِطاب أن يكون مؤثرًا ومُقنعًا، بما لا يدع مجالًا للمرسل إليه، أن يرفض المعطيات الحِجاجية، ويترتب على هذا استعداده للعمل بتلك النتائج، على مدار العمليّة الحِجاجية.

إن المباحث الحِجاجيّة، لا تعد الظواهر الأسلوبية مظاهر خارجيّة حسب، بل هي طاقات حِجاجيّة، يوظّفها المتكلمُ من أجل التأثير والإقناع، لقد أوصى (بيرلمان) بالحدّ من الغلوّ في التحليل الشكليّ (الأسلوبيّ) للبلاغة، وقال بالانصراف إلى التحليل الوظيفيّ في الخِطاب؛ إذ "ليستْ مَهَمَّةُ الحِجاج عنده، دراسةَ الأبنية والأشكال الأسلوبية بمعزلٍ عن الهدف، الذي ينبغي أن تؤديه في عمليات البرهان الحجاجي"(١). وتُعَدُّ الروابط اللغوية دليلًا قاطعًا على أن الحِجاج مؤَشَّرٌ له في بنية اللغة؛ ذلك أنّها تخصّ الأدوات اللغويّة، التي يعطيها الحِجاجُ قيمتَها الوظيفيّة في الخِطاب. وهذا يعني أنّنا لم نعد ننظر إليها على أنّها روابط للجمل أو النصوص حسب، ولكنّها، أيضًا، تؤدّي أغراضًا استدلاليّة حِجاجية، إضافةً إلى وظيفتِها الرابطة(٢).

فالفاء في الخِطاب الوارد في مقدمة ديوان شجرة القمر: ""والسبب البسيط كل البساطة الذي دفعني إلى أن أكتب البحر الخفيف بهذا الشكل في دواويني السابقة، أن تلك الدواوين طبعت في حجم صغير لا يزيد عن حجم الكف. فعندما جلست أنسخ القصائد لها خفت أن يصبح البيت المدور من البحر الخفيف أطول من عرض الصفحة فقررت أن أقسمه إلى قسمين ليلائم الظروف. وعندما وجدت أغلب أبيات وزن الخفيف عندي مدورة، وأدركت أن علي أن أقسم كلمات كثيرة إلى قسمين كل قسم في شطر، استثقلت

(١) بلاغة الخِطاب وعلم النص، صلاح فضل، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٢، ص٧٠.

(٢) ينظر: نظرية الحِجاج في اللغة، شكري المبخوت، ص٣٧٨.

هذا فقررت أن أقسم الشطر على أساس المعنى دون الوزن... وهكذا دفعتني الملابسات المادية للطبعة إلى إدراج قصائد الخفيف دون ملاحظة لوزنها"[١]

إن قولها: (فقررت أن أقسمه إلى قسمين ليلائم الظروف)، وفي موضع آخر:(فقررت أن أقسم الشطر على أساس المعنى)، تعد الفاء فيها رابطًا حِجاجيا؛ يربط بين الحُجة والنتيجة، فحجم الصفحة المعدة لطباعة قصيدتها في ديوان صغير، حجة لامتناع الانسجام الإيقاعي، ووقع الخرق العروضي. إن هذا الاستدراك، قادم من معاينة الشاعرة لسوء الفهم الذي استقبل به صنيعها، لذلك فهي تصرّح: في سنة ١٩٥٧، أنه لم يكن يدور في خلدها أن أناسا من الشعراء سيتخذون عملها الاضطراري سُنّة يحتذونها في منشوراتهم الشعرية ودواوينهم، وتضيف قائلة: "لكم جزعت عندما صرت أرى في المجلات قصائد موزونة على الشكل العربي وزنا تاما ولكنها تكتب كتابة فوضوية وكأنها نثر لا شعر"[٢]. ومن الأهميّة بمكانٍ الإشارة إلى أنّ اللغة ثرية بالأدوات اللغوية التي يتوافر عليها المتكلم في خِطابه، فالخِطاب السابق يمكن أن يحقق النتيجة نفسَها في أكثر من صياغة حِجاجية، كأن يلجأ إلى الأدوات الآتية (لأنّ، إنّ، إذن، و)، أو أدوات الاستفهام الإنكاريّ، إذا ما تعرّض لسؤالٍ من قبيل: (لماذا لم ألتزم الجانب الإيقاعي في الديوان؟)، فيكون جوابه: (ألم يتم النظر إلى حجم الورقة وصغر الديوان حدودا في طبيعته المادية الطباعية؟). إن المعطيات اللغويّة في النص السابق، مثّلت تعليمات وجّهت باستخلاص النتيجة[٣].

وتكمن الوظيفة الحِجاجية لبعض الروابط، مثل الروابط "حتى، بل، لكن، مع ذلك"، في أنّها تربط بين قولين، كلاهما حُجة، تخدم نتيجة واحدة، ولكن بدرجات متفاوتة، فالحجة التي تلي الرابط (حتى)، مثلا، أقوى من الحجة التي تسبقه. ففي معرض ذكر الشاعرة نازك الملائكة معطيات سيرتها الذاتية والثقافية التي تتصل بظروف تحرير قصيدة (شجرة القمر)، وبيان أصل الحكاية المنطوية عليها، في مقدمة ديوانها (شجرة

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شجرة القمر، المقدمة، ص٤١٥.

(٢) المصدر السابق، ص٤١٦.

(٣) ينظر: نظرية الحِجاج في اللغة، شكري المبخوت، ص٣٧٨.

القمر)، تأتي الشاعرة بالرابط (حتى) في قولها: "وأما أصل الحكاية فيرجع إلى مقطوعة إنكليزية كنت قرأتها سنة ١٩٤٩، وأذكر من قراءتي لها أنني وقعت عليها في مجموعة شعرية للأطفال (...) فما كدت أقرأها حتى أحببت الحكاية فيها، واختزنتها في ذاكراتي إلى أن بعثتها ميسون بعد ذلك بثلاث سنوات، وعلى ذلك فهذه القصيدة ليست ترجمة، وأصلها الإنكليزي قصير، قرأته مرة واحدة ثم لم أره ثانية حتى اليوم. فكل ما أخذته عنها هو هيكل الحكاية العاري لا غير. أما الصور والرموز والتفاصيل فكلها لي"(١)

من الواضح أنّ في الخِطاب السابق حجّتين، الأولى: تتمثل في ان الشاعرة بوصفها مرسلا كثيرة القراءة، والثانية: تتمثل في ان الشاعرة تقرأ قصص الأطفال المكتوبة باللغة الانكليزية، وكلاهما يخدمان نتيجة من قبيل: ان الشاعرة منفتحة على الثقافات الأخرى انفتاحا منتجا لم تقع بسببه في السرقة والانتحال، لكنّ الحجة الثانية التي تلي الرابط (حتى) أقوى من الأولى(٢)؛ إذ هي ألصق بالنتيجة؛ ففي هذه القصيدة التي تصرّح الشاعرة باستعارة هيكلها من قصيدة إنكليزية وردت ضمن مجموعة شعرية للأطفال. وهي إذ تصرح بذلك، فإنها تحرص، على التوكيد أن جميع (الصور والرموز والتفاصيل) المؤثثة للنص، من إبداعها الخاص. لكن تصريح الشاعرة ضمن هذه الوظيفة، بمصدر قصيدتها يظهر أولا انفتاحها على الشعر الإنجليزي خصوصا، أسوة في ذلك بزملائها العراقيين الرواد، وهذا ما سيظهر في ترجمتها العروضية لمجموعة من القصائد.

وهناك نوع آخر من الأدوات اللغويّة، مع الروابط الحِجاجيّة، يسميه ديكرو (العوامل الحِجاجيّة)، التي تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحِجاجيّة التي تكون لقول ما، وتشمل أدوات الحصر والنفي، وبعض المكونات اللغوية، مثل: "تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، وغيرها من المكونات اللغويّة التي تؤدي دورًا مهمّا في توسيع أو تضييق الاحتمالات الحِجاجيّة"(٣).

---

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شجرة القمر، المقدمة، ص٤١٠.

(٢) ينظر: الحجاج في اللغة، أبو بكر العزاوي، ص٢٧.

(٣) نظرية الحِجاج في اللغة، شكري المبخوت، ص٣٧٧.

ومن الالفاظ المستخدمة في التركيب الحجاجي لبناء الحجج، المفعول لأجله، وكلمة السبب، ولأن الدالة على التعليل، وكي؛ إذ يستعمل المرسل أداة من هذه الأدوات، لتسويغ ينجزه مبنيا على سؤال ملفوظ به او مفترض، ولقد استعملت نازك الملائكة مثل هذه الالفاظ؛ لتعليل حجّتها او خطابها. يجدها القارئ في مطلع مقدمتها لديوان شظايا ورماد، الذي تقول فيه: " في الشعر، كما في الحياة، يصح تطبيق عبارة برنارد شو: ((اللا قاعدة هي القاعدة الذهبية)) لسبب هام، هو أن الشعر وليد أحداث الحياة، وليس للحياة قاعدة معينة تتبعها في ترتيب أحداثها"[١]، وتقول في موضع آخر من المقدمة: "لن تقف وظيفة الأديب المرهف، عند خرق قاعدة هنا، وإضافة معنى هناك، وإنما سيكون عليه واجب أدق من هذا تفرضه عليه طبيعة التطور ، في اللغات الإنسانية الحية، سيكون عليه أن يدخل تغييراً جوهرياً على القاموس اللفظي المستعمل في أدب، فيترك استعمال طائفة كبيرة من كانت مستعملة في القرن المنصرم ويدخل مكانها ألفاظاً جديدة لم تكن مستعملة. ذلك لأن الألفاظ تخلق كما يخلق كل شيء يمر عليه إصبع الاستعمال في هذه الحياة المتغيرة، وهي تكتسب بمرور السنين، جموداً يسبغه عليها التكرار، فتفقد معانيها الفرعية شيئا فشيئا، ويصبح لها معنى واحد محدود... ثم ان هنالك سببا آخر هاما يستدعي هذا الاستبعاد لألفاظ كثر استعمالها، هو أن الأذن البشرية تمل الصور المألوفة والأصوات التي تتكرر، تستطيع أن تجردها من كثير من معانيها وحياتها"[٢]

وتقول: "ثم لنتحدث عن القافية، ذلك الحجر الذي تلقمه الطريقة القديمة كل بيت، قالوا إن العربية لغة واسعة غنية، وأن ذلك يبرر كونها اللغة الوحيدة التي اتخذت القافية الموحدة سنة في قصائدها، ونسوا أن أية لغة مها اتسعت وغنيت، لا تستطيع أن تمد ملحمة بقافية موحدة، أيا كانت، ولم ينتبهوا إلى أن ذلك كان واحداً من الأسباب التي حالت دون وجود الملحمة في الادب العربي...."[٣]

---

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص٧

(٢) المصدر السابق، ص١٠-١١

(٣) المصدر السابق، ص ١٧-١٨.

وتقول: "فقد بقيت الألفاظ طيلة قرون الراكدة (المظلمة)، تستعمل بمعانيها الشائعة وحدها، وربما كان هذا هو السبب في جنوح الجمهور العربي جنوحاً شديداً إلى استنكار المدارس الشعرية التي تعتمد على القوة الإيحائية للألفاظ، كالرمزية، والسريالية، على اعتبار أن هذه المدارس تحمل اللغة أثقالاً من الرموز والاحلام الباطنية والخلجات الغامضة، واتجاهات اللاشعور"(١)

ومما ورد في النصوص السابقة المتعددة في مقدمة ديوان واحد هو شظايا ورماد، يتبين استعمال المرسل/الملائكة عددا من الأدوات اللغوية والكلمات، من قبيل: (لأن، الأسباب، لسبب، السبب)؛ لسوق الحجج سوقا تراتبيا، يعطي جوابا مقنعا للمرسل اليه، ويعمل على تحقيق المنفعة. وتظهر الوظيفة الحِجاجيّة للعوامل في أنّ "اختيار المتكلم الملفوظَ، الذي دخلت عليه العوامل الحِجاجيّة، أنفع في إقامة الحجة من الملفوظ العاري عن تلك العوامل؛ وذلك أنّ النتيجة التي يريد إيصال المخاطَب إليها مضمونة الوصول"(٢).

وقد يكون (الوصف) عاملا حجاجيا، يشمل عددا من الأدوات اللغوية منها: الصفة، واسم الفاعل، واسم المفعول. وفيما يلي عرض لكل واحدة منها، مع بيان دوره في الحجاج من خلال الأمثلة. أما الصفة، فتعد من الأدوات التي تمثل حجة المرسل في خطابه، من خلال إطلاقه نعتا معينا من أجل إقناع المرسل إليه، كما أن استعمال مجموعة من الصفات، يمكن أن يجسد علامة تبين درجة الحجاج، وتعد ألقاب القرابة من هذه الصفات، التي "تنتمي إلى سلمية ذات درجات، يختار المرسل منها ما يرى أنه يجسد درجة قرابته بغيره في الخطاب، ليحاجج من خلالها، بالإضافة إلى دلالتها على التضامن"(٣).

يورد السياب في مقدمته ديوانه أساطير عددا من هذه الأدوات اللغوية، التي يشملها الوصف عاملا حجاجيا، يقول: "وتناولت الثورة، في أول عهدها، وحدة القافية، ثم تعدتها إلى الأوزان فهجر كثير من الشعراء المجددين البحور الطويلة، واستعاضوا عنها بالبحور

---

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة ، ٢٠.

(٢) البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحِجاج)، ص٣٤.

(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٤٨٦

القصيرة... وهناك فريق آخر من الشعراء، ثار على وحدة الوزن، منهم الشاعر الكبير المرحوم؛ إلياس أبو شبكة في (غلواء) و (إلى الأبد) وبعض القصائد من (أفاعي الفردوس)" [١]، ويواصل السياب هذا الاستعمال للعوامل الحجاجية، وقد كان الوصف أبرزها، يقول: " وأول تجربة لي من هذا القبيل، كانت في قصيدة (هل كان حبا) من ديواني الأول (أزهار ذابلة) وقد صادف هذا النوع من الموسيقى قبولا عند كثير من شعرائنا الشباب، أذكر منهم الشاعرة المبدعة الآنسة (نازك الملائكة)"[٢]. إن استعمال المرسل/ السياب للصفات من قبيل قوله: الشعراء المجددين، الشاعر الكبير، شعرائنا الشباب، الشاعرة المبدعة، يعد عدولا ساهم في توفير تقنية حجاجية، قوّت التوجه نحو النتيجة، وهي متانة منطق الثورة التي يذكرها، وهذه المتانة متأتية من حشد هذه الصفات اللاحقة بشخوص يرى فيهم المرسل أصواتا ساندة له، فحتم على المرسل إليه أن يؤمن بالثورة وبغاياتها. وتورد نازك الملائكة في مقدمة شظايا ورماد كثيرا من الصفات التي تعد أليات حجاجية يتقوى بها الخطاب سعيا للإنجاز بعد التبليغ، تقول: "ذلك من حسن الحظ ان شعراءنا المعاصرين قد استخفوا بالقافية"، وفي قولها: "ألف تحية لشعراء الغد"[٣].

وتتماثل هذه الاستعانة بالوصف كونه عاملا حجاجيا في بيان (إعادة نظر واجبة) للشاعر عبد الوهاب البياتي: " في عصر مليء بالبطولات والانقلابات والثورات، في عصر لم يكتف به الفنان بقلمه أو ريشته أو أزميله، إنما حمل البندقية معها ونزل إلى أرض المعركة ليموت أو يميت عدوه، دفاعا عن الحرية والشرف والفكر والضمير والأطفال والأرض والبيادر والفراشات، فلا بد له إذن من سلاح جديد يقاتل به، ولا بد له من معركة جديدة"[٤]

إن شعراء التفعيلة في نصوصهم السابقة التي تراوحت بين مقدمات دواوين شعرهم، أو بيانات، يستخدمون صفات وألقابا، يلبسونها الشاعر، وكانت بين مجدد، وكبير،

---

(١) أساطير، بدر شاكر السياب، المقدمة، ص٥-٦

(٢) المصدر السابق، ص٦.

(٣) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص٢٩.

(٤) إعادة نظر واجبة (بيان)، عبد الوهاب البياتي، ص٢.

ومرهف، ومعاصر، وشاعر الغد، شاعر فنان، وشاعر مقاتل، وسواها. ويبدو أن هذه الصفات لا تهدف الى التضامن حسب، بل يؤسس عليها المرسلون بوصفهم شعراء، أفعالا حجاجية؛ فبالإضافة إلى انها حجج في ذاتها مسندة إلى المرسل إليهم، وإلى جمهور يصطف معهم، فقد وضّحت صفاتهم على ان المرسل إليهم، يسايرون المرسلين فيما يقولونه، حول محاولة التجديد على مستوى الشعر شكلا ومضمونا.

ويرتبط السُلَّم الحِجاجيّ القوّة الحِجاجيّة، في كثير من مقدمات دواوين شعراء التفعيلة أو بياناتهم، وقد ظهر هذا السلّم الحجاجي طاقة إقناعيّة منحها السياقُ، وقصدُ المتكلم، إلى القول في موقف ما. فالحِجج –بما أنّ لكلِّ واحدةٍ (قول) منها طاقةً إقناعيةً ما– لا تتساوى، ولكن تتفاوت قوةً وضعفًا في الخِطاب الواحد، فثمة حِجج قوية، وأخرى أقوى، وضعيفة وأضعف، وقاطعة وعادية. لكنّ تواجدَها في خِطاب واحد، يعني أنّها تخدم نتيجة واحدة. وتسمى مجموعة الحِجج المتفاوتة في طاقتها الإقناعيّة (أو قوتها الحِجاجيّة)، الداخلة في نِطاقٍ حِجاجيّ واحد، والمؤدّية نتيجة واحدة، بـ (الفِئَة الحِجاجيّة)[1].

وبما أنّ الفئة الحِجاجيّة تتكون من مجموعة الحِجج المتفاوتة في قوّتها وضعفها، بحيث تتوجّه جميعها إلى نتيجة واحدة (ن)، فإنّه يمكن ترتيب تلك الحِجج تصاعديًا، من الأضعف إلى الأقوى، بحيث تُعتبر الحُجة الثانية (ق٢) أقوى من الأولى (ق١)، والثالثة (ق٣) أقوى من الثانية (ق٢)، وهكذا دوليك، إلى نحصل على متوالية حِجاجيّة تتوزّع على محورٍ عموديّ، يمثّل له "ديكرو" بالرسم الآتي[2]:

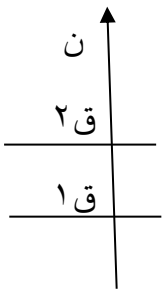

(١) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٧٦.

(٢) نظرية الحِجاج في اللغة، شكري المبخوت، ، ص٣٦٥.

إنّ مفهوم السلّم الحِجاجيّ" يختزل المفهومين، أو المبدأين السابقين (العدول، والروابط الحِجاجيّة). فالقول المعدول عنه يمثّل حجّة أضعف من القول الذي اختاره المتكلم في خِطابه، حتى لو كان هذا القول هو الأصل. كما أنّ الرابط إذا جمع بين حجّتين، فإنّ الحجّة التي تليه هي الأقوى، وهي، بالتالي، الأقرب إلى النتيجة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ السلّم الحِجاجيّ يعمل على تنظيم الخِطاب في شبكةٍ واحدة، ممّا يضمن انسجامَه، اعتمادًا على أنّ السلم الحِجاجيّ ينطلق من مبدأ تلازم النتيجة للحجة، فالحجة التي يوظّفها المتكلم في خِطابه، إذا راعى فيها مقاصدَ المتكلمين وتوجّهاتهم، وكانتْ وفقَ مقتضيات السياق، فإنّ لها نتيجةً تعقبُها، وتؤكّد نفاذها، سواءً أكانتْ النتيجة صريحةً أو مضمرة، وهذا ما يجعل من الحِجاج أداةً براغماتيّة فعّالة في تحليل الخِطاب.

وهذا ما يحضر لدى نازك الملائكة في خطابها في مقدمة ديوانها (شظايا ورماد)، حيث تقول "ويقولون: ما لطريقة الخليل؟ وما للغة استعملها آباؤنا منذ عشرات القرون؟ والجواب أوسع أن يمكن بسطه في مقدمة قصيرة لديوان. ما لطريقة الخليل؟ ألم تصدأ لطول ما لامستها الأقلام والشفاه منذ سنين وسنين؟ ألم تألفها أسماعنا، وترددها شفاهنا، وتعلك أقلامنا، حتى مجتها منذ قرون ونحن نصف انفعالاتنا بهذا الاسلوب حتى لم يعد طعم ولا لون. لقد سارت الحياة، وتقلبت عليها الصور والألوان والأحاسيس ومع ذلك ما زال شعرنا صورة لقفا نبك وبانت سعاد"[١]، لقد ساقت نازك الملائكة عددا من الحجج، تدلل بها على مدى عجز طريقــة الخليل بن أحمد الفراهيدي في العروض، عن استيعاب التجربة الجديدة في شعر التفعيلة التي تبشر بها الملائكة في مقدمة ديوانها (شظايا ورماد)، وقد أوردت الشاعرة الحجج حجة بـعد حجة في احدى قضاياها المطروحة، التــي توزعت بين الوزن والقافية، وقـد استخدمت الأداة (حتى) من أضعف قوة في الحجاج الى اعلى قوة فيه، ويمكن بيانها في هذا السلم الحجاجي:

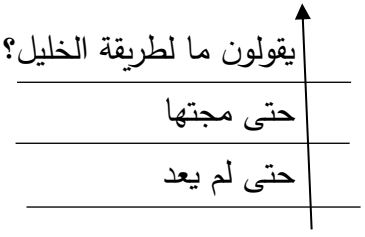

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص٨.

إن الحجج الجاهزة أو الشواهد هي من دعامات الحجاج القوية، إذ يضعها المرسل في الموضع المناسب، وهنا تبدى أهليته وبراعته في توظيفها، حسب الموضع الذي يتطلبه السياق[١]، ويكون تصنيفها في السلم الحجاجي بالنظر إلى طبيعتها المصدرية، إذ ليست هذه الحجة الدليل من إنتاج المرسل، بقدر ما تكون منقولة على لسانه، ولكن نقلها على لسانه ينبئ عن كفاءته التداولية، فيكمن دوره في توظيفها توظيفا مناسبا في خطابه، ولهذا السبب، فهي تعلو الكلام العادي درجة، مما يجعلها ترقى في السلم الحجاجي إلى ما هو أرفع، ويرى طه عبد الرحمن أنها محاورة بعيدة أو (تناصا)، وذلك حسب طريقتين،" أحدهما تسمى طريقة ظاهرة، يعرض فيها المحاور شواهد من أقوال آخرين، مثل النقل، والتضمين، والاقتباس، وهذا الصنف يكون أقرب للتفارق أكثر منه للتعالق مع ما يعتقده الآخرون؛ إذ يذكره المرسل لإظهار انفراده بتكوين الخطاب"[٢]، وتسهم هذه الآلية في رفع ذات المرسل إلى درجة أعلى، وبالتالي منحها سلطة الخطاب، عند التلفظ بخطاب ذي بعد سلطوي في أصله، وعندها يبلغ المرسل بخطابه مكانا عليا، مستمدا ذلك من سلطة الخطاب المنقول على لسانه سلطة الخطاب الذي يواري المرسل وراءه.

لقد وظفت هذه الآلية نازك الملائكة في مطلع مقدمة ديوانها (شظايا ورماد)، في قولها:" في الشعر، كما في الحياة، يصح تطبيق عبارة برنارد شو: ((اللا قاعدة هي القاعدة الذهبية)) لسبب هام، هو أن الشعر وليد أحداث الحياة، وليس للحياة قاعدة معينة تتبعها في ترتيب أحداثها، ولا نماذج معينة للألوان التي تتلون بها أشياؤها وأحاسيسها. ولا تناقض بين هذا الرأي وما يقسم اليه النقاد الشعر من مدارس ومذاهب حين يقولون ...."[٣]

---

(١) ينظر: الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته ، من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان و تيتيكا، ص٣٢٤-٣٤٨.

(٢) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمان، الدار البيضاء-بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠، ص٤٧.

(٣) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص٧

الملاحظ ان نازك الملائكة تصدّر خطابها بالتناص، عبر آلية الاقتباس القولي الكامل للناقد الأيرلندي الشهير (جورج برنارد شو) المتوفى سنة١٩٥٠، وذلك لتدعيم فكرتها، وإظهار حجتها ظهورا قويا، ثم تعمد من خلال هذا الاقتباس، على فرض سلطتها على المرسل اليه لتدعم حجتها، ولتحصل على الاقناع بوصفه إنجازا من أجله تسوق هذه الحجج والمقولات الدالة. ومن هذا تقول: "ثم ان هنالك سببا آخر هاما يستدعي هذا الاستبعاد للألفاظ التي كثر استعمالها، هو أن الأذن البشرية تمل الصور المألوفة والأصوات التي تتكرر، وتستطيع أن تجردها من كثير من معانيها وحياتها، وخير مثال لهذا أننا ننفر الآن بطبيعتنا من استعمال ألفاظ كهذه: عنبر، كافور، غصن بان، قد، هلال، صدغ، عود، نرجس، لؤلؤ"[١]. إن الملائكة تضمن حججها أقولا، كانت استخدمت آنفا، او مفردات استعملت فيما ما مضى بوصفها أساسيات في الشعر، بيد أنها الان ناشزة، ان استخدمت في الشعر. ونازك الملائكة تفعل هذا لتدعم حجتها من جانب، ولتفرض سلطة خطابية على المرسل اليه؛ لتبلغ بالخطاب غايته الكبرى في الإنجاز، من جانب ثان.

وقد يرد ذكر الصراع نوعًا من الجِدال، وشكلا من أشكال الحِوار، ليأخذُ طابع الحِجاج؛ لأنّه يعترف بالآخر طرفًا في اتخاذ القرار، من جانب، ويخضع الحوار لرقابة العقل، ومنطق الاستدلال، من جانب آخر. وهذا الأمر يظهر جليا في بيان عبد الوهاب البياتي، (إعادة نظر واجبة) الذي يقول فيه: "وفي (أرضنا الطيبة) وفي شرقنا العربي، وفي القرن العشرين أيضا لا يزال مئات ومئات من صيادي الذباب ينظمون ويهرفون، فمن لنا بإحراقهم وإحراق أشعارهم وذبابهم. وأعود إلى رعش الذباب– القافية La rime وإلى الوزن أو الإيقاع Le rythme فأقول: إنه قد آن لنا أن نقضي عليهما– قدر الإمكان– "لأنهما لم يعودا مؤاتين لتجاربنا الجديدة" ولأزمة ضميرنا وحريتنا. هذا وإن جمود الشعر عاجز، ناقص، كسح ينبغي أن يعاد فيه النظر"[٢] إن بيان البياتي يشتغل بوصفه جزء من نقد (طريقة الخليل)، وهو نقد، بالرغم من كونه يلامس قضايا جوهرية في الشعر،

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص١٠–١١

(٢) إعادة نظر واجبة (بيان)، عبد الوهاب البياتي، ص٢.

العربي وأدبه، يحاول النفاذ إلى حقيقة الموقف في نقد شروط تاريخية دينية وسياسية تحكمت في صوغ معياريتها، سواء على مستوى مفهومها للشعر، ووظيفته وأغراضه وأوزانه وألفاظه ومعانيه، أو على مستوى رؤيتها إلى بناء القصيدة وأجزائها. ولكن البياتي يعرض كلّ هذه المفاهيم عرضا يأخذ الصراع فيه مع الآخر، واستعادة مقولات المخالفين، سبيلا للمحاججة من أجل شعرية تكتب الشعر، لأجل بناء الأمة.

ولكنّ الشاعرة نازك الملائكة تقيم الحجاج على الشكّ، و"بما أنّ الشكّ يقتضي، هو أيضًا، أن يُبرَّر، فإنّ الوضع الحِجاجيّ النمطيّ –كما يرى (شارودو)– يتّسم جدليًا بتفصيل وتجابه وجهات النظر المتعارضة في شأن نفس المسألة"(١). هذا يعني أن الحِوار ليسَ له غنىً عن الحِجاج، فهو ثوبه الذي يرتديه في كلّ المواقف؛ ذلك أنّ كلّ تفكير أو تواصل مع الآخر هو محاولة في جعله يقتنع بأفكاره، أو يشركه معه فيما يتبناه من أفكار. وما يمكن ملاحظته في مقدمة ديوان (قرارة الموجة)، حضور الجدل والحوار المبني على التردّد والشّك، الذي يُساق لأغراض حجاجية إقناعية؛ للكشف عن معيار انتقاء العنوان الخاص بالديوان الذي تضع له الشاعرة مقدمة، ومن ناحية أخرى، يتم بسط مسألة التردد في اختيار العنوان، ويجري كل هذا في ديوان قرارة الموجة دائما من خلال تقنية الحوار:

"الثانية: إني أحب أن أغير عنوان الديوان من (قرارة الموجة) إلى (طريق العودة) فما رأيك؟"

الأولى (...)، أتعلمين أن هذا قد خطر لي أنا نفسي مرارا؟ إن قصيدة (طريق العودة) كبيرة الدلالة وأنا أعدها مفتاح الفلسفة التي قامت عليها حياتي.

الثانية: اتفقنا إذن، فلنسمه (طريق العودة).

الأولى: كلا ليس فى وسعى أن أوافق. إن القراء سيظنون العنوان غواية لا أكثر. سيحسبون أنني لم أجد عنوانا يلخص عقدة الديوان ويدل عليها فلجأت إلى تسميته باسم إحدى القصائد: الواحدة الأثيرة إلى قلبي.

---

(١) معجم تحليل الخطاب، ص٧٢.

الثانية: وماذا لو ظنوا هذا؟ إن ديوان شعر ما ليس عملا موحدا بحيث يجب أن يلخصه العنوان.

الأولى: هذا ما لا أوافق عليه. إن العنوان ليس إلا مرآة صغيرة تعكس فترة من حياة زاخرة عاشها الشاعر، ولا بد لكل فترة في حياة الشاعر الحق من اتجاه مميز، إنه شيء قائم، وهو يحتم العنوان"[١]

فبوساطة التردد، والشك يتمّ الكشف عن معيار انتقاء العنوان، ووضعه الاعتباري بوصفه دالا لا ينهض على مبدأ الاعتباط في علاقته بالديوان كمدلول، بل إن علاقته به، في تصور الشاعرة؛ تكون محفزة بالدرجة الأولى؛ بمبدأ الضرورة وبعامل الانعكاس، وهذا لا يسمح برأيها بأي تعديل يطاله في المستقبل. فحتى لا يتحول العنوان، برأيها، إلى مجرد غواية، عليه أن يلخّص عقدة الديوان؛ لأنه بمثابة (مرآة تعكس فترة من حياة زاخرة عاشها الشاعر)؛ لهذا فإن الأخير مدعو إلى تجنب إطلاق أسماء القصائد على عناوين المجموعات، ومدعو إلى إنهاء التردد والوفاء لمعيار المرآة.

هكذا، سارت العملية الحِجاجية في الحوار؛ فكلّ متكلم سعى بشكلٍ أو بآخر، إلى إقناع المخاطَب، باستحضار حجج، يقوّي بها مرادَه، أو يدحض بها حجج الخصم، وهو بذلك، يبني خِطابًا وَفْقَ آليات وتقنيات، يوظّف فيها المتكلم كفاءته اللغوية والبلاغية، التي تغذّي الحِجاج، ليكون الخِطاب قادرًا على القيام بوظيفة الإقناع والتأثير، التي هي الغاية الأساس من كل تواصلٍ لغويّ.

المبحث الثالث: ـ مندرجات خطاب الاستراتيجية الاقناعية في النص وخارجه

إنّ كل تفكير حِجاجي، هو تفكير مع الآخر، وتواصل معه، فقد أكّد "بيرلمان" أنْ لا حِجاج بدون وجود جمهور يرمي الخِطاب إلى جعلِه يقتنع، ويسلم، ويصادق على ما يُعرض عليه"[٢]. فالحِجاج تواصل لغويّ، تتفاعل فيه الذوات (الأنا والأنت)، ، وينهض

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان قرارة الموجة، المقدمة،، ٢١٠-٢١١

(٢) الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، ص٣٠٦.

على جملة من العناصر، لا ينجح إلا بها، وهي –إلى جانب المتكلم والمخاطَب– القصدية، والاتّفاق، والسياق المقاميّ. فالحِجاج –بوصفه عملا لغويًا– يتحقق بالقصد الإقناعيّ (غرض المتكلم الحِجاجيّ)، والقصد الانعكاسيّ/ الاقتناعيّ (قبول المخاطَب)، وينطلق من أرضيّةٍ مشتركة بين المتخاطبين، تُحرّك المخاطَب نحو العمل الحِجاجي، وتُضفي مصداقيّة مبدئية على فرضيات المتكلم(١)، أي خِطابه الذي يعطيه السياقُ المقاميّ مشروعيةَ التواصل. إنّ للعمل الحِجاجي، في إطار التواصل، فائدةً يجنيها المخاطَب، تتوزّع في مسارين: المسار الإخباريّ، والمسار التأثيريّ، ويرى "ديكرو" أنّ الوظيفة التأثيرية أساسيّة، بينما يرى الوظيفة الإخباريّة ثانويّة.(٢)

إن التواصل هو الطريقة التي يمارس فيها المتكلم حِجاجه وتأثيره في المخاطَب اعتمادًا على "آليات وأدوات حِجاجية ماثلة في الخِطاب، بالإضافة إلى ما يصحبها من تغييرات صوتية – وظيفية (التنغيم والنبر)، وتغييرات إشارية (تعابير الوجه واليدين)"(٣)، وتُعدُّ اللغة رافدًا مهمًا للحِجاج، من وجوهٍ ثلاثة؛ "أمّا الأول، فاللغة توفّر للحِجاج إمكاناتِها القابلة للصياغة الحِجاجيّة في ضوءِ المقام، حيث تجد الوظيفة الحِجاجية لخطاب ما عناصرَها الأساسية في بنية اللغة، ومن وجهٍ آخر، فإنّ هذه الإمكانات تحدّد الوجهة الحِجاجيّة للقول (أو الخِطاب)، وهذا يستلزم أنّ القول لا يصلح أن يكون حجة لهذه النتيجة أو تلك، إلا بموجب الوجهة الحِجاجية المسجلة فيه، حيث تحدد المسار التأويليّ الذي على المخاطَب أن يسلكَه للوصول إلى النتيجة المتوخاة، ومن وَجْهٍ أخير، فإنّ اللغة –بوصفها نظريةً يمارسُ فيها الحِجاج وظائفَه– تجعل الخِطاب قطعةً واحدةً يطلب آخرُه أولَه، وحاضرُه غائبَه، حيث تتسلسل الأقوال في بناءٍ واحدٍ، منها حِججٌ يقدّمها المتكلم للمخاطَب، ومنها نتائج يسعى المتكلم إلى جعل المخاطَب يستنتجها من بنية اللغة، ويقبل بها.

---

(١) ينظر: الحجاج في اللغة، ص١٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص٤٢.

(٣) التواصل والحِجاج، أية علاقة؟ عبد العزيز السراج، ضمن: الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الأردن: عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص٢٧٤.

كما تمدّ البلاغة الحِجاج بالعناصر الأساسيّة، التي تساهم في توليد الطاقة الإقناعية، سواء على صعيد الشكل والهيئة، والتزويق الأسلوبيّ، أو على صعيد المعاني الوظيفية، إذ لا استعارة لمجرّد الاستعارة، ولا كناية لمجرد الكناية نفسها، بل لأغراض حِجاجيّة تمثّل درجة عليا في الإقناع.

ويخلص (روبول) إلى القول إنّ "كلّ ما اعتدنا اعتباره بلاغة في خِطاب ما، وبخاصةً صورَ الأسلوب، سَيُفسَّر باعتباره حالةً خاصةً من أحوال الحِجاج"(١)، فلا خَلاص للحِجاج من البلاغة، لهذا طابق "بيرلمان" و"تيتيكا" البلاغة بالحِجاج، فالحِجاج عندهما بلاغة، وإن أُخِذ عليهما أنّهما لم يبديا كثيرَ اهتمام لما للشكل من طاقةِ حِجاجيّة كبيرة في الخِطاب(٢). والاليات الابلاغية في الحجاج عديدة، منها:

اولا: تقسيم الكل الى أجزاء: قد يذكر المرسل حجته كليا في اول الامر، ثم يعود الى تفنيدها وتعداد اجزائها ان كانت ذات أجزاء؛ ليحافظ على قوتها الحجاجية فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه ، وهذا ما أوردته نازك الملائكة في مقدمتها لديوانها شظايا ورماد، فقد انتقلت من الكل الى الجزء، إذ إنها في مطلع المقدمة تتناول مفهوم الشعر تناولا عاما، بوصفه وليد احداث الحياة عامة، وليس لحياة معينة؛ لذا هو متغير بتغير الحياة، ثم تنتقل بالأفكار المكونة لمفهوم الشعر بدء من الاوزان، وتتناول بعد هذا اللغة الشعرية، فالالفاظ لتعود الى قضية الاوزان، التي تستعين فيها بامثلة تطبيقية، تعزز خطابها، ويأتي بعد هذا حديثها عن القافية(٣)، وهكذا فهي تنتقل من الكل الى الأجزاء؛ لتدل بالتالي في مجموعها، على قوة حجتها بضرورة التجديد في الشعر العربي وعلى مستوى الشكل والمضمون.

أما مقدمة الشاعرة نازك الملائكة لديوانها (شجرة القمر)، فتتوزعه ثلاثة أقسام، الأول: حول (شجرة القمر)، والثاني: حول (البعث)، والثالث: حول (الشعر الحر). القسمان،

---

(١) هل يمكن أن يوجد حِجاج غير بلاغي؟ أوليفيي روبول، ضمن: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، محمد العمري، المغرب: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٥، ص٢١٦.

(٢) ينظر: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحِجاج)، ص٣١٧.

(٣) ينظر: ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص٧-٢٩.

الأول والثاني، يقدمان معلومات حول قصيدتي (شجرة القمر، والبعث)، فيما يقدم القسم الثالث تحفظات وأرقام حول موقف وإنجاز الشاعرة في شعر التفعيلة[١]. لقد ورد هذا البناء والانتقال من الجزء إلى الكل، لغايات حجاجية إقناعية، غرضها تأمين قراءة جيدة للديوان، وإظهار حماس معتدل لشعر التفعيلة، بعيدا عن التطرف الذي يؤدي، في رأي الشاعرة، إلى ما لا يحمد من ترك (الأوزان الشطرية العربية تركا قاطعا).

ثانيا: الاستعارة: قد تعلو الاستعارة استعمال ألفاظ الحقيقة؛ لأنه لا يفضل المرسل استعمالها، إلا لثقته بأنها أبلغ من الحقيقة حجاجيا، وهذا ما يرجح تصنيفها ضمن أدوات السلم الحجاجي[٢]، ويستخدم المرسل هذه الاستراتيجية او الالية منها لكونها تهدف الى تغيير الموقف الفكري او العاطفي للمتلقي، وقد استخدمت هذه الالية نازك الملائكة، قائلة: " ثم لنتحدث عن القافية، ذلك الحجر الذي تلقمه الطريقة القديمة كل بيت"[٣] ، فإذا كانت الاستعارة من حيث التركيب نوعا من القياس الإضماري، الذي حذفت مقدمتاه وبقيت النتيجة[٤]، فإن قول نازك أن القافية حجر البيت القديم، فالاستعارة في لفظ (حجر) هي نتيجة لمقدمتين مضمرتين، المقدمة الأولى: الحجر مادة البيت القديم، والمقدمة الثانية: القافية مادة الطريقة القديمة(عروض الخليل)، والنتيجة الاستعارية: القافية حجر قديم. والاستعارة في مقولة نازك حجاجية، وليست لغوية؛ لأنها كانت من الوسائل التي انتدبتها الشاعرة بوصفها مرسلا، بقصد تحقيق أهداف حجاجية، مرتبطة بمقاصد الملائكة، وواقعة ضمن السياقات التواصلية والتخاطبية.

---

(١) ينظر: ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شجرة القمر، المقدمة، ص٤٠٩-٤١٩.

(٢) ينظر: نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، أبو بكر العزاوي، مجلة المناظرة: المغرب، العدد:٤، السنة الثانية، ١٩٩١، ص٧٨-٨٤، نقلا عن: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٢٢٨.

(٣) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص١٧.

(٤) ينظر: المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة، شوقي المصطفى، الدار البيضاء: دار الثقافة ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ ، ص٢٣.

ثالثا: التمثيل: هو عقد الصلة بين صورتين، ليتمكن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه، فالتمثيل "طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابه المستهلك؛ إذ لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابه دائما، وانما بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان أن تكون مترابطة"(١)، ويمارس التمثيل دورا "إقناعيا عاليا يؤثر في النفوس ويحثها على القبول بمقاصد المتكلم على اختلاف المقامات الكلامية والأغراض القصدية"(٢)، تقول نازك الملائكة: "والذي اعتقده ان الشعر العربي، يقف اليوم على حافة تطور جارف عاصف لن يبقي من الأساليب القديمة شيئا، فالأوزان والقوافي والأساليب والمذاهب ستتزعزع قواعدها جميعا، والالفاظ ستتسع، حتى تشمل آفاقا جديدة واسعة من قوة التعبير، والتجارب الشعرية (الموضوعات) ستتجه اتجاها سريعا الى داخل النفس، بعد ان بقيت تحوم حولها من بعيد، أقول هذا اعتماد على دراسة بطيئة لشعرنا المعاصر واتجاهاته"(٣). تتبين في النص السابق الكيفية التي تعقد بها نازك الملائكة الصلة، بين صورتين للشعر، قديمة وحديثة، وهناك نصوص عدة، تعج بهذا التمثيل، بين مستويين، سابق ولاحق، وجمال اللاحق على السابق، لضرورة العصر على اعتبار تعريفها ان الشعر ليس لزمان او مكان محددين، مع المدح الظاهر للشعر المعاصر، وشعرائه وهذه آلية حجاجية ناجحة.

ثالثا: البديع: يستعمل المرسل أشكالاً لغوية، قد تصنف زخارف شكلية، ومحسنات بديعية، غير انّ لها دوراً حجاجياً ليس على سبيل تزيين الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد. والبلاغة العربية مليئة بهذه الصور والإمكانات، ومليئة بالشواهد التي تثبت أن الحجاج من وظائفها الرئيسة. إن المحسنات البديعية يمكن أن تؤدي الوظيفة الحجاجية ، و" إن محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة ، وعلى العكس

---

(١) الحجاج وتوجيه الخطاب، باسم خيري، العراق: دار نيبور، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، ص١٤٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة ، ص٢٧-٢٨

من ذلك ، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإن المحّسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب ، ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع ".[١] وقد استعملت نازك الملائكة اشكالا بديعية متنوعة؛ لتعزيز إنجازها، والبلوغ بخطابها وحجاجها غايته الجمالية من جانب، والنفعية من جانب اخر، حيث تقول عن اللغة التي تلتزم عمود الشعر العربي القديم: "ألم تالفها اسماعنا، وترددها شفاهنا، وتعلكها اقلامنا، حتى مجتها منذ قرون، ونحن نصنف انفعالاتنا بهذا الأسلوب حتى لم يعد له طعم ولا لون"[٢]. من الواضح أن الشاعرة تعمد إلى أسلوب السجع بوصفه بديعا لفظيا، في صياغة فقرات من مقدمة ديوانها (شظايا ورماد)، وعلى الرغم مما يبدو من منطقية حجتها، فإنها تأتي في خطابها على لون بديعي لفظي؛ لتعطي لحجتها جرسا موسيقيا يمنح الجمال والرونق، لدى المتلقي فيحقق التواصل الذي هو غاية الحجاج ومقدمة الإنجاز.

وفي قول الملائكة تصف اللغة العربية: "انها قد كانت يوما ما لغة موحية، تتحرك، تضحك وتبكي، تعصف..."[٣]، يجد القارئ لونا بديعيا معنويا، هو الطباق عبر التضاد، بين تضحك وتبكي، لتكسب الخطاب، جمالا، ولتجعل الحجة أكثر ظهورا في الخطاب؛ لأن الطباق ساعد على أن تتساند الحجج وتتضافر فيما بينها، لتؤكد نتيجة واحدة مضمرة، هي أن اللغة في الطريقة القديمة، لا تناسب روح العصر، كونها لغة جامدة.

ومن مندرجات الاستراتيجية الإقناعية، الحجاج بالتبادل، الذي يحاول المرسل فيه اعتماد آليّة يصف فيها الحال نفسه في وضعين ينتميانِ إلى سياقين متقابلين، وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات، ويكثر استعمال الحجاج بالتبادل في الخطاب الذي صاغ فيه شعراء التفعيلة تجاربهم الشعرية لإقناع المرسل بجدوى ما يذهبون إليه، ويمكن تلمس هذه الاستراتيجية بوضوح في (تجربتي الشعرية) للشاعر عبد الوهاب البياتي، يقول: " كان طرفة بن العبد وابو نواس والمعري والمتنبي والشريف الرضي، هم أكبر من أثر فيّ من الشعراء العرب، لقد وجدت فيهم نوعا من التمرد على القيم السائدة،

---

(١) التداولية والحجاج، صابر الحباشة، ص٥١.

(٢) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة ، ص٨-٩

(٣) المصدر السابق، ص٩.

والبحث عن أشياء لا يوفرها واقعهم أو مجتمعهم او ثقافتهم. لقد عانى هؤلاء محنة الوجود الحقيقية، وعبروا عن أنفسهم باصواتهم الذاتية لا باصوات غيرهم. ورغم هذا فقد انتابني ازاءهم نوع من القلق حينما تبينت إن لغتهم كانت لغة مصنوعة. كانت الاشياء التي يصفونها موجودة قبل وجودهم وان كلماتهم كانت تفقد حضورها في نفسي وتتحول الى دلالات فقدت عندهم الكثير من أصالتها، وانهم انطفأوا على اسوار عصرهم عاجزين عن تخطي رؤياه وامكانياته. لقد كان الشكل الذي امدتهم به ثقافتهم الشعرية وتراثهم الشعري شكلا مصبوبا منسقا خلقته رؤى واحتياجات ومفاهيم وجدانية وفكرية وموسيقية معينة. وفي نفس الوقت الذي فتنتني فيه قدرتهم على تخطي واقعهم الاجتماعي والتعبير عن شحناتهم الوجدانية المتوقدة، أحسست بان الشكل الذي لم يستطيعوا تجاوزه كان قيدا على رؤاهم وعواطفهم المتمردة، كان قيدا على رؤاهم، كما تصورتها، أنا منعكسة على صفحة نفسي، التي هي جزء من عالم مختلف وعصر متجدد"[١].

وما يهم هنا هو إقناع المرسل بتطبيق قاعدة العدل[٢]، وما يتميّز به هذا النوع من الحجاج أنه دعوة المرسل (الشاعر عبد الوهاب البياتي) للمرسّل إليه (القارئ)، إلى ترسيخ مبدأ الثماثل بين اتجاه قديم، واتجاه حديث، وعرض رؤية كل اتجاه عرضا متكافئا، فقد عكف البياتي على وضع الرسالة في مواجهة نتيجتين محتملتين، مع الإتيان بمتطلبات ومسوغات كل احتمال، وانتهى إلى اختيار الأصح والأنجع من بينهما؛ للوصول إلى نتيجة أكثر مصداقية، ولبلوغ الحجة غايتها في إنجاز سعى إليه الشاعر عبد الوهاب البياتي.

وتندرج آلية (تحصيل الحاصل) في الخطاب الحجاجي لدى شعراء التفعيلة العرب، إذ إن هناك من يعدّ بعض الخطابات مجرّد حشو، أو تحصيل حاصل، لا تقدّم شيئاً في الخطاب، والحق أن كل جزء من الخطاب يضطلع بدلالته الحجاجية[٣]، ويمكن للمرسل أن يعتمد علِى (التكرار)، بوجهين مختلفين للدلالة نفسها، ليؤكّد بعضه ببعض، ليتحقق

---

(١) تجربتي الشعرية، عبد الوهاب البياتي، ص٥.

(٢) حول مبدأ العدل في الحجاج، أنظر: نظرية الحجاج، عبد الله صولة، ص٤٥.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٤٨٩-٤٩٠.

الأثر التداولي للإقناع، ومن مظاهر آلية (تحصيل الحاصل) في الخطاب الحجاجي، تكرار العبارة نفسها، ويحدث هذا في النقاشات لإثارة الاستغراب، كما صنع بدر شاكر السياب في تقديمه المختارات الشعرية في بيان ألقاه ببيروت، نشر ربيع ١٩٥٧، يقول السياب: " اننا نعيش في عالم قاتم، كأنه الكابوس المرعب. وإذا كان الشعر انعكاسا من الحياة، فلا بد له من أن يكون قاتما مرعبا. لأنه يكشف للروح أذرع الأخطبوط الهائل، من الخطايا السبع، الذي يطبق عليها ويوشك أن يخنقها. ولكن ما دامت الحياة مستمرة، فإن الأمل في الخلاص، باق مع الحياة. انه الأمل في أن تستيقظ الروح. وهذا ما يحاوله الشعر الحديث".[١] إن التكرار–هنا– لايندرج في باب التكرار اللفظي، بل هو تكرار يقوي حجته في كل مرّة يُتلفْظ بها، ولكنّ المتغيّر المصاحب للتلفُظ هو الأثر التداولي، وعليه فليس هناك تكرار أو ترادف في الحجاج من الناحية الدلالية.

ومن ضروب تحصيل الحاصل يجد القارئ أن نازك الملائكة، بوصفها مرسلا في مقدمتها لديوانها (شجرة القمر)، تعمد إلى إحالة ذهن المرسل إليه، إلى السمات اللازمة للدال، التي يظهر أنها معروفة عنده؛ دون أن يصرّح بها؛ لأنَ المرسّل إليه يدرك حجّة المرسل، وإنما يريد الاطلاع على الأسباب التي تؤدّي إليها. تقول نازك الملائكة في القسم الأول من المقدمة، الملخص لقصيدة (شجرة القمر)؛ في نص يبلور هذه وظيفة آلية تحصيل الحاصل في الخطاب الإقناعي: " لعله لا يخفى أن الغلام في قصيدتي رمز للشاعر (أو الفنان)، فهو يحب الطبيعة حبا يفوق حب الآخرين لها، ويريد أن يقترب منها ويذوب فيها ليصوغ منها ألحانه وقصائده ولذلك نرى الغلام يحلم بأن (يصطاد القمر) ويأخذه إلى كوخه ... وتكون ثورة الرعاة والصيادين رمزا للحق العام في القمر، فإذا كانوا لا يصلون إلى استرجاع الأسير فإن ذلك لا يتم إلا بخدعة يرتكبها الغلام، فهو يدفن القمر في الأرض ليستنبت منه شجرة سامقة لا مثيل لها بين الشجر، لأن ثمرها المتدلي من أغصانها ليس إلا أقمارا فضية متألقة ... معناه أن الفنان يتناول الطبيعة ويبدع منها فنه، فإذا كان في السماء قمر يملكه الوجود كله فإن في وسع الفنان... أن يصنع نماذج منه في قصائد وصور. وتنتهي القصيدة بأن يعيد الفنان القمر العام إلى

(١) تقديم السياب لمختارات شعرية، ص١١٢.

الوجود ويكتفي بالأقمار التي تثمرها شجرة الشاعر. ومن الطبيعي أن تكون هذه الشجرة غذاء روحيا للقرية كلها على الرغم من أنها مما أبدعته حماسة الشاعر وحبه للجمال".[1]

من الواضح أن نازك الملائكة تعتمد هنا على تنوّيعات حجاجيّة، تمَثّل ضربا خطابيا مايسمّى بـ(التمثيل)، يتجسّد من خلال تعدد التعاريف رغم وحدة المعرّف، سواءٌ أكان ذلك بتعداد عبارات تعريفية، أو عبارات تحمل ذات المعنى في سياقها؛ إذ يبقى ما يعطي عبارات من هذا التنوع قيمتها الحجاجيّة هو توظيفها في السياق، الذي سعت الملائكة إلى وضعه في بيان المقصود، وكشف المراد، فلجأت إلى تلخيص قصة (شجرة القمر)، التي بنت عليها القصيدة، مستهدية، في سبيل ذلك، بتقنية تقليدية تقوم على حل المنظوم، وفي تزامن مع هذا السياق، تحدد الشاعرة رمزية القصة الشعرية وبعض مكوناتها. لقد كان الغلام رمزا للشاعر، والقمر رمزا للجمال المطلق، الذي يرغب الشاعر في امتلاكه. وشجرة القمر، التي استنبتها الشاعرة في النهاية، رمزا لشجرة الشعر، التي تطرح أقمارا شعرية تمثل (غذاء روحيا) لكل الناس.

(١) ينظر: ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شجرة القمر، المقدمة، ص٤١١.

الفصل الثالث

آليات الاستراتيجية التضامنية ومسوّغات حضورها في الخطاب

المبحث الاول: مسوّغات التضامن وعلاقته باستراتيجيات الخطاب

المبحث الثاني: قواعد الاستراتيجية التضامنية والعناصر المتحكمة فيها

المبحث الثالث: مكوّنات الاستراتيجية التضامنية بين اللغوية وغيرها

الفصل الثالث

آليات الاستراتيجية التضامنية ومسوّغات حضورها في الخطاب

المبحث الاول: ـ مسوّغات التضامن وعلاقته باستراتيجيات الخطاب

ذكر الباحثون عددا من المصطلحات للتعبير عن الاستراتيجية التضامنية، أو لإيضاح حدّ التضامن، فقد استعمل (براون وغيلمان) التضامن، واستعمل (براون وليفنسون) البعد، واستعمل (ليتش) البعد الاجتماعي؛ وذلك للتفاوت في تحديد مفهومها، واختلاف طرحهم حولها، وتعدد الرؤى بصدد ما يحيط بها وآثارها، بيد أن المفهوم الذي يقصدونه واحد. ويمكن أن نجد للإستراتيجية التضامنية تعريفات شتى، كلّ يعرفها حسب وجهة نظره ومرجعيته[١]، ولكن الشهري في كتابه (استراتيجيات الخطاب)، يقدم مفهوماً لها بقوله: "هي الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وان يعبّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، واجمالا هي محاولة التقريب من المرسل إليه وتقريبه"[٢].

إن وجود العلاقة بين المرسل والمرسل إليه، أو عدمها، يعد من أهم العوامل التي توجه المرسل في تبني استراتيجية خطابية ملائمة للسياق، ولكن سياق التضامن يفرض على المرسل استخدام الاستراتيجية التضامنية؛ لأنها هي المتكفلة برسم طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب، فإن وجدت هذه العلاقة يسعى المرسل إلى إنهائها وتقويتها، وإن غابت فإنه يسعى إلى خلق هذه العلاقة اولاً، ومن ثم يعكف على تمتينها وتقويتها وصولاً إلى علاقة حتمية[٣]. فالمرسل يختار هذه الاستراتيجية، إن كان ينوي انشاء أو تقوية العلاقة بينه وبين المخاطب، ويسعى بفضلها إلى تقوية أواصر القربى بينه وبين المتلقي، من خلال تعبيره عن تقديره إلى المرسل إليه، واحترامه، وإعطائه مكانه لائقة، وللعلاقة

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب القرآني سورة آل عمران أنموذجا، مقاربة لغوية تداولية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، التخصص: المعجمية وقضايا الدلالة، ، جيلي هدية، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الأمين دباغين – سطيف ٢: الجزائر، ٢٠١٦/ ٢٠١٧ ، ص٥٦.

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٢٥٩.

(٣) ينظر: التداولية، جورج يول، ص١٠٤.

أيضاً بما يجعله واثقاً بأن المرسل يميل إليه ميلاً طبيعياً خالياً من أي دوافع أو أغراض منفعية، وغرضه التأدب والتخلق في الخطاب.

فإتيان المتكلم بفعل القول على وجه يعين دلالته القريبة، ويجعل النفع من ورائه متحصلاً، هو التأدب[١]؛ فالمتكلم يتعامل بحرص مع المخاطب؛ حتى يحافظ على التواصل، جالبا أقصى ما يمكن من المنفعة لنفسه ولمخاطبه؛ طمعاً في أن يبادله الحرص نفسه، على التواصل، وعلى الوصول إلى المنفعة المشتركة. وبهذا يكون الداعي إلى التأدب في الكلام، وقضاء المصالح وإنجاز الأفعال، موجوداً بوجود التواصل والمنفعة، ومنعدماً بانعدامهما. أما(التبجيل)، فهو ما يطلق عليه باستراتيجية الاحترام والتخلّق، ويختلط مفهومه بمفهوم الاستراتيجية التضامنية، كونها تجسد درجة من التضامن ضعيفة؛ لأنها تميل إلى المحافظة على التعامل الحيادي، وحفظ حقوق المرسل إليه أكثر من ميلها إلى غيره، فهي ليست الاستراتيجية التي تتبع طموح المرسل لتحقيق التضامن بالدرجة التي يرغبها.[٢]

ومن جهة أخرى، فقد تقتضي الدواعي التبجيليّة النظر إلى المصالح والأهداف النفعية نظرة معتبرة، وقد استقصى أحد الباحثين أمثلة عديدة، ليتأكد له أن التبجيل يحتوي تضامناً قوياً يكفل حقوق المتخاطبين جميعا[٣]، فيتخذ هذا الأمر الأولوية على النظر إلى التعامل الأخلاقي بالخطاب. أي أن ما يحدد الاستراتيجية التضامنية هو أولوية التعامل الأخلاقي، يقول طه عبد الرحمن: "ولما ثبت أن التخلق يدعو المتكلم إلى الخروج عن الأغراض والغَناء (بفتح الغين) عن الأعواض، فقد لزم أن يكون الباعث عليه تحقيق مزيد الإنسانية للمتكلم، إذ لا إنسانية بدون أن يزيد اعتبار الغير على اعتبار الذات، بحيث لا تصح نسبتها إلى المتكلم حتى يزيد أنس المخاطب به، ولا يحصل

---

(١) أشارت (روبين لاكوف) إلى مبدأ التأدب، في مقال لها ذائع، بعنوان (منطق التأدب) ذكرت فيه أنه إضافة إلى قواعد التبليغ، التي يقتضيها السياق اللغوي، هناك ضوابط أخلاقية أخرى لا بدّ من مراعاتها تسهم في تحقيق الإفادة المقصودة، وفرّعت عن مبدأ التأدب ثلاث قواعد تهذيبية، هي: التعفف، والتشكك، والتودد. ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٤٠-٢٤١.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٢٥٨.

(٣) ينظر: الاستراتيجية التضامنية التبجيلية وآلياتها التخاطبية عند ابن القيم الجوزية من خلال محاورة موسى لفرعون، لعجالي محمد، مجلة جسور المعرفة: الجزائر، المجلد: ٣، العدد: ١١، ص٨٣.

للمخاطب هذا الأنس المطلوب حتى يشعر بأن المتكلم قد تخلص في أقواله وأفعاله مما يقصر نفعه على نفسه ولا يتعداه إلى غيره، علما بأنه لا شيء أقصر نفعا من الأغراض والأعواض "[١]. إن طه عبد الرحمن يرى أن التضامن خليق بتحقيق مرتبة (التبادل)، الذي يحققه مبدأ (التأدب)، الذي ينجرّ عنه تحقيق (التفاعل) عن طريق مبدأ (التخلّق)؛ أي أن المتكلم والمتلقي يدفع كلّ منهما إلى السعي لجلب منافع عامة، أو دفع مضار عامة من غير طلب مقابل. فلا إنسانية ولا تضامن من غير الاهتمام بالغير قبل الاهتمام بالذات.

وتتمثل الاستراتيجية التّضامنية في الدراسات اللسانية، في وظيفتين من وظائف اللغة المختلفة، أحدهما: الوظيفة الإفهامية التي، " تهدف إلى إقامة التواصل والحفاظ عليه، وتدخل في هذا الإطار عبارات المجاملة، والأسئلة عن الصحة والطقس، والتحية، والسلام"[٢]. وهنا يمكن تبيّن إن الاستراتيجية التّضامنية، والوظيفة الإفهامية للّغة تشتركان في أن كل واحدة منهما تهدف إلى تحقيق التواصل الاجتماعي، والإبقاء عليه. أما الوظيفة اللغوية الأخرى التي تتمثلها الاستراتيجية التضامنية، فهي : الوظيفة الانتباهية للغة، التي هدفها الأساس إقامة التواصل ابتداء، فيكون التضامن المدخل الرئيس إليه – أي الهدف– وتقوم الوظيفة الانتباهية على القناة أو(الصلة)[٣]، حسب جاكوبسون، " إذ تهدف هذه الوظيفة إلى إقامة الاتصال بين المتحاورين أو إيقافه، مستعملةً لهذا الغرض تعابير وأساليب متداولة في الحياة اليومية مشتركة بين أفراد المجتمع، وهي عادة ما تتكون من كلمات ومفردات قبلية جاهزة تتوافر على وظائف تواصلية معروفة، من قبيل عبارات المجاملة والمسامرة والأدب والتحية والأسئلة"[٤]، وهذه العبارات الجاهزة هي أول

---

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٢٤.

(٢) اللغة والخطاب، عمر أوكان، المغرب: إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص٥٠.

(٣) اقترح جاكوبسون خطاطة تضم العناصر الستة للتواصل اللغوي اللفظي، بضمنها قناة الاتصال، وهي (الصلة النفسية بين المرسل والمرسل إليه)، أما العناصر الأخرى فهي: المرسل (مشفر الرسالة)، والمرسل إليه (متلقي الرسالة أو مشفّرها)، والرسالة، والشفرة (التي تدل الرسالة على أساسها)، والسياق (المرجع الذي تحمل إليه الرسالة). ينظر: علم اللغة المعاصر: نظرية وتطبيقا، توفيق عزيز عبد الله البزاز، عمان: دار زهران، ٢٠٢١، ص٧٨.

(٤) نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة، محند الركيك، مجلة علامات: المغرب، العدد:٢٤، ٢٠٠٥، ص٧١

ما يستخدمه المرسل، إن فرض المقام، والسياق عليه اتخاذ الإستراتيجية التضامنية استراتيجية خطابية. وتعد التحية من أبسط أشكال استخدام هذه الاستراتيجية من قبل المرسل، فهي تضامن مبدئي يستخدمه المرسل اتجاه المتلقي، وكذا السؤال عن أحواله والاطمئنان على صحته، وهذا التضامن يحدث بين المتعارفين، كما يحدث بين غير المتعارفين. وإلقاء التحية يكون لمجرد الإلقاء، كما يكون تمهيدا لحديث بعده، وفي الحالتين كلتيهما ينمّ عن تقدير المرسل للمتلقي، واعطائه مكانة مميزة، وهذا يرسى قواعد طيبه لإقامة علاقة حسنة.

وتُلتمس الاستراتيجية التضامنية، في الدرس اللساني، عند الحديث عن وظائف، منها الوظيفة الإنجازية؛ كونها تكتسب مادتها من اللغة الطبيعية المستعملة في الحياة اليومية (الخطاب)، لغرض التعبير عن المقاصد وتحقيق الأهداف، كما تربط هذه الاستراتيجية بالوظيفتين التعاملية والتفاعلية؛ لكونهما وظيفتين تهتمان أساساً باللغة في سياق استعمالها، كما يقول (براون ويول)؛ فالوظيفة التعاملية هي اللغة المستعملة لنقل المعلومات المتعلقة بالوقائع والأقوال، أما الوظيفة التفاعلية فهي تنهض بإقامة العلاقات الاجتماعية وتمتينها(١).

يؤثر في المرسل، من حيث علاقته مع غيره، عاملان لاختيار الاستراتيجية التضامنية، وهذان العاملان هما، الأول: العلاقة السابقة بينه وبين المرسل إليه، وقد تتدرج هذه العلاقة من الحميمية إلى الانعدام التام، يسعى المرسل في هذه الحالة إلى تعويضها من خلال استحضارها في الخطاب. والعامل الآخر: السلطة، التي قد يمتلكها أحد طرفي الخطاب، فيعلو على الطرف الآخر درجة، وقد لا يمتلكها أي منهما، فتتساوى درجتهما(٢)، أو عندما لا يربطهما أي علاقة قد يفضل المرسل أن يتعامل مع المرسل إليه بخطاب يؤكد رغبته في إبقاء الفرق بينهما، وهذه الرغبة ليست على إطلاقها فقد لا يرغب المرسل ببقاء الفرق بينه وبين المرسل، بالرغم من حضور السلطة في التضامن.

---

(١) ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٨، ص٤٨-٤٩.

(٢)ينظر: استراتيجيات الخطاب في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، معمر بن الغويني، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي لتامنغست – الجزائر: الجزائر، المجلد: ٩، العدد: ١، ٢٠٢٠، ص ٥٩٢.

والسلطة المقصودة هنا، هي السلطة في مفهومها العام سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو دينية أو غير ذلك. ويرى بعض الباحثين أن جدوى السلطة مرهون بالقدرة في التأثير، وهي تأخذ طابع شرعيا في إطار الحياة الاجتماعية. كما أن السلطة هي القوة الطبيعية، أو الحق الشرعي في التصرف أو إصدار الأوامر في مجتمع معين، ويرتبط هذا الشكل من القوة بمركز اجتماعي يقبل به أعضاء المجتمع بوصفة شرعية، فيخضعون لتوجيهاته وأوامره وقراراته(١)، و(التأثيرية) من أهم سمات هذه السلطة؛ أي أن صاحب السلطة له القدرة على التأثير في الأقل منه سلطة، كما أن من سماتها (الشرعية)؛ بمعنى المقبولية بين الأطراف الاجتماعية المختلفة بسبب المركز الاجتماعي لصاحب السلطة، ولا يخرج البعد السلطوي أثناء حالات التواصل في السياقات المختلفة عن واحدة من الحالات الآتية: الأولى: كون المرسل أعلى سلطة من المتلقي، والثانية: كون المرسل أدنى سلطة من المتلقي، والثالثة: كونهما متكافئين.(٢)

وقد يسعى المرسل إلى استخدام الاستراتيجية التضامنية كونه أدنى منزلة من المتلقي، ولضعف مركزه يضطر إلى إظهار الاحترام والتقدير والتبجيل للمتلقي، فيستخدم الاستراتيجية التضامنية رغبة في رفع الكلفة، وزيادة التلقائية في التعامل والتخاطب، إذا رأى المرسل من المتلقي تقبلاً لذلك، أو سمحت دواعي السياق والمقام باستخدامها من دون حرج، وقد ذكرت هذه الاستراتيجية تداولياً تحت مسمى استراتيجية التأدب في العديد من الدراسات العربية الحديثة(٣).

أما الحالة الثالثة فهي كون كل من المرسل والمتلقي في منزلة واحدة سلطوياً، وهذا هو الغالب الأعم المنتشر بين الفئات الاجتماعية المختلفة، والتي تكون متجانسة لأسباب اجتماعية أو مهنية أو ثقافية أو غيرها، وفي هذه الحالة ليس هناك فرق بين أفراد هذه

---

(١) ينظر: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٨، ص٢٢٥.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٢٣٤.

(٣) ينظر: الإستراتيجية التضامنية في سورة طه: دراسة تداولية، خديجة رحومة، وكوثر شكيمة، ونور الهدى بته، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص: لسانيات عامة، كلية الآداب واللغات، جامعة ٱلشهيد حمّه لخضر– ٱلوادي، الجزائر، ٢٠١٩–٢٠٢٠، ص٢٧.

الفئات في استخدام الاستراتيجية التضامنية، التي تأتي تلبية للحاجات النفسية الاجتماعية المختلفة للمتواصلين.

نجد هذا الاستراتيجية حاضرة في مقدمة ديوان (أساطير) للسياب، من خلال استعماله بعض الوسائل اللغوية والنفسية التي من شأنها ان تقربه من المتلقي؛ كي يتعاطف معه، وليخلق جوا من الانسجام والتضامن في استمالة أحاسيس القارئ وعواطفه، متحدثا عن حياته الخاصة: "فقدت أمي وما زلت طفلاً صغيراً، فنشأت محروماً من عطف المرأة وحنانها. وكانت حياتي، وما تزال كلها، بحثاً عمن تسد هذا الفراغ، وكان عمري انتظارا للمرأة المنشودة، وكان حلمي في الحياة أن يكون لي بيت أجد فيه الراحة والطمأنينة، وكنت أشعر أنني لن أعيش طويلاً، لهذا وجب على القارئ أن يربط بين (رئة تتمزق) وكثير من قصائد الديوان"(١)

يبدو السياب في مستوى واحد مع متلقيه، حين يعلن شعره انعكاساً لتلك الصور الموجودة في المجتمع المكتنز بالكثير من الآمال والمشاعر والاحاسيس، التي لابد له من ان يظهرها؛ كي يلقي القبول والتلقي من قارئه، وليجذبه لهُ، وهذا ما يؤكده السياب بوصفه مرسلاً في موضع آخر تال لما سبق ذكره في الديوان، فهو يؤكد للمخاطب: " والشاعر إذا كان صادقا في التعبير عن الحياة في كل نواحيها، فلا بد من أن يعبر عن آلام المجتمع وآماله دون أن يدفعه أحد إلى هذا. كما أنه من الناحية الأخرى يعبّر عن آلامه هو وأحاسيسه الخاصة التي هي في أعمق أغوارها أحاسيس الأكثرية من أفراد هذا المجتمع "(٢).

وقد ورد في بيانات شعراء التفعيلة العراقيين مواقف خطابية كثيرة من هذا النوع، منها ما جاء في بيان الشاعر عبد الوهاب البياتي (إعادة نظر واجبة) في قوله: "صيادو الذباب، لقد تعبنا منهم، فمن لنا بإحراقهم وإحراق ذبابهم، وتلفت صاحبي إلى الشارع المزدحم كالمذعور وفر هاربا، ليتركني وحدي وجها لوجه مع أحد صيادي الذباب. وما كان يقصد صاحبي بعبارته هذه، ألا هؤلاء الشعراء المساكين الذين لا يزالون يجلسون

(١) أساطير، بدر شاكر السياب، المقدمة، ص٨.

(٢) المصدر السابق نفسه.

مزجر الكلب من مائدة "الشنفري" أو "البحتري" أو "الحارث بن حلزة" وعيونهم جاحظة ولعابهم يسيل، ولا يزالون يتصيدون أوزانهم وقوافيهم، لينالوا إعجاب بائع باذنجان خائب أو حبيبة وهمية أو ممدوح عاهر بطين، في عصر مليء بالبطولات والانقلابات والثورات"[١]. فلقد كان البياتي تضامنيا، من حيث اندراج خطابه بين الأقران المتشابهين في الحالات أو الوضعيات الاجتماعية، ويعد استعمال الضمير(نا) في (تعبنا منهم، من لنا)، تمثيلاً واضحاً للتضامن، فهو ضمير جعل المتحاورين المختلفين مجموعة واحدة متجانسة، وقد استعمله المرسل/البياتي لغرض تداولي تضامني أشعر المتلقين أن المرسل متضامن معهم، حيث لا سلطة واضحة تؤكد التراتبية، إذ كان الخطاب التضامني غير محكوم بقيود ترجع في كثير من الأحيان إلى التباين السلطوي أو التمايز الاجتماعي.

وينتقي المرسل/نازك الملائكة الاستراتيجية التضامنية بوصفها طريقة لإبلاغ خطابه إلى المرسل إليه، وبما أن الاستراتيجية التضامنية في مجملها تهدف إلى تأسيس العلاقات الاجتماعية وتطويرها وتنميتها، فهي تعتمد على قواعد ومبادئ تحقق هذا القرب، وأهم هذه المبادئ مبدأ التأدب، الذي يساهم في بناء التخاطب، ومن مظاهر التأدب، تأنيب الذات المتكلمة لذاتها، وتحسّرها، كما تفعل نازك الملائكة في مقدمة ديوان شظايا ورماد، في قولها:" فنحن عموما ما زلنا أسرى، تسيّرنا القواعد التي وضعها أسلافنا في الجاهلية وصدر الإسلام. ما زلنا نلهث في قصائدنا، ونجر عواطفنا المقيدة بسلاسل الأوزان القديمة، وقرقعة الألفاظ الميتة، وسدى يحاول أفراد منا أن يخالفوا"[٢]. فمن الواضح أن المرسل يتضامن مع المرسل إليه، عن طريق تأنيب ذاته أو إظهار التحسر من خلال الخطاب الملقى، عبر مفردات تحيل إلى التذمر من جانب، كما أنها تظهر تأنيبا للذات، كـ: (مازلنا أسرى، تسيرنا القواعد، نلهث، عواطفنا المقيدة، سلاسل الأوزان، قرقعة، الميتة، سدى). ولكن اللجوء لهذه الاستراتيجية لا يعني إفراط المرسل في الانتقاص من ذاته، بل إن استعمالها يجسّد التضامن من خلال إظهار التعاطف مع المرسل إليه، وإنجاز المقصود من ورائها، وهو إنجاز كلامي يتمثل في إحالة الخطاب الذاتي، أو ما يظهر على أنه تذمر فردي، إلى خطاب شامل، ليتسع باتجاه المتلقين جميعهم، كسبا لتضامنهم،

(١) إعادة نظر واجبة (بيان)، عبد الوهاب البياتي.ص١

(٢) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص٨.

وتحقيقا لإنجاز الخطاب. إذ " يتضمن صنف التذمر من الذات تلك الشكاوى التي ينتقص المرسل نفسه بالشكوى من قدرته، أو سلوكه أو أفعاله، أو مظهره الجسدي، ولا يتضمن هذا المحور الشكوى من السياق الذي هو فيه"[١].

وتعمد نازك الملائكة إلى الإفادة من تأنيب الذات والتحسّر والتذمر، بوصفها تأدبا يحيل إلى تضامن، لينجز أهدافه في تبليغ الخطاب، وضمان الإقناع به، تقول في موضع آخر من المقدمة نفسها: "منذ قرون ونحن نصف انفعالاتنا بهذا الأسلوب حتى لم يعد له طعم ولا لون. لقد سارت الحياة، وتقلبت عليها الصور والألوان والأحاسيس ومع ذلك ما زال شعرنا صورة لـ "قفا نبك" و "بانت سعاد" الأوزان هي هي.. والقوافي هي هي.. وتكاد المعاني تكون هي هي."[٢] ولا تكتفي نازك هنا باستعمال تأنيب الذات لإظهار التضامن، بل تتخذ من الكشف عن أغوار الذات وسيلة تدلّ بها على القرب من المرسل إليه، حتى يغدو كشف الذات عنصراً فاعلاً من عناصر التضامن، حين يذهب المرسل بالكشف عن خصوصياته، وإطلاع المرسل إليه على مكنوناته، محققا مبدأ المصارحة والصدق بوصفهما مبدأين من مبادئ التأدب، مع المرسل، كما يتحقق التضامن مع المرسل إليه، بما يحمله المرسل من الثقة في المرسل إليه بإيداعه هواجسه، وإطلاعه على ماتنطوي عليه ذاته، وهذا يظهر بجلاء في قول السياب في تقديمه لمختارات من الشعر العالمي: "نحن نعيش عالما لا شعر فيه... وراحت الأشياء التي كان في وسع الشاعر أن يقولها، تتحطم واحدا فواحدا، أو تنسحب إلى هامش الحياة...فماذا يفعل الشاعر إذن؟ عاد إلى الأساطير"[٣]. إن ما حمل السياب على الاستعانة بتأنيب ذاته، واستعمال التأدب في التضامن مع المرسل إليه، عبر الكشف عن أن مهمته بوصفه شاعراً، عسيرة، مادام يرى في داخله أن ما سيقوله سيكون حطاماً، وهو مؤول إلى التحطيم قبل أن تدخل وسعه بوصفه شاعرا، ما حمل السياب على هذا كله هو سعيه إلى إنجاز خطابه، المتمثل بإقناع المرسل إليه بحتمية العودة إلى الأساطير لتحقيق شعرية قصيدة التفعيلة، التي

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٣١٩.

(٢) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص٨-٩

(٣) تقديم السياب لمختارات شعرية، ص١١٢.

يبشر بها المرسل، وقد جاء هذا صريحا في آخر مقولته السابقة: (فماذا يفعل الشاعر إذن؟ عاد إلى الأساطير.)

وفي ما قاله البياتي في تجربته الشعرية : "ومثل مدينتنا الشبيهة بالمهرج، كان جيلنا المتسول الذي استعار ثيابا وأزياء من كل عصر حتى فقد شخصيته وصوته الحقيقي"(١) يتمثل التضامن عبر التأدب في تأنيب الذات، فما تظهره التشبيهات والصفات والاستعارات المكتنزة في مقولته، وفي أجزاء كثيرة من المدونة التي حملت وصف تجربته الشعرية، يعكس تذمراً واضحاً من الذات، ويشكل انتقاصا وشكا بقدرة المرسل أو سلوكه أو أفعاله، ليحقق ضربا من ضروب التضامن مع المرسل إليه، على وفق ما اقتضاه مقام الخطاب، في إظهار التحسّر، والدعوة إلى التمرد على ما هو قائم.

لقد عكست النصوص السابقة مقدمات دواوين، أو بيانات شعرية، أو تجارب تحلي المرسل بوصفه أحد طرفي الخطاب بالتأدب من أجل تسهيل عملية التواصل وتحقيق الغاية التي من أجلها أنشأ الخطاب. ومما سبق نجد أن هذا الموقف الخطابي بما يحتويه من مفردات وتراكيب يبين بشكل واضح أثر طبيعة العلاقة بين المتواصلين في تحديد استراتيجيتهم الخطابية، وانتقاء ما يناسبها من أدوات وآليات، وغالبا ما يتم انتقاء استراتيجية التخاطب المناسبة بناء على هذا المعيار أو العنصر؛ إذ يتحكم أشد التحكم وخاصة في الاستراتيجية التضامنية، فالاختلاف بين المتخاطبين يَحْدُ من استخدام هذه الاستراتيجية إلى حد ما، مما يستوجب تعويضها باستراتيجية أنسب للمقام، ويزيد الاتفاق بين المرسل والمرسل إليه من نسبة التضامن؛ لأن الاشتراك في جوانب عدة من الحياة بين المتخاطبين يفضي إلى تشكيل مساحة اتفاق بينهما، في عدة أشياء كالمنطلقات والآراء والأهداف والغايات، وهذا ما نجده بين الفئات الاجتماعية المتساوية أو المتقاربة.

المبحث الثاني: ـ قواعد الاستراتيجية التضامنية والعناصر المتحكّمة فيها

يشير عبد الهادي بن ظافر الشهري إلى أن الباحثين الغربيين قد التفتوا إلى دراسة هذه الاستراتيجية منذ ستينيات القرن الماضي، دراسة أدركوا فيها أهمية اللغة في الخطاب

(١) تجربتي الشعرية، عبد الوهاب البياتي، ص٤.

التعاملي[١]، إذ ذهب(جورج يول) إلى أن النزوع إلى استخدام صيغ التهذيب الايجابية التي تؤكّد على التقارب بين المتكلم والسامع، يحقق استراتيجية التآزر، التي تنطوي على التماس هدف مشترك، باستعمال صيغ التهذيب[٢].

والظاهر من آراء (جورج يول) أن استراتيجية التضامن تعكس علاقة المرسل بالمتلقي، فهي استراتيجية منتقاة بهدف إحداث نوع من التقارب بين المتخاطبين، وارتباط الاستراتيجية التضامنية بالعلاقات التخاطبية دفع بعض الباحثين إلى اعتبار مفهومها مفهوما معقداً، إذ ليس من اليسير كشف حقيقة العلاقات التخاطبية بين الناس، ومع هذا، فإنه يمكن، حسب إدريس مقبول، " الحدس بمفهوم الاستراتيجية التضامنية تقريبا بأنّها الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسّد فيها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه."[٣]

وتأتي الطرفة أو النادرة آلية من آليات التضامن المصنفة على أنها من استراتيجيات التأدب الايجابي عند (براون وليفنسون)[٤]، فالطُّرفة تقوم على معرفة خلفية مشتركة، و على القيم والمبادئ، التي تجمع المرسل بالمرسل إليه، ولهذا يمكن استعمال هذه الآلية لتثبت تلك الخلفية، أو تحقيق القيم المشتركة، وقد يجد المتأمل في مقدمة شظايا ورماد جنوح المرسل/الملائكة إلى الإستفادة من الطرفة، لتحقيق التضامن، تقول: " وقد لاحظت خلال دراستي للآداب المعاصرة هذه الملاحظة الطريفة: لاحظت أننا، في هذا العصر، قد أصبحنا ننسى المدلول الخاص لكلمة (البدر) فنهملها إهمالاً يكاد يكون كلياً، ونؤثر عليها لفظ (القمر)، وقلَّ في الشعراء المعاصرين من يرضى استعمال كلمة (بدر)، إلا في الحالات النادرة، وأنا أعترف أنني أكلف نفسي أحيانا متاعب كثيرة ،لكي لا أستعملها،

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٢٦٣.

(٢) ينظر: التداولية، جورج يول، ص١٠٦.

(٣) الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص٥٤٣.

(٤) P Brown & S levinson," universal in language usage", politeness phenomena, p ١٢٩.
نقلا عن: تحليل استراتيجية خطابات رئيس الجمهورية خلال نهاية العهدة الثالثة، ريغي أسماء، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه نظام جديد في علوم الإعلام والاتصال، تخصص اللغة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم: الجزائر، ٢٠١٦-٢٠١٧، ص٧٨.

والتعليل السيكولوجي لهذا يسير، فأنا وسواي نتذكر بلا شك تلك العشرات من الأبيات الصماء النافرة التي تركها شعراء العصر المنطفئ والماضي، واستعملوا فيها كلمة (بدر) حتى جردوها من جمال معناها، وأطفأوها، وأبقوا منها ظلالهم هم عليها."[1]

إن الظاهر في هذا النص أن المرسل يتجاوز عند التلفظ بالطرفة مجرد دورها في التسلية، إلى بعد أهم، هو التقارب بينه وبين المرسل إليه، ولعل هذا هو القصد الأهم عنده، فاستعمال الطرفة في السياق الوارد في نص الملائكة يعطى انطباعا برغبة المرسل في التضامن، ويريح المرسل إليه بإزالة الفوارق، التي قد تنجم عن شعور المرسل إليه بقوة السلطة المعرفية التي تنطلق منها الملائكة بوصفها مرسلاً، في تأسيس نظريتها الخاصة بشعر التفعيلة، وشعور المرسل إليه بانعدام الفوارق، يولد عنده تلاشي الخشية ، وهذا ما يحقق التضامن، ويبلور التأدب، ويخلق استراتيجية تضامنية، بوساطة الطرفة أثناء الخطاب. وربما جاءت الرغبة في إزالة معالم الفروق بين المرسل والمرسل إليه لتترجم رغبة المرسل في التنازل عن سلطته، ويتضمن قول الملائكة: (وأنا أعترف أنني أكلف نفسي أحيانا متاعب كثيرة لكي لا أستعملها) ؛ تطمينا للمرسل إليه، في أنه في الرتبة نفسها التي يتنزل فيها المرسل، ممّا يدعم البعد التضامني، ويمهّد بقوة لتبليغ المقاصد بنجاح؛ لأنّ حقيقة الكلام باعتباره خطابا تواصليا ينبني على قصدين اثنين: أحدهما يتعلق بالتوجه إلى الغير بقولها: (وقد لاحظت خلال دراستي للآداب المعاصرة هذه الملاحظة الطريفة) ، والثاني يتصل بإفهام هذا الغير، بقولها: (فأنا وسواي نتذكر بلا شك تلك العشرات من الأبيات الصماء النافرة التي تركها شعراء العصر المنطفئ والماضي، واستعملوا فيها كلمة (بدر) حتى جردوها من جمال معناها، وأطفأوها) ، وحتى يتحقق القصد لا بد من انتقاء الاستراتيجية التخاطبية المناسبة من أجل نجاح التوجه إلى الغير، فكانت هنا الاستراتيجية التضامنية.

ولكن الخطابات ليست ظاهرة الدلالات، ومتحصلة المعاني دائما، فربما انطوى الخطاب على معنى غير مباشر، انطواءه على معنى مباشر. وتعنى ظاهرة الاستلزام الحواري بالمعاني غير المباشرة في الخطاب، وفي تأمله جملة من اللغات الطبيعية،

---

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص١٢.

توصل (بول غرايس) إلى نتيجة مفادها أن بعض الخطابات تدل على معنى يخالف محتواها القضوي حين تستعمل في مقامات مخصوصة ؛ ومردّ ذلك أنّ العبارات المتلفظ بها تحمل أكثر من دلالة باعتبار السياق من جهة، وباعتبار العلاقة التخاطبية التي تربط بين المتخاطبين من جهة أخرى[١]؛ فقد لاحظ (غرايس) أن تأمّل الحمولة الدلالية لإجابات المتحاورين تدل في الغالب على معنيين اثنين: معنى حرفي ومعنى استلزامي، وهذه الظاهرة سمّاها الاستلزام الحواري. إن نقطة الانطلاق عند (غرايس) تكمن في أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل اهتمامه منصبا على إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد. فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه للسامع على نحو غير مباشر[٢]. وانطلاقا من المعاني الصريحة، والمعاني المتضمنة في القول نشأت عند (غرايس) فكرة الاستلزام، ولشرح هذه الفكرة وضع نظريته التي تنصّ على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام، مبدأ التعاون، وبمسلمات حوارية[٣].

وقد ورد نصّ هذا المبدأ في دروسه الموسومة بعنوان (محاضرات في التخاطب)، وفي مقاله الشهير المعنون بـ (المنطق والتخاطب)، وقد تفرّع هذا المبدأ إلى قواعد تخاطبية مختلفة، قسمها إلى أربعة أقسام يندرج تحت كل قسم منها تحت مقولة مخصوصة، والأقسام هي: الكمّ، والكيف، والإضافة أو العلاقة، والجهة، وينصّ كل قسم على مبدأ الكم، الذي تلخصه مقولة: اجعل إسهامك في الحوار على القدر المطلوب، من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه، ومبدأ الكيف، الذي تلخصه مقولة: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه، ومبدأ المناسبة الذي تلخصه مقولة: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع، ومبدأ الطريقة، الذي تلخصه مقولة: كن واضحاً

---

(١) ينظر: نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، صلاح إسماعيل، القاهرة: الدار المصرية السعودية، ٢٠٠٥، ص١٦.

(٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٣٢.

(٣) ينظر: النّظريّة البراجماتيّة اللّسانيّة، محمود عكاشة، القاهرة: مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ص٨٩-٩٠.

ومحددا، فتجنب الغموض، وتجنب اللبس، وأوجز، ورتب كلامك. هذه المبادئ – بحسب غرايس– يمكن أن يتحقق بها التعاون بين المتكلم والمخاطب تحقيقا يصلان فيه إلى حوار مثمر متضح المقاصد، وقواعد المحادثة التي ذكرها غرايس، هي مبادئ تأويل أكثر من كونها قواعد معياريّة أو قواعد سلوك، حيث إنها لا تتوقّف عند القدرة على اكتساب حالات ذهنيّة، بل تتجاوز ذلك إلى القدرة على إدراك مقاصد في حالات أخرى، خصوصا عندما يتم خرق مبدإ من مبادئ التّعاون(١).

ثالثا: مكونات الاستراتيجية التضامنية بين اللغوية وغيرها

يرد الاستلزام الحواري في المقدمات الشعرية والبيانات والتجارب ورودا كثيرا ومتنوعا، ومنها ما يحمله الاستفهام المجازي من قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزمة، تقول نازك الملائكة في الحوار الذي جعلته مقدمة ديوانها (قرارة الموجة):

"الثانية:... وبعد، فإن عنوانك العتيد (قرارة الموجة) لا يمثل القصائد كلها. إن في هذه المجموعة قصائد لاتقع تحت هذه الفلسفة.

الأولى: هذا حقٌ. وأنت المسؤولة. لقد حذفت نصف قصائد هذا الديوان. أنكري هذا.

الثانية: أني لا أنكر، هذه القصائد لم تعد تروقني وقد حذفتها

(...)

الأولى: (كأنها لا تصغي) حقا ماذا أبقيت من (قرارة الموجة)؟

الثانية: يكفي ما أبقيت منه. إن القارئ سيألف الفلسفة. ألا يكفي أنك ملأت بها (لعنة الزمن) و (الشخص الثاني) و (سخرية الرماد) و(يحكى أن حفارين) و(صلاة الأشباح)؟ بل ألا تكفيك قصيدة (طريق العودة) هذه القصيدة التي تولعين بها؟"(٢)

فالفعل الكلامي (ألا يكفي) المكون من الجملة الفعلية، يحمل القضية المتمثلة في إصرار الشاعرة على الحذف، من خلال الحوار بين الثانية والأولى. ولأن الشاعرة مصرة على الحذف، كان الاستلزام المنطقي أن تحمل الثانية رسالة إليها على وجه الإنكار؛

(١) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص٥٦-٥٧.

(٢) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان قرارة الموجة، المقدمة، ص٢١١-٢١٣.

لعلها تنتبه وتتعظ. وعلى هذا الأساس كانت الحمولة الدلالية لذلك الفعل تتكون من قوة إنجازية حرفية وهي الاستفهام، وقوة إنجازية مستلزمة وهي المقصودة من الكلام، وتتمثل في الإنكار والتقريع؛ وفي التعجب من أمر الشاعرة، وهي قوة إنجازية مستلزمة تحمل معنى رد نصيحة من لا يطلب عليها أجرا.

وفي (رسالة إلى الشاعر العربي الناشئ) حوار يقيمه المرسل/الملائكة بينه وبين الشاعر الناشئ، وبين هذا الأخير وآخر يتبنى وجهة مخالفة لما يذهب إليه المرسل، تقول: "ولا أظنك الا سائلاً عن الشعر الحر وما تتخذه من موقف ازاءه، فاعلم أن هذا الشعر ليس الا أسلوباً استحدثناه في رصف أجزاء ثمانية من أوزاننا العربية، فهو يرتكز إلى التفعيلات العربية والى الشطر وقوائم التدوير والزحاف والعلل والضروب والوقف وسواها مما تجد في عروضنا. ومن زعم لك أن هذا الشعر ليس موزونا فهو لا يخلو أن يكون أحد إثنين: أما جاهل بالعروض العربي، وأما واهم لا يميز بين الشعر الحر الموزون والنثر المسمى خطا بـ (قصيدة النثر)، وفي الحالتين تستطيع أن تفحم هذا الزعم بمجرد أن تتناول قلما وورقة وتقطع الشعر الحر الى التفاعيل العربية الدارجة على طريقتنا المعروفة."[1]

يتراءى لنا في قول المرسل/ الملائكة في حواره مع الشاعر العربي الناشئ: ما الشعر الحر؟ وما تتخذه من موقف ازاءه؟ ما أُفترض في الحوار في أنّهُ ليس بشعر، لمخالفته قواعد عمود الشعر، وعدم الالتزام بطريقة الخليل في العروض؛ لقول من يزعم، وجوابه للمرسل/الملائكة: أن هذا الشعر ليس موزونا، بقول المرسل: إن الزاعم لا يخلو أن يكون أحد إثنين : أما جاهل بالعروض العربي ، وأما واهم، وهذا تقرير للواقع أنّ الشاعر العربي الناشئ مؤمن بحقيقة قول المرسل، ولكن هذا لا يتعارض مع تجرده الافتراضي من أن الشعر الحر غير موزون، بدليل قول المرسل: في الحالتين تستطيع أن تفحم هذا الزعم، فيزداد بصيرةً ويقينا، فالاقتضاء التخاطبي هو الذي استدعى توظيف هذا الجواب، في هذا المقام على وفق قواعد، يستلزمه الحوار هنا وهذا، ما يُسمى بـ(الاستدلالات

(١) رسالة إلى الشاعر العربي الناشئ، نازك الملائكة، ص٣٩-٤٠.

التداولية [1]، التي تنصُّ على أنّ المخاطِب هو الذي يتواصل عن طريق الاقتضاءات، وأنّ المخاطَب هو الذي يشخص تلك المعاني الموصلة عن طريق افتراضات متعددة. إن الاستلزام الحواري نظرية حاول من خلالها الباحثون في مجال اللسانيات التداولية أن يضعوا مجموعة من قوانين التخاطب، لعلّها تتمكن من حصر مقاصد المتحاورين، وتمنعهم من الاختفاء وراء كلماتهم، وهو مطلب في غاية الأهمية لنجاح التواصل الإنساني في عصر أصبحت اللغة فيه تشكل أكبر رهان.

إنّ العلاقة بين المتخاطبين لها دور أساس في مراعاة قواعد الخطاب أو خرقها، لاسيما أنَ هذه القواعد ترتبط ارتباطا وطيداً بالملفوظية، وما طرح حولها من إشكاليات متعددة، على اعتبار أن الملفوظ رهين التواصل الشفوي، ولا بد عندها من مراعاة نبرات الكلام والإيماءات والحركات وأشكال التعبير المرتبطة تماما بالتعبير الكلامي بمعناه الحقيقي. إن العلاقات التخاطبية هي المؤشر على وجود استراتيجية التضامن أو انعدامها، بينما تكون نبرات الكلام والإيماءات دلائل ملموسة على مدى شْدّة التضامن أو ضعفه أو فتوره. من هذا المنطلق كان الشاعر شديد الحرص على مراعاة قواعد التخاطب وهو يحاور قارئه بدءا بمبدأ التعاون الذي يتجلى أكثر من خلال قاعدتي الكيف والمناسبة؛ فلم يقل إلا الصدق، كما يتجلى في مقدمة ديوان أساطير: "وهناك شيء من الغموض في بعض القصائد؛ ولكنني لست شاعرا رمزيا وقد كنت مدفوعا إلى أن أغشي بعض قصائدي بضباب خفيف، وذلك لأنني كنت متكتما، لا أريد أن يعرف الناس كل شيء عن حبي الذي كانت كل قصائد هذا الديوان صدى له؛ فقد كانت "موحية" هذا الديوان، تغضب أشد الغضب، إذا أنا ذكرت شيئا عن قبلاتنا ومواعيدنا، وكثيرا ما مزقت بعض القصائد التي كانت تشير إلى شيء تأبى هي أن يعرفه الناس."[2]

لقد صيغت أفعال الكلام في النص السابق استفهاما متضمنا عن الغموض في شعر السياب، فجاء الجواب إقرارا بهذا الغموض، كما تضمن قول المرسل/ السياب بنفي انتسابه للرمزيين، سؤالا مفاده: هل مرد الغموض في شعر المرسل/السياب متأت من

---

(١) ينظر: الاقتضاء في التداول اللساني، عادل فاخوري، مجلة عالم الفكر: الكويت ، المجلد: ٢٠ ، العدد: ٣، ، ١٩٨٩، ص١٦٤.

(٢) أساطير، بدر شاكر السياب، المقدمة، ص٧.

إيمانه بمذهب الرمزيين؟ ولما كان الجواب بالنفي، إحتاج المرسل أن يبين مرجعيات هذا الغموض، فكان التسويغ ذا علاقة ومناسبة بموضوع الحوار الذي هو موقع الغموض في شعر السياب، ومصادره، وقد تضمن الخطاب أفعالا كلامية من قبيل: (كنت مدفوعا، لا أريد أن يعرف الناس، كانت موحية)، وهي أفعال ملفوظة بكيفية تضمن التواصل المثمر والمفيد لأنها صادقة، وواضحة، وبعيدة عن اللبس والغموض.

وقد تأتي دعوة المرسل/الشاعر شاملة تخاطب القلب والعقل معا، فتجمع بين قواعد التعامل وقواعد التواصل التي منها مبدأ التعاون، كما يظهر جليا في رسالة نازك الملائكة إلى الشاعر الناشئ:" وأما أنت يا شاعر فقد وهبك الله قدرة الرؤية، فأنت تلمح الخافي، والمبهم والبعيد، ومن ثم وقعت عليك رسالة البيان والتعبير والكشف، تلين بها النفوس الغليظة، وتكشف الحجب عن العيون التي تنظر ولا ترى، وتبذر في القلوب والعقول بذور الخير والمحبة والعمل والقوة"(١). لقد شكّل مبدأ التّعاون في نص الملائكة أساس عمليّة التّواصل والتّخاطب؛ بربطه أطراف الحوار ربطا تحقّق فيه التّفاهم بينهم بطريقة منطقيّة، هي الاستدلال؛ فالشاعر العربي الناشئ الذي تحاوره الملائكة، حلّت عليه بركة الربّ، فتهيأ له ما لم يكن لسواه، من (لمح البعيد الخافي، وكشف الحجب، وإبذار الخير والمحبة في القلوب)، وقد شكل هذا مبدأ اجتماعياً تحكّم في العلاقات الاجتماعيّة للمتكلّمين من خلال الاستعمال الحرفي للّغة (استلزام عرفي عام)، وأخلاقي لما يستوجبه من مبادئ أدب الحوار(٢)، فعملية التّخاطب تحتاج إضافة إلى مبدأ التّعاون قدرا من التّأدّب الذّي يؤطّر هذا التّعاون ويضمن سيرورته. وتظل قوة علاقة الشاعر بقارئه مدعاة لحضور مبدأ التأدب من جهة أخرى، ولربما بأكثر كثافة من كل قواعد التخاطب، فقد راعى الشاعر بدر شاكر السياب، قاعدة التعفف بلجوئه إلى طريقة الإقناع بدل الإكراه، في مقدمة ديوانه أساطير محاوراً المرسل إليه/القارئ. وقد تحقق مبدأ التعفف بابتعاد المرسل/السياب عن الأمر المباشر، واستبداله بأسلوب التوكيد، في قوله: "وقبل أن أختم هذه المقدمة، لا بد من التعرض لمشكلة كثيرا ما ثار حولها الجدل، تلك هي رسالة الفنان في المجتمع. أنا من المؤمنين بأن على الفنان ديناً يجب أن يؤديه لهذا المجتمع البائس

(١) رسالة إلى الشاعر العربي الناشئ، نازك الملائكة، ص٣٥.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٩٦.

الذي يعيش فيه. ولكنني لا ارتضي أن نجعل الفنان وبخاصة الشاعر– عبدا لهذه النظرية، والشاعر إذا كان صادقا في التعبير عن الحياة في كل نواحيها، فلا بد من أن يعبر عن آلام المجتمع وآماله دون أن يدفعه أحد إلى هذا"[1]، كما راعى المرسل قاعدة التخيير، مراعاة ترك فيها للمرسل إليه حرية اتخاذ القرار فيما يخص إيمانه بكون الفن للفن أو الفن للمجتمع، وختم حواره بقوله: والشاعر إذا كان صادقا في التعبير عن الحياة في كل نواحيها، فلا بد من أن يعبر عن آلام المجتمع وآماله دون أن يدفعه أحد إلى هذا.

وتتجلّى قاعدة التودد بكلّ وضوح من خلال استعمال الشاعر الأساليب والصيغ التي كشفت أكثر من ذي قبل عن رغبة الشاعر في المحافظة على علاقته بالمرسل إليه. ففي الحوار المتخيل الذي تضمنته مقدمة ديوان قرارة الموجة، يتخذ الخطاب شكل الحوار الآتي:

" الثانية: إنهم يسألونني عنك، أيتها الصديقة القديمة..

الأولى: (في لهفة) أو ليس في وسعك أن تردي عليهم؟

...

الثانية: يا أختي! أما كان الأفضل أن تنشري لهم الشعر الذي نظمته وأنت في قمة الموجة؟

أنت تدرين أنهم يتهمونك بالتشاؤم.

الأولى: (في ازدراء) القمة؟ لاشيء على القمة إطلاقا. إني أكتب قصائد باردة حين أبلغها. وما القمة بعد؟ إنها بداية الانحدار. أما القرارة فليست إلا الاستجمام الذي ينطوي على بذرة التحفز إلى الانبثاق الحار والصعود إلى القمة التالية.

الثانية: سيقولون حين يسمعونك: ما قيمة الصعود إن كانت القمة نفسها باردة؟

الأولى: مهما يكن فإن عنواني (قرارة الموجة) متفائل" (٢).

---

(١) أساطير، بدر شاكر السياب، المقدمة، ص٧.

(٢) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان قرارة الموجة، المقدمة، ص٢٠٧.

وأبرز الصيغ التي تتجلى فيها قاعدة التودد –كما يتبين في مقدمة ديوان قرارة الموجة– هي: (أيتها الصديقة القديمة، يَا أختي)؛ وكذلك العدول عن الأمر المباشر إلى أسلوب الحجاج الذي ظهر بين الثانية والأولى، وهما ذواتا المرسل/الملائكة، والعدول إلى الحجاج جاء استمالة للقلب والعقل معا. كما يبدو استفادة المرسل من مبدأ التوجه، وهو مبدأ تداولي، الغرض منه ضبط الخطاب، ويرتكز على صيانة وجه الغير كما صاغه "براون" و "ليفنسون". إن الشاعرة نازك الملائكة عدلت عن الخطاب المباشر إلى الخطاب غير المباشر، وأنشأت حوارا مع متلق افتراضي، وهذا المتلقي يطرح سؤالا عن نشر هذه المجموعة الشعرية، والغاية من وراء اختيار العنوان ، كما يطرح قضية تحوّلات الذات الشاعرة وتبدلاتها، ولعل المرسل/الملائكة قد رمت من وراء صياغة خطابها على وفق هذه الكيفية إلى تحقيق هدفين أساسيين: إما إضافة معلومة غير متوفرة في مخزون المخاطب، أو تعويض إحدى معلومات المخاطب بمعلومة يعتقد المتكلم أنها المعلومة الواردة، فالمرسل يتوخى التأثير في المرسل إليه، وإحداث تغيير في موقفه الفكري والعاطفي، ولتحقيق ذلك يستعين بإستراتيجية تداولية تعرف بإستراتيجية الإقناع. ويمكن عن طريق هذا النص تحديد مجال الحوار بين الشاعرة والمتلقي، فالشاعرة تريد من المتلقي أن يشاركها المراحل التي مر بها هذا الأثر الشعري.

وفي مقدمة ديوانها (مأساة الحياة وأغنية الإنسان) تبين نازك الملائكة تضامنها مع المتلقي عبر أسلوب التأدب في الحوار، تقول: " أما القصيدة الأولى فقد نظمتها عام ١٩٤٥، وكان عمري إذ ذاك اثنين وعشرين عاما ولم يكن ديواني الأول قد ظهر إلى الوجود أو طبع، وكنت إذ ذاك أكثر من قراءة الشعر الانكليزي، فأعجبت بالمطولات الشعرية التي نظمها الشعراء، وأحببت أن يكون لنا في الوطن العربي مطولات مثلهم."[١] فهي تبين تأثرها بالآداب الإنكليزية، وخاصة المطولات الشعرية عندهم عن طريق الإشارة إلى الزمن (إذ ذاك)، وهو الزمن الذي كتبت فيه الشاعرة هذه المطولة. وعن طريق ضمائر التكلم (التاء، والياء)، وعن طريق الأفعال الكلامية المسندة إلى تاء التكلم (أحببت، بدأت، اتخذت). وتشارك المتلقي فكرة الإلحاد والتشاؤم التي عاشتها في شبابها

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الأول، ديوان مأساة الحياة وأغنية للإنسان، المقدمة، ص٦.

مستعملة ضمير التكلم (أنا)، وضمير (الياء)، وأيضا اسم الإشارة (ذلك)، لتحقيق الأثر السلبي، كما يظهر في قولها: "والواقع أن تشاؤمي قد فاق تشاؤم شوبنهاور نفسه، لأنه –كما يبدو– كان يعتقد أن الموت نعيم؛ لأنه يختم عذاب الإنسان، أما أنا فلم تكن عندي كارثة أقسى من الموت، كان الموت يلوح لي مأساة الحياة الكبرى، وذلك هو الشعور الذي حملته من أقصى أقاصي صباي إلى سن متأخرة"(١). وثم العودة إلى التفاؤل والإيمان لتحقيق الأثر الإيجابي: "وفي عام ١٩٥٠ كان أسلوبي الشعري قد تطور تطوراً كبيراً عمّا كان أيام نظمي للمطولة، فأصبحت مواردي الأدبية أغزر، وأسلوبي أكثر صوراً وثقافتي أغنى، فلم أعد راضية عن (مأساة الحياة) ولذلك قررت أن أعيد نظمها بأسلوبي الجديد فكانت صورتها الثانية."(٢)

وكما بدأت بهذه الاستراتيجية ختمت حديثها بها "واليوم إذ أقدم الصور الثلاثة إلى المطبعة، أحس أنني أقدم عملاً أدبياً متكاملاً؛ لأن الشعر قد يقرأ لمجرد كونه شعراً، وهذه المطولة بصورها الثلاث تدل على خط التطور في شعري ما بين السنوات العشرين من ١٩٤٥ إلى ١٩٦٥". هذا فيما يتعلق بقواعد التواصل، أما قواعد التعامل فقد احترمت الشاعر قاعدة القصد، وقاعدتي الصدق والإخلاص، وهي قواعد في مجملها تحقق التقرب الصادق، وتجعل الاستراتيجية التضامنية واضحة في خططها وأساليبها.

ان الإستراتيجية التضامنية بوصفها بنية خطابية قصدية لها حضورها في سياق عملية التفاعل، والتواصل بين المتخاطبين؛ لينظر من خلالها إلى الملفوظات باعتبارها أفعالاً اجتماعية، تقوي العرى الوثيقة بين المتخاطبين؛ المهيمن اللساني التداولي فيها يمكن تقيده في: التكافل، الاتفاق، الاتحاد، الاجتماع، التأثير. إن تنزيل هذا الفهم للتضامن في المجال الخطابي يظهر في صورة حرص المتخاطبين على إنشاء تواصل حميمي بينهم؛ فالتضامن في السياق التخاطبي يجسد الإرادة الحسنة من الطرفين أو على الأقل من طرف واحد في بناء جسور المودة والمحبة بينهما لأجل أغراض ومقاصد معينة. إن الإستراتيجية التضامنية بوصفها: آلية خطابية حركية سلوكية توظف ضمن المواقف

---

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الأول، ديوان مأساة الحياة وأغنية للإنسان، المقدمة ، ص٧.

(٢)المصدر السابق، ص٩–١٠.

التواصلية؛ تقوم على المواءمة والانسجام والألفة، وتهدف إلى توطيد وتثبيت علاقة مع طرف ما لغرض ما.

إن التعرف على الاستراتيجية التضامنية ممارسة خطابية عند المتخاطبين، يمكن أن يتم بالوقوف على جملة من المبادئ والأسس التي ترتكز عليها وتوصف بها ومن ذلك : مبدأ المصلحة المشتركة: مبدأ أساس ينطلق منه المخاطب، وهو (منهج المصلحة المشتركة، ومبدأ التكامل والانسجام: وذلك بأن يعمل المخاطب على أن يشعر المرسل إليه بأن كلاً منهما مكملاً للآخر في كل شيء، بل يجعل من مسارهما، وهو يعتمد أساسا على التنازل على الرتبة الاجتماعية ونكران الذات. ومبدأ التساوي والتكافؤُ أو الدونية وعدم الاستعلاء: يؤسس المخاطب تفاعله انطلاقا من هذا المفهوم في الحوار كمبدأ مهم أيضا في عملية التواصل؛ وذلك يوضح جانبا مهما وهو السعي إلى انتفاء وإلغاء محدد السلطة فيها. ومبدأ التشابه والتماثل: يعمل المخاطب على تثبيت قرائن التشابه والترابط التي تجمعه بالمرسل إليه؛ وقد تكون هذه الروابط: روابط العمل أو العائلة أو الدين وما إلى سوى ذلك، مع التأكيد على حالات التماثل الشخصية في الجوانب الحياتية المتعددة؛ العلمية، النفسية، الثقافية، الاجتماعية وغيرها.

ترتسم هذه الاستراتيجية أفقاً خطابياً انطلاقاً من بواعث متعددة، تتجاوز حدود تحقيق ايجابية التواصل الفعال بين المتخاطبين إلى إحداث التأثير في السلوك العام من منطلق السلوك اللغوي الفردي؛ الذي يباشره المخاطب من خلال أساليب التلطف والكياسة واللين في الكلام، وهو من منظور خبراء اللسانيات الاجتماعية ذلك الأسلوب الحواري الذي يوظفه المتحاورون لتثبيت عجلة الحوار" من خلال تلك الأدوات الحوارية، يمكن أن نتصورها في مثل: معذرة، استسمحك، لا اختلف معك، التي تمنع اصطدام كلام الأطراف بعضها ببعض مما يؤثر سلبا في الحوار وفي علاقة أطرافه " (١)،.

ولعل أهم ما يستعمل منها في بناء علاقة التضامن هي: العلم: وهو أداة لغوية تتفاوت من حيث تجسيدها للاستراتيجية التضامنية في الخطاب، وأبرزها الاسم ثم الكنية ثم اللقب

(١) مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي، حسن محمد وجيه، الكويت سلسلة عالم المعرفة،العدد: ١٩٠، أكتوبر ١٩٩٤م،ص١٨٩

حسب ترتيبها في دلالة التضامن. وألفاظ التحية التي يتم انتقاؤها من المعجم اللغوي،

فتوظف في الخطاب للدلالة على التضامن[١]، كما تعد مؤشراً ومعياراً على الكفاءة اللغوية للمتكلم الذي يستخدمها للتقرب من المتلقي. والإشاريات: تعد الضمائر من أهم الوسائل الإشارية في الاستراتيجية التضامنية، إذ يستعملها المتكلم لتأسيس علاقة اجتماعية حميمة تربطه بالمتلقي، وتدل على انتمائها إلى جماعة واحدة، وعلى الاتفاق حول رأي واحد، فضلا عن استعمالها للدلالة على وظيفتها النحوية[٢]، والتصغير: ووظيفته الأساس للدلالة على القلة أو الصغر أو التحقير أو التحبب، إلا أنها تستعمل أيضا بين المتخاطبين من باب الألفة والمودة والابتعاد عن الرسميات. لهذا يلجأ المتكلم إلى استغلال هذه الوسيلة في التضامن مع المتلقي قصد التقرب منه والتواضع له، فهي تخفف من حدة الأفعال اللغوية خصوصا أفعال الطلب مثلاً، وكذلك تخف من تهديد التوجيه. ويعد استعمال هذه العلامة ضربا من التأدب غير الرسمي، فهو يقوي درجات الصداقة، بل قد يؤسس لها

(١) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٤١.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٣٠٩

الفصل الثاني

مواضعات الاستراتيجية التّوجيهية ومنزلتها في الخطاب وعلاقتها باستراتيجيّاته

المبحث الاول: ـ العوامل المؤثّرة في اختيار الاستراتيجيّة

المبحث الثاني: ـ آليات المرسل ومقاصدهُ وعلاقتُه بالمرسل إليه

المبحث الثالث: ـ الأساليب اللغوية وغير اللُّغوية

الفصل الثاني

مواضعات الاستراتيجية التّوجيهية ومنزلتها في الخطاب وعلاقتها باستراتيجيّاته

المبحث الاول: ـ العوامل المؤثرة في اختيار الاستراتيجية

يستخدم المُتكلم الاستراتيجية التوجيهية إذا كان هدفه من الخطاب النصح والإرشاد أو التحذير، إذ تسهم في توجيه المُتكلم للمُخاطَب، وتستند غالبا إلى دور السلطة الاجتماعية وغير الاجتماعية في إعطاءها المُتكلم نفوذًا يمارسه على المُخاطَب(١)، إذ إن استخدام هذه الاستراتيجية يفرض قيدًا على المُخاطَب بشكل أو بآخر، حتى لو كان قيدًا بسيطًا، أو أن يمارس فضولا خطابيا عليه، أو توجيهه لمصلحته بنفعه من جهة، وبإبعاده عن الضرر من جهة أخرى، فيعدّ الفعل الإنجازي التوجيهي إلزاما للمخاطب؛ لأنه خاضع لسلطة المُتكلم، وتعبيرا عن قصد المُتكلم.

ويقصد بالاستراتيجية التوجيهية استعمال المُتكلم بعض الأفعال الكلامية في سياقات مختلفة؛ إذ إنّ هناك سياقات لا تناسبها الخطابات المرنة التي تمنح الأولوية لمبدأ التهذيب وعوامل التخلق، ومردّ ذلك إلى أسباب كثيرة منها ما يتعلق بأولوية التوجيه على التأدّب في خطابات النّصح والتحذير وغيرها، وهذا ما يجعل أحكام الأفعال التوجيهية تسلك اتجاهين إما الوجوب وإما الندب، فإن كان عائد المصلحة للمرسل فحكم الفعل هو وجوب إطاعته وتنفيذه، أما إذا كان العكس –عائد المصلحة للمرسل إليه– فإن الحكم هو الندب(٢)

و تستند هذه الاستراتيجية إلى مفهوم السلطة؛ لأنها تقوم على أن المُتكلم، صاحب المركز الاجتماعي، فعندما تعلو سلطته على المُخاطَب، نجده عند ذلك يفضل أن يتعامل مع المُخاطَب بأسلوب رسمي وبنوعية خطابية، يؤكد رغبته في إبقاء الفرق وعامل الرتبة بينهما، فـ "تشكل هذه العلاقة السلطوية بين طرفي الخطاب عاملا من

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص ٣٢٢.

(٢) ينظر: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، حسام أحمد قاسم، القاهرة: دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ ، ص٥٥.

عوامل نجاح الاستراتيجية التوجيهية، وقد تتفاوت من التباين الشديد إلى التقارب الملموس. فيستخدم المُتكلم استراتيجية الوجاهة اللغويّة بينهما"[١]، وان سبب اختيار المُتكلم للاستراتيجية التوجيهية هو أن" المُتكلم يولي عنايته فيها تبليغ قصده، وتحقيق هدفه الخطابي، بإغفال جانب التأدّب التعاملي الجزئي في الخطاب .كما يود باستعمال هذه الاستراتيجية، أن يفرض قيدًا على المُخاطَب بشكل أو بآخر، وإن كان القيد بسيطًا، أو أن يمارس فضولا خطابيًا عليه، أو أن يوجّهه لمصلحته بنفعه من جهة، وبإبعاده عن الضّرر من جهة أخرى"[٢]، وبهذا تُعد الاستراتيجية التوجيهية وجها من وجوه الضغط على المُخاطَب والتدخل به.

ذكرت نازك الملائكة أن أحد الشعراء اليافعين قد بعث برسالة إليها ملتمسا فيها توجيهات تعينةُ في " دروب اللحن، ومزالق الوزن، والتيه الجميل الذي يسمونه لغة الشعر"[٣]، هذا ما تقوله نازك الملائكة توضيحا لغرض صياغة الرسالة؛ وعلى الرغم من كون هذا الشاعر اليافع غير معروف، ولا أثر واضحا لرسالته، فإنه ليس للقارئِ إلا أن يصدقها فيما تقول، وأن يسمع عنها ما ينبغي لهذا الشاعر اليافع أن يأخذ به؛ لكي يتّقي (دروب اللحن ومزالق الوزن والتيه الجميل)، ويمكن أن يُنظر إلى هذه الرسالة المرسلة من شاعر يافع إلى شاعرة متمرسة، وناقدة منظّرة، وكذا حضور الإجابة ونشرها ليتلقاها عموم القارئين، على أنها استراتيجية خطابية تنزع فيها الشاعرة للتوجيه؛ إذ تقول الشاعرة في عتبة الرسالة: " إلى الشعراء الناشئين الذين كتبوا إلي يسألونني كلمة توجيه ونصح تعينهم على درب القوافي"[٤].

ولقد استجابت الشاعرة الكبيرة لطلب الشاعر اليافع فَوجهّت له إجابتها عّما طلب، معنونة إياها: (رسالة إلى الشاعر العربي الناشئ)، موضحة فيها ما ينبغي له أن يأخذ به أو أن يحذر منه؛ أو أن يستهدي به. ومهما يكن من أمر، فإن الشكل التعليمي في

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص ٣٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص٣٢٢.

(٣) رسالة إلى الشاعر العربي الناشئ، نازك الملائكة، مجلة الأقلام: العراق، العدد: ١، ١٩٦٤، ص٣٤. وقد أعيد نشر هذه الرسالة في: سايكلوجية الشعر ومقالات أخرى، نازك الملائكة، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٣، ص١٠٣-١٢٧.

(٤) المصدر السابق نفسه.

(الرسالة)، لا يعدو أن يكون وسيلة إيضاحيّة معروفة، تهدف الشاعرة: من خلالها؛ إلى تقرير بعض المبادئ التي استقرّت عليها، بعد التحديدات والتغييرات التي اعترت تطورها الشعري، والنقدي في السنوات التي أعقبت صدور البيان الأول للشعر الحرٌ، على هيئة مقدمة لافتة لديوانها الثاني (شظايا ورماد)، فتخاطب الشاعرة في مطلع هذه الرسالة الشعراء الناشئين، الذين أشارت إليهم في عتبة الرسالة في الإهداء، بلفظ (الشاعر اليافع)، تقول: " أيها الشاعر اليافع، كتبت إلي على غير ما معرفة، تسألني أن أوجهك في دروب اللحن، ومزالق الوزن، والتيه الجميل الذي يسمونه لغة الشعر، وقد أحسّت نفسك المتفتحة أن حماسة الشعر تجمعك بي ولو لم ألتق بك"(١)

من أجل ذلك تأتى أهمية هذه (الرسالة)، بوصفها (مركزا) نقدياً يلخص ذوقها وآراءها النظرية والتطبيقية؛ على أن نضع في حسباننا أمورا منها، أن إدراك الشاعرة نازك الملائكة لنضج تجربتها الشعرية، والنقدية يدفع بها إلى (تلخيص) هذه التجربة، وتقديمها إلى (الأجيال القادمة) من باب المسؤولية الأخلاقية والجمالية معاً، ومن باب أن هذه (التجربة الناضجة)، قادرة على تأدية دورها الفعال في إغناء تجارب الشعر الحديث، كما أن مسؤوليتها هذه تقتضي منها أن تقف على مكان مرتفع، لكي تجعل من خلاصة تجربتها الناضجة حقائق ثابتة وقاطعة، لذلك جاءت رسالتها موجهة إلى (شاعر يافع)، وصفة الشاعر هنا هي في حقيقتها رمز يتم من خلاله فرض وجهة نظرها جزما بلا اعتراض، أو مناقشة، ومن أجل هذا يُصبح شكل الرسالة وسيلة إجرائية لتحقيق هدف استراتيجي ثابت، ينطوي على التوجيه والنصح والإرشاد، ولهذا يكون هدفا يتضمن القطع أو الجزم. تقول نازك في مطلع الرسالة موجهة خطابها للشاعر اليافع: "استلمت رسالتك وتريثت أشهرا وسنين لا أجيب عنها، ولم يكن ذلك عن سوء لقاء مني لك– فقد تلقيت الرسالة محتفية– وإنما كان سببه حرصي على أن أعطيك جوابا وافيا تنتفع به في تجنب ما يحف بك من مزالق شعرية، وما كان ذلك يتاح لي إلا بعد انصرام هذه الأشهر والسنين التي أنضجت تجربتي الخاصة وبصرتني بطبيعة الظروف الاجتماعية"(٢)

---

(١) رسالة إلى الشاعر العربي الناشئ، نازك الملائكة ، ص٣٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

إن هذه الاستراتيجية التوجيهية هنا تسجل انتقال نازك الملائكة، بوصفها شاعرة وناقدة، من مبدأ أن (القاعدة الذهبية هي اللاّقاعدة)، كما جاء في مقدمة شظايا ورماد، إلى مبدأ أن القاعدة الذهبية هي القاعدة، كما يتجلى في خطاب الرسالة واضحا؛ في الصيرورة من مبدأ التغيير إلى مبدأ الثبات، ومن القلق الإبداعي والنقدي إلى الاستقرار الإبداعي والنقدي، إذ إن من مسوغات استعمال هذه الاستراتيجية "الشعور بالتفاوت في مستوى التفكير بين طرفي الخطاب، ممّا يؤثّر في فهم كل منهما لطبيعة الآخر"(١). وهذا يعني أن استخدام هذه الاستراتيجية التوجيهية هنا، لم يكن نابعا من فراغ، بل هو ضرب من التعديلات والتبدّلات التي يقتضيها الاستقرار، وتتطلبها القاعدة.

وقد تناولت نازك في رسالتها جملة من الأمور، منها إن رسالة الشاعر وهدفه في الكون، هي القاعدة الذهبية التي ينبغي التمسك بها؛ والنموذج العالي الذي يعصم الشاعر من الغرور، ويمنحه الثقة، والزهد في النشر السريع، وخطر الإشاعة الأدبية على الشاعر، والعلاقة بين الصدق الفني والصدق العاطفي، وثقافة الشاعر ومكوناتها، والتقليد المزدوج للقديم والحديث أجنبياً وعربياً، والغموض المصطنع، والاستهانة بالقيم وإشاعة روح الإحباط والتشاؤم، وإدراك الشاعر ضرورة توافر رؤية كاملة للحياة والوجود.

إن جملة هذه القضايا التي تعرضت لها الشاعرة نازّك الملائكة، لاتزال محط اهتمام النقاد وفلاسفة الفن في العالم؛ غير إن أهمية ما تقوله نازك متأت من توجيه الموضوع في الطريق الذي هو أوفر أمنا، والذي يُعطي عملية الإبداع قواعد محدودة ثابتة، مع هامش ضيق من الحركة، يعصم الشاعر الناشئ من مزالق (التيه الجميل). وهذا التوجيه الذي تتبناه نازك الملائكة في الرسالة يعكس إصرارها بوصفها متكلما على تنفيذ قصدها عند إنجاز الفعل، وعلى حصول أقصى مقتضى خطابها، والتأكيد على أنّها لا تتوانى عن تعقّب خطاب المخاطَب الذي هو الشاعر الناشئ، والتمسّك بمدلوله؛ فمدلول خطابها الحرفي هو الفيصل عند اللبس في ذهن المُخاطَب، ومن ثمّ "فإنّ استعمال الاستراتيجية التوجيهية هنا يعد احترازا من الشاعرة الملائكة من سوء الفهم، أو التأويل الخاطئ، وفي هذا مسوّغ لاستعمالها الاستراتيجية هنا.(٢)

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٣٢٨.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص٣٢٩.

تبدأ رسالة نازك إلى الشاعر العربي الناشئ وتنتهي بهدف الشاعر، ورسالته في الكون، وهي رسالة تدعو فيها نازك إلى التوافق بين الجمال والأخلاق، على اعتبار أن الأول في جوهره، صورةٌ للثاني، تقول: "الأخلاق أعلى صور الجمال في الخليقة"[١]، ولعل إدراك هذه الحقيقة هو الذي حدا بنازك إلى أن توصي هذا الشاعر اليافع بأن "أول ما ينبغي لك أن تدركه أنك شاعر، وأن للشعر وظيفة خيرة، يؤديها إلى الحياة والكون. لقد لمس الله نفسك لمسة النغم لكي تكون نبعا من منابع القوة والجمال في هذا الوجود"[٢].

ترى نازك الملائكة أن الشعر هبة من الله، وفي قولها: لمس الله نفسك لمسة النغم؛ كي تكون نبعا من منابع القوة والجمال في هذا الوجود، تساوق مع فكرة إفلاطون التي تريد أن يتحول الشعر إلى معلم يربي الصغار والكبار وفقاً للتعاليم التي يتلقاها من الحاكم الفيلسوف[٣]، كما تعيد الملائكة بقولها السابق إلى الأذهان فكرة (الوحي) و(النبوة) التي دعا إليها الرومانسيون الذين وضعوا الشاعر في موضع النبوة، وحمّلوه رسالة النبي[٤]. وكل هذه تعزز من حضور الاستراتيجية التوجيهية بما تؤسس من سلطة المرسل، ووجوب تسليم المرسل إليه، ورغبة المُتكلم في الاستعلاء، أو الارتفاع بمنزلته الذاتية.[٥]

بعد ذلك، تضع نازك الشروط التي يجب ان تتوافر للشاعر كي يلحق بالقاعدة الذهبية– النموذج المثالي، وتتلخص هذه الشروط معرفة الوزن والقافية ومعرفةً علميةً، وضبط أصول اللغة وقواعدها ضبطا محكماً، والاطلاع على الموروث الشعري القديم والحديث؛ عربياً وأجنبياً. تقول: " ثم بعد أن تناولنا هدفك ورسالتك في الكون، ننتقل إلى الحديث عن الخلق النموذجي للشاعر وهو الخلق الذي يزينك ويساعدك في حياتك الشعرية معا. والقاعدة الذهبية التي ينبغي أن تتمسك بها، هي أن تضع لنفسك مقياسا

---

(١) رسالة إلى الشاعر العربي الناشئ، نازك الملائكة، ص٣٥.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤.

(٣) ينظر: النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ص٣٤.

(٤) ينظر: أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث، فؤاد القرقوري، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٨، ص ١١٤.

(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٣٢٨.

شعريا عاليا كل العلو، فإذا التزمت هذه القاعدة كانت لها نتائج ثلاث خطيرة ذات أثر كبير في نمو شاعريتك وسمعتك، وأنا أدرج هذه النتائج ليتاح لك تأملها"[١]

ورغم أن هذه الشروط أمور بديهية، فإن أهميتها متأتية من توجيه المعرفة العروضية، واللغوية، والثقافية، ففي الوقت الذي تريد فيه من الشاعر اليافع أن يلاحق النموذج المثالي، فإنها تفرض عليه شرطاً يخالف التطلع إلى النموذج، هو أن يستعين بضبط العروض وصحة استخدامه في الشعر بالتخميس، والتشطير، ونظم الدوبيت، والبند، والإجازة، وغيرها من قوالب إيقاعية. وفي رأي نازك الملائكة أن انصراف الشاعر اليافع، يجب أن يكون في البدء، إلى التمرين على هذه القوالب، التي تساعد على تنمية القدرة وتنشيط الشاعرية. وقد اتسمت الاستراتيجية التوجيهية هنا بالوضوح في التعبير عن قصد المُتكلم، "إذ ان من مميزات التوجيه الصريح أنه لا يستلزم أكثر من قصد للخطاب ، وبالتالي، فإن الخطاب لا يدع للمخاطَب فرصة التأويل أو التملّص من مضمونه"[٢]، وتتسم الاستراتيجية التوجيهية عند شعراء التفعيلة العرب بالوضوح في التعبير عن قصد المُتكلم، يقول بدر شاكر السياب في مقدمة ديوانه (أساطير)[٣]: " ليس ما أكتبه الآن مقدمة، إنما هي خواطر تتجاوب في نفسي، وأنا مقدم على وضع هذه القصائد، التي يحويها هذا الديوان، بين أيدي القراء. والقراء يختلفون في أذواقهم الفنية، وفي نظراتهم إلى الشعر وإحساسهم به؛ اختلاف شاعر عن شاعر، وأديب عن أديب، أو أكثر من هذا. ولهذا كان إلزاما عليَّ أن أسجل بعضاً من هذه الخواطر، علّها تعين على فهم هذه القصائد والانفعال فيها من صور وأحاسيس"[٤].

إن من مميزات التوجيه الصريح في مقولة السياب الآنفة، هو أنه لا يستلزم أكثر من قصد للخطاب، ولهذا فإن الخطاب لا يدع للمخاطَب فرصة التأويل أو التملّص من مضمونه، مادام الشاعر منهمكا في توجيه القارئ؛ بذريعة الإعانة على الفهم، كما يؤكد

---

(١) رسالة إلى الشاعر العربي الناشئ، نازك الملائكة، ص ٣٦

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٣٢٧.

(٣) ينظر: أساطير، بدر شاكر السياب، النجف: منشورات دار البيان، مطبعة الغري الحديثة، ١٩٥٠، المقدمة ص٥-٨.

(٤) المصدر السابق، ص٥. وكتاب السياب النثري، جمع وإعداد وتقديم: حسن الغرفي، فاس: منشورات مجلة الجواهر، ١٩٨٦، ص١٠.

هذا السياب نفسه بوصفه متكلما؛ فيوجه المتلقي إلى المنفعة (الخواطر)، ويقدم له تعليمات (علّها تعين على فهم القصائد). وكونه شاعرا معروفا، فَإنّه يمتلك السلطة على الجمهور المتلقي، وفي قوله: (كان إلزاما علي) دعوة إلى حسن التأدب مع الجمهور الذي يخاطبه بصيغة يبدو فيها المتكلم موجَّها وليس موجِّها، فـ"خطاب هذه الاستراتيجية يعد ضغطا وتدخلا، ولو بدرجات متفاوتة، على المرسل إليه وتوجيهه لفعل مستقبلي معين"(١)، مما يدل على كفاءة المرسل/السياب اللغوية والتداولية والقدرة على إيصال الرسالة السهلة الواضحة إيصالا يُفهم منه القصد دون حاجة إلى التأويل.

وتستعمل في أداء هذه الاستراتيجية أدوات لغويّة عدّة، منها :أساليب الإنشاء الطلبي وهو ما يستدعي مطلوبا ليس حاصلا وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل، فالمراد به إنجاز فعل ما؛ لأن العبارة الإنشائية الطلبية لا يقصد بها قول شيء ما، بل يقصد بها إنجاز هذا الشيء، وقد ذكر الشهري(٢) مسوغات استعمال الاستراتيجية التوجيهية دون غيرها، وهي:

١. الشعور بالتفاوت في مستوى التفكير بين طرفي الخطاب، ممّا يؤثّر في فهم كل منهما لطبيعة الآخر. ويظهر هذا واضحا فيما يذكره السياب في مقدمة ديوان أساطير، واصفا الشعر الحديث بكون صاحبه متعاطيا لموسيقى غير مألوفة يتعاطاها الشاعر الحديث مشيرا الى نفسه في ديوانه الذي يضع له مقدمته، مؤكدا التفاوت بين مستويي الشاعر/السياب، والقارئ/الجمهور، يقول: " وأول ما يلتقي به قارئ هذا الديوان، نوع من الموسيقى، لا عهد به لأغلب قراء الشعر في العراق"(٣).

٢. تهميش ما قد يحدثه استعمال هذه الاستراتيجية من أثر عاطفيّ سلبيّ في المُخاطَب، فيقصي المُتكلم اعتبار هذه التأثيرات في نفسيّة المُخاطَب، متجاهلا إيّاها.

٣. تصحيح العلاقة بين طرفي الخطاب غير المتكافئين في المرتبة، وإعادتها إلى سيرتها الأولى.

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٣٢٢.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص٣٢٢-٣٢٩.

(٣) أساطير، بدر شاكر السياب، المقدمة، ص٥.

٤. رغبة المُتكلم في الاستعلاء، أو الارتفاع بمنزلته الذاتية. يقول السياب: " وقد لاحظت من مطالعاتي في الشعر الإنكليزي، أن هناك (الضربة) وهي تقابل (التفعيلة) عندنا، مع مراعاة في خصائص الشعرين من اختلاف و (السطر) أو (البيت) الذي يتألف من ضربات مماثلة في النوع للضربات الأخرى في بقية الأبيات، ولكنها تختلف عنها في العدد في بعض القصائد"(١)

٥. إصرار المُتكلم على تنفيذ قصده عند إنجاز الفعل، وعلى حصول أقصى مقتضى خطابه، والتأكيد على أنّه لا يتوانى عن تعقّب خطابه، والتمسّك بمدلوله؛ فمدلوله الحرفي هو الفيصل عند اللبس في ذهن المُخاطَب، ومن ثمّ فإنّ استعمال تلك الاستراتيجية يعد احترازا من سوء الفهم، أو التأويل الخاطئ. يقول عبد الوهاب البياتي في بيانه الشعري الذي كتبه سنة ١٩٥٣ بعنون (إعادة نظر واجبة): "في "أرضنا الطيبة" وفي شرقنا العربي، وفي القرن العشرين أيضا لا يزال مئات ومئات من صيادي الذباب ينظمون ويهرفون، فمن لنا بإحراقهم وإحراق أشعارهم وذبابهم. وأعود إلى رعش الذباب– القافية La rime وإلى الوزن أو الإيقاع Le rythme فأقول: إنه قد آن لنا أن نقضي عليهما– قدر الإمكان– لأنهما لم يعودا مؤاتين لتجاربنا الجديدة" ولأزمة ضميرنا وحريتنا. هذا وإن جمود الشعر عاجز، ناقص، كسح ينبغي أن يعاد فيه النظر"(٢). إن البياتي في بيانه يستعمل الاستراتيجية لإنجاز توجيهين، الأول برفض الشعر القديم الذي يرى بعض الشعراء المجايلين له يأخذون به، الذين يشبههم بمن "يجلسون مزجر الكلب من مائدة الشنفري أو البحتري أو الحارث بن حلزة، وعيونهم جاحظة ولعابهم يسيل، ولا يزالون يتصيّدون أوزانهم وقوافيهم"(٣)، والثاني بضرورة تجاوز الموضوعات التقليدية، ولا يكتفي البياتي في بيانه بالسلطة التي يوفرها له موقعه بوصفه شاعرا معروفا، بل يأتي تناصه

---

(١) أساطير، بدر شاكر السياب، المقدمة ، ص٦.

(٢) إعادة نظر واجبة (بيان)، عبد الوهاب البياتي، موقع جهة الشعر،ص١:
http://www.jehat.com/ar/BayanatShe٣reya/Pages/A.Wahab.html

(٣) المصدر السابق نفسه.

مع مقولات ذائعة لأدباء مؤثرين في عصره، بمثابة استجلاب لسلطة توجيهية عالمية، إذا ما تم النظر إلى سلطته بوصفه شاعرا، سلطة محلية؛ فاستعادة ألفاظ الشاعر الروسي المعروف (مایاكوفسكي ت ١٩٣٠) في الثورة على " على الشعراء الزائفين، والموتى، وصيادي الذباب على المصاطب، فيما تحترق حديقة الليمون"[١]، جاء للتأثير في المخاطب لإنجاز الفعل.

٦. حصول تحدّ واضح للمرسل أو لتعليماته، أو تحد ضد الأنظمة والتعليمات العامّة، أو بالإساءة إليه رغم سلطته، أو عندما يشعر المُتكلم بأنّ المُخاطَب قد يتجاوز حدوده في النقاش، أو الحوار، أو أنّه يتحداه بفعل ما.

٧. مناسبة السياق التفاعلي لاستعمال الاستراتيجية التوجيهية.

المبحث الثاني: ـ آليات المرسل ومقاصده وعلاقته بالمرسل إليه

تهتم التداولية بدراسة اللغة وما يحيط بها من عناصر التواصل، كما تهتم بالمتكلم ومقاصده ووضعية المخاطب. والظروف الخارجية التي لها علاقة بعملية التواصل بغية تحقيق الهدف التواصلي بملفوظات واضحة. والبحث عن الأفعال الواردة في النص ودراسة أغراضها، مشيرا لعدة تساؤلات: من المتكلم؟ ومن يخاطب؟ وما الحدث الذي يبديه؟ وما زمن الخطاب ومكانه ؟ وما الغاية المرجوة من الخطاب؟[٢]

والإجابة عن هذه الأسئلة، هي أنّ الشاعر هو المتكلم، حيث تحاول الدراسة الوقوف على أغراض شعره مقاميا من خلال الخطاب الصادر عن شخصه، وعلاقته بالمخاطب الذي هو المثقف العربي أو الجمهور عاما، موضّحا كيفية فهمه لما يريده المتكلم منه بالضبط، لا ما تريده العبارة. أما الحدث الذي يبديه فهو شعر التفعيلة، ونظرية الشعر الجديد. وخصّت هذه الدراسة ما يراد من الألفاظ غير المنطوقة لاستنتاج الحلول؛ لأنّ اللغة تسهم في تمكين التفاعل الاجتماعي والتأثير في الآخرين، وتحقيق التواصل الذي

---

(١) الشعر العربي الحديث وروح العصر، جليل كمال الدين، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤، ص١٠٨.

(٢) ينظر: التداولية، جورج يول، ص٩٦.

يعتمد عليه الناس في حياتهم اليومية. والغاية المرجوة من هذا الخطاب هو الكشف عن القيمة الخطابية للنصوص الذي انطوت عليها المقدمات والبيانات والتجارب الشعرية.

حظيت مقدمة ديوان (قرارة الموجة) لنازك الملائكة الصادر سنة ١٩٥٧، بأهمية كبيرة، لكونها كُتِبَت بعد مرور عقد على ظهور ما سمته الشاعرة بـ (الشعر الحر)، فضلا على أنها مقدمة تنطلق من "جدل الحاضر والماضي والمستقبل، بحكم أنها تستحضر هواجس الشاعرة الآنية واللاحقة في استعادة ومحاورة هواجس الذات الكاتبة كما تجسدت وفكرت في نصوص قرارة الموجة."(١) وربما قادت هذه الاستعادة، وحتّم حضور الجدل على الشاعرة، اختيار الحوار التخييلي مادة للمقدمة، فانقسمت ذات المخاطب/الملائكة فيها إلى شخصيتين متحاورتين متصارعتين. تقول نازك الملائكة محاولة تفسير هذه البنية التي استعانت بها لصياغة المقدمة: " كنت قد كتبت هذا الحوار التحليلي عام ١٩٥٧ لأجعله مقدمة للطبعة الأولى من قرارة الموجة. وقد حاولت فيه أن أشخص تطوري النفسي بين الفترة التي نظمت فيها هذا الشعر (١٩٤٧-١٩٥٣) والفترة التي كنت أمر بها عام ١٩٥٧ حينما كنت أنظم قصائد ديواني الرابع (شجرة القمر) ومن عادتي ألا أنشر إنتاجي الشعري إلا بعد مرور الزمن عليه، ليكون حكمي عليه أصوب، وذلك سر الفروق الزمنية التي تقوم بين شخصيتي الفكرية في قرارة الموجة وشخصيتي الجديدة عام ١٩٥٧ ولذلك سميت بطلة قرارة الموجة بـ(الأولى) وبطلة عام ١٩٥٧ بـ(الثانية)"(٢)

لقد سعت نازك بوصفها متكلما إلى توجيه المخاطب لفعل كلامي وفق معالم المحيط الاجتماعي؛ كي يتمكّن من إنجاح الأفعال الكلامية إلى غرضها الإنجازي، ومحاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين، وقد استعملت نازك في النص السابق من المقدمة، ضمير المتكلم (كتبت، حاولت، كنت، عادتي، انتاجي، حكمي، شخصيتي، سمّيت)، ويعدّ ضمير المتكلم من الإشاريات، وهو من أكثر الضمائر في القدرة على

---

(١) الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، نبيل منصر، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٢٦٤.

(٢) ديوان نازك الملائكة، نازك الملائكة، بيروت: دار العودة، ١٩٩٧، المجلد الثاني، ديوان قرارة الموجة، المقدمة، ص٢٠٥-٢٠٦.

التعبير عن الذاتية في اللغة، عن طريق امتلاك ناصية الحديث، واكتساب السلطة بالخطاب بمجرد التلفظ به؛ فالإشارة السابقة ب (أنا) تفترض وجود متكلّمٍ ومخاطَبٍ، وتلفظ المُتكلم بالخطاب السابق في مكان محدد وفي زمان محدد، يوجه قصدًا مباشرا للمخاطب"[١]، أي إن المُتكلم بمجرد تلفظه بـ (أنا) في الخطاب، يفترض أنه يخاطب شخصا آخر يتمثل في متلقي خطابه، ويصبح (أنت)، فالوعي بالذات يتحقق بحضور النقيض، "فيظهر المُتكلم أعلى رتبة من الشخص المُخاطَب، وهذا هو الوجود التداولي للضمائر في الخطاب، حسب بينفنيست[٢].

إن المرسل في الاستراتيجية التوجيهية يقدم توجيهات ونصائح، وأوامر، ونواه تتجه لتحقيق مقاصد المخاطب أو المرسل إليه، وتنجز أفعالا لمنفعته، ولا يعد التوجيه هنا فعلا لغويا حسب، وإنما يعد وظيفة من وظائف اللغة التي تعنى بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف (مايكل هالداي)[٣]؛ فاللغة تعبير عن سلوك المرسل، وتأثيره في توجيه المرسل إليه وسلوكه، وسبب اختيار المرسل هذه الاستراتيجية في رأي بعض الدارسين "هو إصراره على تبليغ قصده من وراء الخطاب، وكذا توجيه المرسل إليه من خلال النصح والتحذير والإرشاد"[٤]، وقد يمارس المرسل فضولا خطابيا على المرسل إليه، أو توجيهه لمصلحته بنفعه من جهة، وبإبعاده عن الضرر من جهة أخرى، ولكن الذي يغلب هو أن هذه الاستراتيجية تخص المرسل فقط، كما يتجسد واضحا في المقدمة التي كتبتها لديوانها (شظايا ورماد) الصادر سنة ١٩٤٩، تقول: " ينبغي ألا ننسى أن هذا الأسلوب الجديد ليس (خروجا) على طريقة الخليل؛ وإنما هو تعديل لها، يتطلبه تطور المعاني والأساليب خلال العصور التي تفصلنا عن الخليل. فالخليل قد جعل وزن البحر "الكامل

---

(١) المشيرات المقامية في اللغة العربية، نرجس باديس، منوبة– تونس: مركز النشر الجامعي، ١٩٩٩، ص٢٣١.

(٢) ينظر: الذاتية في اللغة، إميل بنفنيست، ترجمة: حميد سمير، عمر طي، مجلة نوافذ: النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، العدد: ٩، سبتمبر ١٩٩٩، ص٦٥.

(٣) مايكل هاليداي من أبرز المؤسسين لمدرسة لندن ضمن الاتجاه الوظيفي في اللغة، وقد طوّر النظرية السياقية التي عرف بها العالم الإنكليزي جون فيرث، ثم وضع نظرية سماها نظرية(النحو النظامي), ينظر: سياق الحال في الاتجاهِ الوظيفيّ (مايكل هاليداي "أنموذجا")، م.د. أحمد كاظم عمّاش، م.د. رياض حمود حاتم، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد: ٢٩، تشرين الأول، ٢٠١٦، ص١٣٣.

(٤) استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (مقاربة تداولية)، باسم خيري خضير، كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة – مؤسسة علوم نهج البلاغة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧، ص١١٩.

[مثلا (...)] مرتكزا إلى (متفاعلن)؛ التي اعتاد العرب إن يضعوا ثلاثا منها في كل شطر، وكل ما سنصنع نحن الآن أن نتلاعب بعدد التفاعيل وترتيبها"[١]. يظهر في النص السابق سعى المرسل من خلال خطابه التوجيهي (ينبغي أن لا ننسى) إلى الضغط على المرسل إليه؛ لتوجيهه إلى مقاصد معينة يفرضها سياق التخاطب مثل سياق النصح أو الأمر أو التحذير؛ فخطاب الاستراتيجية التوجيهية في مقدمة شظايا ورماد، مكتنز بالضغط والتدخّل، ولو بدرجات متفاوتة، على المرسل إليه، وتوجيهه لفعل مستقبلي معين، هو وجوب التعديل العروضي الذي (يتطلبه تطور المعاني والأساليب خلال العصور التي تفصلنا عن الخليل)، ومن هنا يثبت نزوع المرسل/نازك الملائكة إلى استعمال الاستراتيجية التوجيهية؛ لغاية الوضوح، وتبيان المقاصد وفق ما يقتضيه سياق التخاطب.

وفي قول نازك الملائكة: " أتراني لو كنت استعملت أسلوب الخليل، كنت أستطيع التعبير عن المعنى بهذا الإيجاز وهذه السهولة؟ ألف لا. فأنا إذ ذاك مضطرة إلى أن أتم بيتا له شطران، فأتكلف معاني أخرى غير هذه، أملأ بها المكان"[٢] يفرض سياق التخاطب هنا استعمال الاستفهام بوصفه آلية لغويّة توجيهيّة، تعمل على توجيه المُخاطَب إلى خيار واحد، وضرورة الإجابة عليها، ومن ثمّ، فإن نازك الملائكة تعمد هي للإجابة بالنفي القاطع (ألف لا) ، من غير أن تتيح للمخاطب أن يهيأ جوابه، وهذه الآلية في الاستراتيجية التوجيهية تستعملها نازك الملائكة، للسيطرة على ذهن المُخاطَب، وللسيطرة على مجريات الأحداث، وتسيير الخطاب تجاه ما تريده بوصفها مُتكلما، لا بحسب ما يريده الآخرون، على الرغم من أنها تخرق قاعدة التخيير في مبدأ التأدب، الذي صاغت قواعده (روبين لاكوف)، بوجوب أن يترك المرسل للمرسل إليه مجال الاختيارات مفتوحا، وان لا يكون مقيد الحرية في اتخاذ قراراته.[٣]

وهذا السعي بأخذ الخطاب إلى جهة المرسل، المحتفلة بطغيان الذات المتكلمة، يتحقق في غير ما نصٍ من نصوص مقدمة ديوان شظايا ورماد، التي تقول نازك الملائكة

---

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص١٥-١٦

(٢) المصدر السابق، ص١٤.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٣٥٥.

في إحداها: " ولن يعثر القارئ على شيء مثير في قصيدة «مرَّ القطار» إن هو توقع أن يجد بها وصفا لقطار أو لرحلة في القطار. فقد كان غرضي الأساسي من كتابتها أن أعبر عن الشعور الغامض الذي يحسه المسافر ليلاً بالدرجة الثالثة من القطار، فهناك حالة التعب الكلي، ...، هناك صوت عجلات القطار الرتيب،...، ثم هناك منظر المسافرين الغرباء وقد جمعتهم عربة القطار صفوفا والقطار يصفر بين حين وحين فيثير إحساسا غريبا في النفس،...، وبين فترة وأخرى يصدف أن يتثاءب مسافر غريب لا تعرفه،...، فإذا أحس قارئ «مرَّ القطار» ببعض هذا الجو كان ذلك حسبي"(١). وهنا تحقّق هذه الاستراتيجية فعلها التوجيهي في نظام الخطاب، بتوافر مقوّمات لدعم عملية التوجيه؛ منها سلطة المرسل/الملائكة التي بدت ملزمة للمرسّل إليه بإنجاز فعل ما؛ لأنّ ما جعل خطاب نازك الملائكة إنجازا لفعل توجيهي، هو ربطه بأنا المرسل المشتغلة بالخطاب، حتى غدت هذه الأنا مُوجّها للخطاب الذي عبّر عن قصد المرسل، وحقق هدفه، ومن هنا بدت العلاقة السلطوية بين المرسل والمرسل إليه عاملا مهمّا لنجاح فعل التوجيه. وهكذا ظهرت الاستراتيجية التوجيهية التي اتّبعها شعراء التفعيلة في مخاطبتهم منذ الوهلة الأولى التي حضرت فيها ذواتهم معززة السلطة التي قام عليها إنجاز الأفعال.

وعند استعمال الاستراتيجية التوجيهية، يتم تصنيف المرسل إليه إلى صنفين، أولهما متخيّل، يكون على معرفة مباشرة بالمرسل إليه، وعندها يتصف الخطاب بالعموم والديمومة، والمناسبة، كما يرد في كتابة التجارب الشعرية لشعراء التفعيلة العراقيين، ففي مايبثه عبد الوهاب البياتي في تجربته الشعرية، لا يظهر المرسل إليه في بنية النص، ولكن الخطاب موجه إلى متلق متخيل ، يظهره المرسل/البياتي مصغيا إليه، ومسلما بكل توجيهاته؛ لأنه واضح عنده ومعروفة نواياه الموافقة لما يريد المرسل أن ينجزه، وهذا ما جعل الخطاب متسما بالعمومية والاستمرارية، يقول البياتي: " إن المهم هنا، إنما هو نقطة البداية. إن البدء في محاولة فهم العالم ومحاولة تغييره ودفعه إلى خارج نطاق النصائح والتعاليم والتربية، ومحاولة التمرد عليها ومناقشتها، وخلق نوع من الحوار الصامت حولها، كلّ هذا يلعب دورا في صنع عالم الشاعر القادم"(٢). إن الأفعال

---

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص٢٥-٢٦.

(٢) تجربتي الشعرية، عبد الوهاب البياتي، مجلة الآداب، بيروت، العدد: ٣، مارس ، ١٩٦٦، ص٤

الإنجازية في مقولة البياتي تُعبّر عن رغبة المرسل أو أمنيته بأن يكون خطابه راسخا، ومنصتا إليه (إن المهم هنا)، أو بأن تُوحد إرادته التي انطوى علها خطابه (محاولة التمرد)، على أنّها هي السبب الرئيس أو الدافع الحقيقي في الفعل الذي سوف يأتي به المرسّل إليه مستقبلا، عبر التوجيه الإثباتي الذي يفيد الإثبات والتوكيد على فكرة ما، ولهذا يعمد المرسل إلى استعمال أدوات لتوكيد قوله، ودفع إنكار المخاطب من قبيل (إنّ، وإنما)، حيث تنهض هذه الأدوات بوظيفة تتمثّل في تقديم المسائل إلى المتلقي وفرضها عليه. وقد تم توظيف أسلوب التوكيد بقصد رد إنكار المخاطب، ودفع الشك، وقد اصطلح عليها عبد الله صولة بـ (الموجّهات اليقينية)، التي "تتعهدّ بضمان حقيقة الكلام، ذلك أن الإقناع يحصل لدى المتلقي بمجرد أنّ القضية المعروضة عليه جاءت موجّهة توجيه إثبات"(١). وأما الصنف الثاني من المرسل إليه، فحاضر عند التلفظ بالخطاب، وعندئذ يكون الخطاب أو التوجيه مقصورا عليه؛ لضيق السياق الذي يدور فيه الخطاب، إذ لابد أن يأخذ المرسل بعين الاعتبار ميزات الفرد، والمعرفة المشتركة بينهما(٢)، ويتجلى هذا واضحاً في بيان بدر شاكر السياب الموجه إلى مرسل إليه يخصه بالخطاب، وقد جاء عنوان البيان (إلى الأستاذ رئيف خوري)، وفيه يقول السياب: " لعل اختلاف النهار والليل الذي ينسي قد أنساك– أيها الصديق الكريم... أما حديثك عن الوضوح الذي يعوز شعري، فهو أمر يطول الحديث فيه، فعلينا أولاً أن نحدد معنى الوضوح في الشعر، وعلينا ثانياً أن نثبت أن الوضوح شرط لازم لجودة الشعر. أين نضع رامبو – الذي كنت تجهله قبل أن يكتب عنه الدكتور سهيل إدريس – وأين نضع إليوت وإيديث ستويل، بل وأين نضع أبا تمام وحتى المتنبي إذا جعلنا (الوضوح) –كما يفهم من قولك– شرطا من شروط الشعر الجيد؟"(٣) . إن النص السابق يعكس بوضوح خطابا توجيهيا مقصورا على المرسل إليه/رئيف خوري؛ وقد تميز السياق الذي دار فيه الخطاب بالمحدودية، فكان

---

(١) الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، بيروت: دار الفارابي للنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧، ص٣٢٠.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، دليلة قسمية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص: لسانيات الخطاب، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر–باتنة: الجزائر، السنة الجامعية ٢٠١١–٢٠١٢، ص٨٠.

(٣) إلى الأستاذ رئيف خوري (بيان)، بدر شاكر السياب، مجلة الآداب، بيروت، العدد: ٦، يونيو ١٩٥٥، ص٦٦.

على المرسل/السياب أن يأخذ بعين الاعتبار ميزات المرسل إليه/الخوري، وأن يعتدّ بالمعرفة المشتركة بينهما.

تعكس لغة المقدمة/البيان/التجربة علو مرتبة المرسل، الذي هو الشاعر على المرسل إليه؛ الذين هم جمهور المتلقين مبتدؤون، وهو يدعوهم للتعلم... ولكي يتحقق المراد من التأثير النفسي، من خلال خطابات المقدمات تظهر الرسائل عدة قضايا تواصلية غاية في الأهمية منها: لغة العرض، الموقف الأولي والمثالي، دائرة المشترك، وهي كلها مؤشرات الاستراتيجية التوجيهية للشاعر في مخاطبته من منصب المجرب الراسخ في العلم الذي يأخذ فيه بمراعاة المنازل تجسيداً للقوة الخطابية، من وجهة نظر لسانيات الخطاب. تخاطب نازك الملائكة الشاعر الناشئ مخاطبة المعلم تلميذه:" والخطة الجيدة في الدراسة الأدبية أن تحرص على أن يكون لك اطلاع عام واسع على شعر الكثير من الشعراء، وسيرهم، على أن تختار مجموعة صغيرة من البارزين تفرغ لدراستهم دراسة خاصة مفصلة"(١)، وسلطة المرسل مستمدة من كون نازك لها تجارب في المجال الثقافي، ومستمدة أيضا من كونها صاحبة علم راسخ ومشهود لها، وتتوافر على قيم ثابتة، تقول الملائكة في وصف سلطتها التي سمحت لها أن تسدي توجيهاتها للشاعر اليافع: "وما كان ذلك يتاح لي إلا بعد انصرام هذه الأشهر والسنين التي أنضجت تجربتي الخاصة"(٢)، أما جهة المرسل إليه، فقد اتضحت من خلال سؤاله الشاعرة التوجيه والإعانة: "وها أنا أجيبك على رسالتك، لعلك تجد في رأيي ما يعينك على ارتقاء هذا الطريق".(٣)

وتتسم الاستراتيجية التوجيهية بالوضوح في التعبير عن قصد المرسل؛ إذ لا يحتمل الخطاب أكثر من تأويل، ويكمن هذا في أنها تستعمل الأفعال اللغوية الصريحة. لقد اتجه العلماء المحدثون في دراسة الاستراتيجية التوجيهية ووقوعها إلى اتجاهين، الأول: يهتم بالدراسات الى تؤكد على مبدأ التأدب، تقول (جانيت هولمز): " إن التأدب يعني لغويا أن تخاطب الآخرين على ضوء علاقتك بهم" (٤)، توجه نازك علاقتها بالمرسل إليه

---

(١) رسالة إلى الشاعر العربي الناشئ، نازك الملائكة، ص٤٣.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) Holmes, Janet, An introduction to sociolinguistics. London: Longman, ١٩٩٢. Pp.٢٩٦
استنادا إلى: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،٢٠١٤، ص٢٩٨.

(الشاعر اليافع)، قبل أن توجهه أو تعينه: "إن حماسة الشعر تجمعك بي، ولو لم ألتق بك"[١]. والثاني: يركز اهتمامه على كيفية إنتاج الخطاب وفقا للاستراتيجية التوجيهية، " لأنك تدري أنك شاعر ناشئ لا تخلو نظرتك من الفجاجة والحماسة،...، أنت تدري أنك تحتاج إلى الوقت في تثقيف نفسك، وإرهاف قدرتك على الرؤية والتعبير"[٢]

وتظهر الدراسات المعاصرة اهتماما بأفعال الكلام ومستوياتها. فأفعال الكلام في التداولية المعاصرة عند الفيلسوف الأمريكي (جون روجر سيرل)، في كتابه أفعال الكلام الصادر في عام ١٩٦٩، خمسة أصناف، من ضمنها الأفعال التوجيهية التي يحاول فيها المرسل التأثير في المرسل إليه للقيام بفعل شيء ما في المستقبل، والأفعال الى تدل عليها هي: أطلب، أرجو، اسأل، التمس، أناشد، أتضرع، استعطف، أشجع، انصح، أتحدى، اعترض. وقد أدرج (أوستين) هذه الأفعال ضمن الأفعال السلوكية[٣].

لقد اعتمدت الشاعرة نازك الملائكة في مقدمة شظايا ورماد على نمط تعبيري واحد هو الاستفهام: "ويقولون: ما لطريقة الخليل؟ وما للغة التي استعملها آباؤنا منذ عشرات القرون؟ والجواب أوسع من أن يمكن بسطه في مقدمة قصيرة لديوان. ما لطريقة الخليل؟ ألم تصدأ لطول ما لامستها الأقلام والشفاه منذ سنين وسنين؟ ألم تألفها أسماعنا، وترددها شفاهنا، وتعلكها أقلامنا، حتى مجّتها ؟ ... ما للغة؟ وأية ضرورة إلى منحها آفاقا جديدة؟ ... أتراني لو كنت استعملت أسلوب الخليل، كنت أستطيع التعبير عن المعنى بهذا الإيجاز وهذه السهولة؟ ... ألم نلصق لفظ الوضاء بالنجوم دونما حاجة يقتضيها المعنى إتماما للشطر بتفعيلاته الأربع؟ ألم تنقلب اللفظة الحساسة الغيوم إلى مرادفتها الثقيلة الغمائم، وهي على كل حال لا تؤدي معناها بدقة؟ "[٤]، كما وظفت الشاعرة الإحالة الإشارية المكونة من الضمير (هم): إنها قد كانت يوما لغة موحية، تتحرك وتضحك وتبكي وتعصف، ثم ابتليت بأجيال من الذين يجيدون التحنيط وصنع التماثيل، فصنعوا من ألفاظها نسخا جاهزة، ووزعوها على كتابهم وشعرائهم، دون أن يدركوا أن شاعرا واحدا

---

(١) رسالة إلى الشاعر العربي الناشئ، نازك الملائكة، ص٣٧.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤.

(٣) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ص٣٣.

(٤) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص٨-١٤.

قد يصنع للغة ما لا يصنعه ألف نحوي ولغوي مجتمعين"[١] ، وتعني بالضمير (هم) النقاد المخالفين لمذهب الشاعرة وتوجيهاتها، وضمير المتكلم (التاء): ، وتقصد نفسها وكل من يرى شعر التفعيلة ضرورة، ولا تفتأ نازك الملائكة تعيد هذا الضمير لفظا وإحالة في كل توجيه. وبغية تفعيل لغة التمرد والتجديد في المجتمع، ابتدأت الشاعرة النص بفعل كلامي أكبر، هو فعل (جثم):" وقد يرى كثيرون معي أن الشعر العربي لم يقف بعد على قدميه بعد الرقدة الطويلة التي جثمت على صدره القرون المنصرمة الماضية"[٢]، الذي يعد بؤرة القصد لإنجاز الأفعال الكلامية في هذا النص. ثمّ انتقلت إلى الوعيد محذرة من الجمود وموت اللغة:" لأن الألفاظ تخلق كما يخلق كل شيء يمر عليه إصبع الاستعمال في هذه الحياة المتغيرة، وهي تكتسب بمرور السنين جمودا يسبغه عليها التكرار، فتفقد معانيها الفرعية شيئا فشيئا، ويصبح لها معنى واحد محدود، يشل عاطفة الأديب ويحول دون حرية التعبير"[٣]، وبعدها وجّهت أفعالا كلامية توجيهية تتعلّق بمصير الشعر، وكّلها أفعال كلامية صغرى ختمتها بمقولة توجيهية ضمت فعلاً كلامياً أصغر ليؤكد الفعل القضوي، وهو الدعوة للإفادة من تجارب الأمم الأخرى، والانفتاح على ثقافات وتجارب أمم أخرى:" وقد يفيدنا أن نتذكر دائما أن التطور الذي يحدث في الفنون والآداب في عصر ما أكثر ما يكون ناشئا عن التقاء أمتين أو أكثر... فتستفيد من تجارب أمة مجاورة بقيت نشيطة فأضافت إلى الفكر الإنساني فصولا لامعة"[٤]، حيث أسهمت الأفعال الكلامية الصغرى في خدمة الفعل الكلامي الكبير للقصيدة.

وأما السياب فينتقل من النص إلى الواقع ليبيّن صدق المحتوى القضوي، بحلّة نفسية حزينة ومؤلمة، جعلته يرفض هذا الواقع بلغة الإصلاح والبناء، وهو ما أكدته توالي الأفعال الكلامية الصغرى، وربما كشف توقيع السياب، في هذا التقديم عن أسس نظرية تنبثق منها رؤيته إلى الشعر الحديث؛ من حيث المفهوم والوظيفة والعلاقة بالقارئ، والعلاقة بالآخر من جانب، ومن حيث الموقع الذي يحتله هذا الشعر، ضمن المحتمل

---

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة ، ص٩

(٢) المصدر السابق، ص٤

(٣) المصدر السابق، ص١١

(٤) المصدر السابق، ص٢٨-٢٩

الشعري الحداثي الجديد من جانب آخر. ويمكن تلخيص الأسس التي قام عليها ما تمّ تسميته (تقديم بدر شاكر السياب لقراءته الشعرية في بيروت) الذي تولى الشاعر يوسف الخال بوصفه رئيس تحرير مجلة شعر، تقديمه لقراء المجلة في عددها الثالث سنة ١٩٥٧، ناقلا مقدمة السياب التي تظهر عليها سمات البيان الشعري، المؤكّد على مقولات منها، إن الشعر كشف عن رؤيا مرعبة منعكسة من الحياة، وعلى تلاشي الحدود بين الغاية والوسيلة في الشعر، وأن وظيفة الشعر العظيمة تتمثل في (تفسير العالم وتغييره)، وأن الشاعر العظيم هو من (يزعج قارئه أكثر مما يبهجه)، فقراءة قصيدة عظيمة تمثل تجربة تقاسم آلام ولادة الروح، وأن ما يحاوله (الشعر الحديث)، يتمثل في تغذية الأمل في إيقاظ الروح، وأن لجوء الشعر الحديث إلى الرموز والأساطير، التي ما تزال تحتفظ بحرارتها، لبناء عوالم تتحدى منطق المنفعة، وإنه يجب على الشاعر الحديث الانفتاح على كل (التيارات) العالمية، مع الحرص على تنمية شخصيته الشعرية المستقلة، وإن التشديد على أهمية (المحاولة) و (التجريب)، في هذه المرحلة الممهدة لجيل جديد من الشعراء، سيجعل الشعر العربي مقروءاً في العالم كله[١].

بهذه الأسس يتواصل السياب مع المرسل إليهم، ضمن مواد العدد الثالث من مجلة شعر، مفصحا عن تصورات تتقاطع وتتكامل في جوهرها مع الأسس النظرية العامة، التي عبرت عنها المجلة، كما جاءت في عددها الأول، غير أن ما يحفظ للسياب في تقديمه هذا موضع المرجع الشعري الذي يتخذ التوجيه فيها وسيلة لإنجاز أفعاله الكلامية، فيتصل في تدعيم هذه الأفعال بتوظيف الوصف، الذي وضّح نعوت (الشاعر العظيم): " والحق أن أغلب الشعراء العظام كانوا طوال القرون، أنماطا من القديس يوحنا. من دانتي إلى شكسبير، إلى غوته، إلى ت.س. إليوت وإيديث ستويل"[٢]، وفي نعت واجب الشاعر ب(الضخم):" وقد حاول الشاعر، المرة تلو المرة، أن يتملص من الواجب الضخم الذي على كتفيه: تفسير العالم وتغييره، ولكنها محاولات لم يكتب لها، ولن يكتب لها أن

(١) ينظر: تقديم السياب لمختارات شعرية، يوسف الخال، ضمن أخبار وقضايا، مجلة شعر: لبنان، العدد: ٣، ١ يونيو ١٩٥٧، ص١١١-١١٣

(٢) المصدر السابق، ص١١١.

تنجح أو أن تستمر"[1]؛ لأن الأوصاف هنا لها ارتباط بحركية الأفعال التي توضح مقصدية الشاعر، كونها أفعالا إنجازية يتوجّه بها المرسل/السياب إلى التأثير في المتلقين/الشعراء، حيث يسعى الشاعر إلى حث الشعراء المجايلين له أو اللاحقين به وتوجيههم ليقوموا بفعل شيء ما، ممّا يدفع بالأفعال التوجيهية إلى مطابقتها للعالم بألفاظ وتراكيب تؤثر في المخاطبين، وهذا ما يبين أن مقدمة السياب هذه تتبنى حدثا كلاميا يتركب من فعل أدائي، يعد بؤرة الإنجاز لفعل معيّن عن طريق أفعال إنجازية تالية له، وقد أدت الإحالات إلى المخاطب وكذا الوصف وظيفةً بارزةً في استحضار القارئ، وجذبه إلى ما يقول المرسل، بل دفعه إلى متابعة القراءة، وقبول العمل، إذ إن المرسل إليه هو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابه عمدا[2].

ولقد أبدت الشاعرة نازك الملائكة سلسلة من التساؤلات بأفعال كلامية مباشرة. وهو لا تنتظر جوابا للاستفهامات المتكررة، فتجيب عنها، مثيرة قضايا عروضية، وأدبية، وفكرية، واجتماعية، ونفسية، محاولة إقناع المتلقين بأسئلة يكون جوابها ذا تأثير يجعل للسؤال المطروح قيمة واعتبارا، حيث يسعى المرسل/الملائكة في خطابها إلى إنجاز أفعال كلامية أخر غير التي تحقق التوجيه، وكان الإقناع من أهم ما سعى المرسل إلى تحقيقه وإنجازه في خطابه، وإذا كان للاستراتيجية التوجيهية علاقة جوهرية بمفهوم السلطة؛ فإن تحصيل الإقناع يحتاجها أيضا؛ فالمرسل الذي يسعى إلى إقناع المرسل إليه يمارس سلطة عليه، يمكن تسميتها بسلطة الإقناع. وبذلك فالإقناع يجسد السلطة. ويمكن تلمس هذه الاستراتيجية في مقدمة ديوان (قرارة الموجة) للشاعرة نازك الملائكة، مستعينة بسلسلة من الأسئلة تسوقها على لسان متحاورتين:

"الثانية: إنهم يسألونني عنك، أيتها الصديقة القديمة، ويريدون أن يعرفوا لماذا سميته (قرارة الموجة)

الأولى: (في لهفة) أو ليس في وسعك أن تردي عليهم؟

---

(١) تقديم السياب لمختارات شعرية، يوسف الخال، ص١١١.

(٢) ينظر: تحليل الخطاب المقدماتي، مقدمة مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري أنموذجا، ليلى محمد بايزيد، مجلة الأثر: السعودية، العدد: ٢٧، ديسمبر ٢٠١٦، ص٢٣٤.

الثانية: (دون مبالاة): بلى. لست أنكر أن لدي معلومات كثيرة عن هذه القصائد... ولكني – والحق يقال – لا أحسّ برابطة تربطني بها أو بكِ. هذه القصائد قد نظمت منذ سنين ولم تعد تعنيني. أتريدين أن أقف منها موقف الناقد؟

الأولى: أنت بمقاييسك التي لا أقرها؟

الثانية: ماذا في وسعي إذن؟ لقد سألتك أن تتحدثي أنت إليهم عن نفسك فأبيت.

....

الأولى: .... إني أحب أن أحدثهم عن (الموجة)، عن النقطة العليا التي أسميها القمة، والنقطة السفلى أو (القرارة)، القمة التي تصلها الموجة وماؤها مندفع إلى أعلى، والقرارة التي تصل إليها حين تستحم حركة الاندفاع المتوتر.

الثانية: يا أختي! أما كان الأفضل أن تنشري لهم الشعر الذي نظمته وأنت في قمة الموجة؟ أنت تدرين أنهم يتهمونك بالتشاؤم.

الأولى: (في ازدراء) القمة؟ لا شيء على القمة إطلاقا. إني أكتب قصائد باردة حين أبلغها. وما القمة بعد؟ إنها بداية الانحدار. أما القرارة فليست إلا الاستجمام الذي ينطوي على بذرة التحفز إلى الانبثاق الحار والصعود إلى القمة التالية.

الثانية: سيقولون حين يسمعونك: ما قيمة الصعود إن كانت القمة نفسها باردة؟

الأولى: مهما يكن فإن عنواني (قرارة الموجة) متفائل.

الثانية: هكذا كنت تقولين عن (شظايا ورماد) إن لم أخطئ.

الأولى: كلا. إن الشظايا قمة عالية حقا، ولكن الرماد هو النهاية التي لا حياة بعدها. أما الموجة فهي لا تركد أبداً والنقطة السفلى فيها ليست إلا القفرة الجديدة نحو القمة. وهكذا ترين أن قرارة الموجة يرى الحياة على صورة تعاقب قمم وانحدارات لانهاية لها، وإذا كان هذا الشعر قد نظم في منحدر الموجة فإنها محض صدفة لا أكثر"[1]

لقد أنتجت هذه الاستفهامات فعلاً كلامياً إنجازياً توجيهياً، وتضمنت قوة إنجازية مضمونها توجيه القارئ وإبعاده عن التأويلات أو إساءة الفهم، ويمكن أن تنطلق الأفعال التوجيهية الاستفهامية من غير حوار وإنما تتم صياغتها مباشرة على لسان الشاعرة، كما وردت في مقدمة شظايا ورماد، حيث الاستفهامات الكبرى التي افتتحت بها الشاعرة

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان قرارة الموجة، المقدمة، ص٢٠٧-٢١٠.

مقدمتها، حول طريقة الخليل الفراهيدي في العروض، أو اللغة وسبل إحيائها: ويقولون: ما اللغة؟ وأية ضرورة إلى منحها آفاقاً جديدة؟ وهذه الأسئلة المتتالية في النّص لا تعني أنّ الشاعرة يَخفى عليها معرفة جوابها، وانّما تستفهم لتوجه وتقنع، وتنبه، وتنصح، وتبين حقيقة هذا الخطاب، وتتساءل مخاطبة أفراداً وجماعات لها علاقة بإنتاج الشعر أو نقده، وتستفهم عن جدوى صياغات معينة أو تحديد عناوين لمجموعات شعرية، قد لا يجد المخاطب لها معنى أو تأويلا، فتأتي هذه الاستفهامات المتخيلة، والحوارات غير الواقعية، لتتخذ منها الشاعرة استراتيجية للتوضيح، ولتوجيه المخاطب توجيها ينجز به المتكلم/الملائكة أفعالا تراها تجري لتحقيق مقاصدها. وعليه استهلت الشاعرة النص بأفعال تقريرية ففي قولها: الأفعال الكلامية (يسألونني)، (يريدون)، (لا أحس برابطة)، (لم تعد تعنيني) تحمل فعلا قضويا يتكوّن من فعل إحالي، وفعل إسناد؛ فالفعل الإحالي يضم كلّاً من المتكلم والمخاطب والعبارة والقصد، ففعل القول ظاهر وبيّن وهو فعل (يسألونني) الذي يحيلنا إلى المتكلم من خلال سياق الجملة إحالة مباشرة، أما المخاطب غير ظاهر بل هو متوارٍ خلف ستار السياق، يقودنا الشاعر إليه عبر عملية التأويل ويقصد به القارئ وهو المتضمن في الكلام.

المبحث الثالث: ـ الأساليب اللغوية وغير اللغوية

يعرّف جون سيرل الأفعال التوجيهية بأنها الأفعال التي يحاول المُتكلم فيها التأثير في المُخاطَب للقيام بفعل شيء ما في المستقبل، والأفعال التي تدلّ عليها، هي: أطلبُ، أرجو، أسألُ، ألتمسُ، أناشدُ، أتضرعُ، أستعطفُ، أشجعُ، أنصحُ، أتحدى، أعترضُ؛ وأدرجها أوستين على أنها أفعال سلوكية(١). والاستراتيجية التوجيهية لا تتحقق بهذه الأفعال حسب، وإنما قد يتم توجيه المُخاطَب باستعمال الإشارات والعلامات التي تحقق للمتكلم هذا الهدف، والإشارات لكونها عوامل تناسق نصي (محورة، تبئير)، تمكّن من إدخال أشياء جديدة في الخطاب.(٢)

(١) ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، ص٢٣٣.

(٢) ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينك منغنو، ص٧٩.

يعتمد فعل التوجيه على النظام اللغوي، لكنّ هذا النظام غير كاف؛ فهناك بعض العناصر المهمة التي تعطي لفعل التوجيه قوته الإنجازية، ومنها: سلطة المُتكلم، وكذلك جهة المنفعة الإنجازية باتّجاه المُخاطَب. كما يعدّ الفعل الإنجازي – التوجيهي – من خلال نتيجته إلزاما للمخاطَب(١)؛ لأنه خاضع لسلطة المُتكلم؛ فالأفعال التوجيهية قائمة على علاقة سلطوية بين المُتكلم والمُخاطَب، والسلطة في هذه الحالة هي مؤشر لنجاح هذه الأفعال، وتعتد الاستراتيجية بمعيارها صاحب المصلحة من الخطاب(٢)، وهذا يجعل أحكام الأفعال التوجيهية تسلك اتجاهين؛ إما الوجوب، وأما الندب، فإن كان عائد المصلحة للمُتكلم، فحكم الفعل هو وجوب إطاعته وتنفيذه، أما إذا كان العكس، عائد المصلحة للمخاطَب، فإن الحكم هو الندب(٣).

إن الطابع الرسمي في الخطاب يبرز الجانب التوجيهي، من خلال العلاقة التواصلية التي يقيمها المرسل مع المرسل إليه؛ إذ أنه قد يتحدد من عالم إلى تلاميذه، وإلى عامة الناس، أو كل من يظهر اهتماما بالأدب عموما، والشعر خصوصا، إضافة إلى هذا فإن مقدمات شعراء التفعيلة وبياناتهم الشعرية وصياغة تجاربهم، لا تخلوا من الدلائل اللغوية أو النقدية أو الاجتماعية، وفي هذا تجسيد للطابع الرسمي الذي يتسم به الخطاب المستعمل هذه الاستراتيجية. ولأن الأمر يعد من أكثر الأساليب التي يستعملها المرسل في الاستراتيجية التوجيهية، بأدواته، وآلياته؛ فهناك أدوات كثيرة لإنجاز الأمر، بشرط توفر السلطة وتوجيه المنفعة تجاه المرسل، وقد "ذكر بعض العلماء من صيغ الأمر (افعل، وليفعل)، وذلك عند تعريفهم للأمر"(٤)، وهناك صيغ صريحة للأمر، منها:

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٣٢٤.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، ص٨١

(٣) يعرف النّدب بأنه كون المُخاطَب في حلّ من فعل ما يتوجه به إليه، أو عدم فعله. ينظر: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، حسام أحمد قاسم، القاهرة: دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٥٥.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٨، ج٣، ص٦٦٦.

أولا: بوساطة فعل المضارع المسبوق بلام الامر: وقد استعملت نازك الملائكة هذه الصيغة الشاعرة في مقدمة ديوانها شظايا ورماد، عبر قولها: "لنعد الى حديث الاوزان"[١] وكذلك تقول: "ليلاحظ القارئ بلادة التعبير وتقلص المعنى، وأين هذا من تعبيرنا الأول"[٢]

ثانيا: بوساطة الاستفهام: يعد استعمال الأسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية، بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها. ان بؤرة السؤال المحدد لا تأتي عبثا، ولكن هي استراتيجية تجعل المرسل اليه يدور في نقطة الخطاب التي يرمي اليها المرسل، وهذا ما نجده لدى الشاعرة نازك الملائكة في مقدمة ديونها، وتتخذه بعداً ثابتاً من ثوابت خطابها، فتقول: "ويقولون: ما لطريقة الخليل؟ وما اللغة التي استعملها آباؤنا منذ عشرات القرون؟ والجواب أوسع من أن يمكن بسطه في مقدمة قصيرة لديوان ما لطريقة الخليل؟ ألم تصدأ لطول ما لامستها الأقلام والشفاه منذ سنين وسنين؟ ألم تألفها أسماعنا، وترددها شفاهنا، وتعلكها أقلامنا، حتى مجتها منذ قرون"[٣].

يمكن ملاحظة أن الملائكة بوصفها مرسلاً لم تتابع إطلاق الأسئلة عبثا، أو من باب الحشو، بل هي تتعمد بوساطتها أن تطرح إجابات محددة تستحيل في ذهن المتلقي أفعالا إنجازية، تعمد من خلالها الى التوجيه وتحقيق المنفعة المرجوة؛ لان بؤرة خطاب الملائكة منصب على قضايا جوهرية، إرادت لها الظهور على وفق نسق أكاديمي تطبيقي، فكانت استراتيجية السؤال تصب في فلك الإبلاغ المحكم في الخطاب عبر كشف الأجوبة من خلال أسئلة محددة. ثم تقول: ويقولون: ما للغة؟ وأية ضرورة إلى منحها آفاقا جديدة؟ فينسون أن اللغة إن لم تركض مع الحياة ماتت. والواقع أن اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الإيحاء، التي تستطيع بها مواجهة أعاصير القلق والتحرق التي تملأ أنفسنا اليوم. انها قد كانت يوما لغة موحية، تتحرك وتضحك وتبكي وتعصف، ثم ابتليت بأجيال من الذين يجيدون التحنيط وصنع التماثيل، فصنعوا من ألفاظها «نسخا» جاهزة، ووزعوها

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص١٣.

(٢) المصدر السابق، ص١٥.

(٣) المصدر السابق، ص٨.

على كتابهم وشعرائهم، دون أن يدركوا أن شاعراً واحداً قد يصنع للغة ما لا يصنعه ألف نحوي ولغوي مجتمعين. هكذا تتوالى استراتيجية الخطاب عبر بث أسئلة في ذهن المرسل مع أجوبة محددة فيها دعوة، تتضمن كشفا لمشروع قادم تبشّر به نازك الملائكة، ليكون بديلا لمنهج آخر ورؤية تراها مستبدة، وعليها وأمثالها أن يتمردوا عليها، لأن الدواعي لحضورها قد زالت، ولأن العصر يطلب غيرها. ثم تقول: "أتراني لو كنت استعملت أسلوب الخليل كنت أستطيع التعبير عن المعنى بهذا الإيجاز وهذه السهولة؟ ألف لا. فأنا إذ ذاك مضطرة إلى أن أتم بيتا له شطران، فأتكلف معاني أخرى غير هذه، أملأ بها المكان"(١). ويتخذ التوجيه هنا صيغة الإخبار، فالمرسل يسأل ثم يجيب، وتتكرر الأسئلة وأجوبتها، لتصب باتجاه واحد يعزز القدرة الإنجازية للمتكلم، عبر الإبانة عن المقصود، حتى يستقر المخاطب ويطمئن مسلما بحسن التوجيه، عبر هذا التوالي للصور المترادفة من الأسئلة والأجوبة، التي تحقق فيها الأفعال الإنجازية "هدف المتكلم بممارسة سلطة المعرفة والاعتقاد من خلال استراتيجيات توجه الحوار، مادامت الحقيقة مرتبطة بحركة التواصل، والمعنى المستهدف"(٢). وتتخذ الملائكة التصريح بغايات الخطاب، والتصعيد بوتيرته، سبيلا للكشف عن البدائل، بعد الإطار النظري، بالتطبيقيات، التي تبث بوساطتها أجوبة لما تطرحه من أسئلة متوالية، تطرح من خلالها الفكرة؛ لتحقق المنفعة التي تتوخاها بالتمرد على الأسلوب القديم، والتبشير بالأسلوب الجديد، الذي تعده تعديلا على الأول وليس خروجا عليه، لمجاراة العصر، وكل هذا يجري بالإفادة من الاستراتيجية التوجيهية.

ثالثا: ذكر العواقب: من الآليات المباشرة والصريحة، التي يستعملها المرسل ليوجه المرسل اليه، على وفق ما يريده غير مكترث بمنفعته، ومن هؤلاء المعلن التجاري والمرشح السياسي؛ لأن كلا منهم يدرك أنه لا يمتلك سلطة على المرسل إليه(٣)، وهذا من المعوقات التي تحرمه استعمال الاستراتيجية التوجيهية في بعض صورها المباشرة

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة ، ص١٤.

(٢) المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، الرباط: مركز الإنماء القومي، ١٩٨٧، ص٥.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٣٦١.

والقوية، مثل الأمر والنهي؛ ولذلك، فإنه يعمد إلى درجة أقل، وهي ذكر العواقب المترتبة، أو ذكر الشواهد على ما يذهب إليه، أو على بضاعته. وهذا نتيجة للمعرفة السابقة به، وللمعرفة السابقة أيضا بالتصنيف الطبقي لهما والعلاقات المترتبة عليه، وعلاقة كل ذلك بمدى قبول الخطاب، ومن ثم معرفة كيفية التحايل على هذه المعوقات(١). وليست هذه الآلية حكرا على ميدان بعينه ، أو مرسل خاص، بل هي مشاعة لمن يرى أنها تناسب السياق، ويريد أن يستعملها، كما تفعل نازك الملائكة في مقدمة ديوانها شظايا ورماد، تقول: "ثم أن هنالك سببا آخر يستدعي هذا الاستبعاد للألفاظ التي كثر استعمالها ، هو أن الأذن البشرية تمل الصور المألوفة والأصوات التي تتكرر، وتستطيع أن تجردها من كثير من معانيها وحياتها، وخير مثال لهذا أننا ننفر الآن بطبيعتنا من استعمال ألفاظ كهذه :(عمير ، كافور، غصن بان، قد ، هلال ، صدغ ، عود نرجس ، لؤلؤ)، وهي ألفاظ كانت في بعض العصور السالفة تبدو رقيقة شعرية، وربما كانت يوما ما مما لا يستعمله الا المجددون من الشعراء"(٢). فيما تقدم تلجأ نازك الملائكة إلى أسلوب التحذير بوصفه استراتيجية من الاستراتيجيات التوجيهية، التي يلجأ إليها المتكلم على وفق ظروف معينة، بوساطة استعمال أدوات معينة في أشكالها المباشرة، فالملائكة بوصفها مرسلاً تعطي خطابها قبولا من خلال الصراحة في تبيين موقفها من استعمال بعض المفردات التي لا توافق الذائقة الجمعية في عصر من العصور، وهي هنا تريد أن تدل على صدقها في التوجيه، وترغب بكسب ثقة المرسل إليه في خطابها؛ فيكون التّحذير من استعمال ألفاظ بعينها، من باب أفعال النّصح الضمني. فالمرسل/الملائكة تسلط الضوء على ما تريد، وتحذر في الوقت نفسه من أن عدم الأخذ بتوجيهها، سيجعل الجمهور ينفر. إن المرسل يفترض متلقيا حاضرا توجهه بإنجاز فعلها الكلامي، وإلا كانت العاقبة نفور الجمهور، وبنفوره يصير الشعر غير ذي منفعة، وهذا ما لا يجب أن يعمد اليه الشاعر.

وتحضر آلية ذكر العواقب والتحذير في مقدمة ديوان شظايا ورماد، لتأخذ الاستراتيجية التوجيهية مدارها في الخطاب، الذي يتخذ من العواقب مادة لبنائه، تقول: "لنعد إلى

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٣٦٢.

(٢) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص١١-١٢.

حديث الأوزان في هذا الديوان لون بسيط من (الخروج) على القواعد المألوفة، يلاحظ، في قصائد مثل (جامعة الظلال) و (مرثية يوم تافه) و (أغنية الهاوية) وسواها. وقد يحسن بي أن أؤكد للقارئ أنني لا أعد نفسي واحدة من المرهفين الذين تحدثت عنهم في الصفحات السابقة، سوى أنني أحسست أن هذا الأسلوب الجديد في ترتيب تفاعيل الخليل يطلق جناح الشاعر من ألف قيد. وسأحاول فيما يلي أن أبسط خاصية هذا الأسلوب ووجه أفضليته على أسلوب الخليل. الأبيات التالية تنتمي إلى البحر الذي سماه الخليل (المتقارب)، وهو يرتكز إلى تفعيلة واحدة هي (فعولن):

يداك للمس النجوم
ونسج الغيوم
يداك لجمع الظلال
وتشييد يوتوبيا في الرمال

أتراني لو كنت استعملت أسلوب الخليل، كنت أستطيع التعبير عن المعنى بهذا الإنجاز وهذه السهولة؟ ألف لا. فأنا إذ ذاك مضطرة إلى أن أتم بيتا له شطران، فأتكلف معاني أخرى غير هذه، أملأ بها المكان، وربما جاء البيت الأول بعد ذلك كما يلي:

يداك للمس النجوم الوضاء ونسج الغمائم ملء السماء

وهي صورة جنى عليها نظام الشطرين جناية كبيرة. ألم نلصق لفظ (الوضاء) بالنجوم دونما حاجة يقتضيها المعنى اتماما للشطر بتفعيلاته الأربع؟ الم تنقلب اللفظة الحساسة (الغيوم) الى مرادفتها الثقيلة (الغمائم)، وهي على كل حال لا تؤدي معناها بدقة"[1]

في النص السابق لهذا النص في ذكر العواقب كان الخطاب مبنيا على وتيرة تحذير تبدو اقل حدّة من حضورها في هذا النص، وفي إطار الاستراتيجية التضامنية تفترض الملائكة بوصفها مرسلاً سلماً يتصاعد تدريجياً لينجز أفعاله الكلامية في التحذير فالعواقب. إنها في هذا النص تؤكد تجذيرها وتقوّي مآل العواقب التي تنتظر غير الآخذ بتوجيهها، بالشاهد عبر التمثيل شعريا، فيما يجوز أن يعمل وما لا يعمل، وهي استراتيجية ناجحة تؤدي المنفعة بالنسبة للمرسل والمرسل إليه عبر التطبيق. وتكمل قائلة: "أما إذا

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة ، ص١٣-١٤

اخترنا، الطويل، مثلاً، فالبلية أعمق وأمرّ، إذ ذاك تطول العكازات وتتسع الرقع، وينكمش المعنى انكماشا مهينا، فنقول مثلا:

يداك للمس النجوم أو نسج غيمة يسيرها الإعصار في كل مشرق

ليلاحظ القارئ بلادة التعبير، وتقلص المعنى. وأين هذا من تعبيرنا الأول:

يداك للمس النجوم

ونسج الغيوم

وينبغي ألا ننسى أن هذا الأسلوب الجديد، ليس (خروجا)، على طريقة الخليل، وإنما هو تعديل لها، يتطلبه تطور المعاني والأساليب خلال العصور"[١]

يلاحظ هنا الكيفية التي يتم بها التحذير وتذكر العواقب، فالمعنى سيشت، والمفردة ستصبح ناشزة في مكانها قلقلةً تبعث على عدم الاطمئنان، وهذا ما يجعل العواقب تأخذ جدواها عبر آلية التطبيق والتنفيذ، وهي ميزة تحسب للمرسل لأنها ستكون ذات أثر بالغ، خصوصا انها تخضع للتمثيل، وقد تحققت تداولية الكراهية لطريقة الخليل في العروض، جراء تحقق ترهل الصياغات والأساليب والمعاني، عبر أفعال دلت على الخيبة والخسران (تطول العكازات وتتسع الرقع، وينكمش المعنى انكماشا مهينا)، واستحضار هذه العاقبة حقق منفعة للمرسل والمرسل إليه، وهي غاية الخطاب في التأثير وتحقيق المنفعة. وتقول "ثم لنتحدث عن القافية، ذلك الحجر الذي تلقمه الطريقة القديمة كل بيت قالوا أن العربية لغة واسعة غنية، وأن ذلك يبرر كونها اللغة الوحيدة التي اتخذت القافية الموحدة سنة في قصائدها، ونسوا أن أية لغة مهما اتسعت وغنيت، لا تستطيع أن تمد (ملحمة)، بقافية موحدة، أياً كانت، ولم ينتبهوا إلى أن ذلك كان واحدا من الأسباب التي حالت دون وجود الملحمة في الأدب العربي، مع انها وجدت في آداب الأمم المجاورة، كالفرس واليونان"[٢]

إن الملائكة، من خلال خطابها تؤسس مشروعاً ، وهذا المشروع قد درست أركانه بدقة، إذ إنها تنطلق من لغة تمتزج فيها العاطفة بالعلم، عبر آلية التمثيل، لنجد آلية الخطاب تتصاعد شيئاً فشيئاً كسلم متحرك نحو الأعلى، وهذا السلم يجعل آليات الخطاب

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة ، ص١٤-١٥

(٢) المصدر السابق، ص١٧-١٨.

في وتيرة متصاعدة. وواحدة من هذه الاليات، الآلية التحذيرية، فهي قد بدأت بالتحذير من الوزن، وتتجه في هذا النص، إلى التحذير من القافية، وكيف أنها تخنق إحدى القضايا المهمة، التي لا يمكن أن تشتغل داخل بنية الشعر العربي العمودي، وهي (الملحمة)؛ بسبب القافية.

إنّ تأثير هذه الموجّهات التعبيرية وأشكالها اللغوية ومظاهرها المقامية مشروط بما انبثق عن تلك الموجّهات من أعمال –أفعال لغوية –كان يرمي خطاب البيان إلى بلوغها وإصابتها في كيانات المتلقين عقولا وعاطفة حتى يحصل الإذعان ويتم الاقتناع، وأفعال الكلام التي رشحت بها تلك الموجّهات التعبيرية يمكن تبينها فيما يأتي:

أولا: التوجيه الإلزامي: وصيغته اللغوية الأمر، ويستمد الأمر طاقته الإقناعية من شخصية الآمر، وليس من ذات الصيغة؛ وذلك حين يكون الآمر مؤهّلا لتوجيه الأوامر، ويظهر ذلك جليا في رسالة الشاعرة نازك الملائكة إلى الشاعر الناشئ: "وحذار من أن تصغي إلى ما شاع في عصرنا، من أن الشاعر الملهم يولد عالما بالأوزان، فلا يحتاج إلى دراستها "[1] وغرضها من هذه الصيغة إلزام الشاعر الناشئ ضمنيا بالانضمام إلى أولئك الذين ساروا مع الشاعرة في توجيه ذواتهم وتثقيفها حتى يكتسبوا شرعية أدبية وثقافية تخوّلهم أن يكونوا شعراء عظاما.

ثانيا: التوجيه بالتمنّي: ومداره على الصيغ التي تفيد تمنياً، بالاعتماد على فكرة ما أو رأي ما تقرّ به الجماعة، ومن ذلك تركيز الشاعرة نازك الملائكة على قيمة الأدب والحداثة والدفاع عنهما بعدّهما قيمة حجاجية لإقناع المتلقي؛ إذ قالت: " آخر ما أود قوله في ختام هذه المقدمة، أنني أومن بمستقبل الشعر العربي إيمانا حارا عميقا، أومن أنه مندفع بكل ما في صدور شعرائه من قوى ومواهب وإمكانيات، ليتبوأ مكانا رفيعا في أدب العالم. وألف تحية لشعراء الغد"[2]

ثالثا: التوجيه بالربط والإحالة: تعد الإحالة من أهمْ الأدوات اللسانية التي تُحقّق ترابطا بين بنيات الحجاج، وتتمثل وظيفتها في الإشارة إلى داخل النص أو خارجه؛

---

(١) رسالة إلى الشاعر العربي الناشئ، نازك الملائكة، ص٣٨.

(٢) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ديوان شظايا ورماد، المقدمة، ص٢٩.

مما يجعلها وسيلة تأثير في المتلقي بربط ذهنه وتركيزه بمضمون ما يتلقّاه من بداية الحجاج إلى منتهاه، وقدرته على تفكيك ما يُوجّه إليه، وتحديد تلك الأدوات المستعملة لإعادة ربط هذه الأجزاء والنظر في دلالاتها وفقا لمقصود المحاج، ومن أوجه ذلك في مقدمة ديوان أساطير لبدر شاكر السياب في إحالته إلى الشعر الانكليزي التي يراه موافقا لوجه من وجوه العروض العربي، من خلال التفعيلة، يقول السياب: "وقد لاحظت من مطالعاتي في الشعر الإنكليزي، أن هناك "الضربة" وهي تقابل "التفعيلة" عندنا، "مع مراعاة في خصائص الشعرين من اختلاف" و "السطر" أو "البيت" الذي يتألف من ضربات مماثلة في النوع للضربات الأخرى في بقية الأبيات، ولكنها تختلف عنها في العدد "في بعض القصائد" وقد رأيت أن من الإمكان أن نحافظ على انسجام الموسيقى في القصيدة، رغم اختلاف موسيقى الأبيات، وذلك باستعمال "الأبحر" ذات التفاعيل الكاملة، على أن يختلف عدد التفاعيل من بيت إلى آخر. وأول تجربة لي من هذا القبيل، كانت في قصيدة "هل كان حبا" من ديواني الأول "أزهار ذابلة" وقد صادف هذا النوع من الموسيقى قبولا عند كثير من شعرائنا الشباب، أذكر منهم الشاعرة المبدعة الآنسة "نازك الملائكة."[١]

إن هدف السياب من الإحالة إلى (الضربة) في الشعر الإنكليزي، هو بيان أن هذا يوافق القواعد والتأصيلات التي درجت على (التفعيلة) في الشعر العربي، وأنهم بناء على ذلك ملزمون، أي المخالفون لشعر التفعيلة، والمعنيون بالخطاب، بالتسليم لصياغات الشعر الجديد الذي يبشّر به شعراء التفعيلة.

(١) أساطير، بدر شاكر السياب، المقدمة، ص٧.

الفصل الأول

استراتيجيات الخطاب من المفاهيم إلى الإجراءات

المبحث الاول: ـ الخطاب: خصائصه وتحقّقها

المبحث الثاني: ـ الاستراتيجيات: سماتها ووظائفها

المبحث الثالث: ـ المقدّمات والبيانات والتّجارب الشّعرية: موقعها في الخطاب وتمثّلها في استراتيجياته

الفصل الاول

استراتيجيات الخطاب من المفاهيم إلى الإجراءات

يمكن مقاربة استراتيجيات الخطاب على أساسين اثنين، أوّلهما: نظريّ يضبط فيه كل من مفهومي الاستراتيجية والخطاب، وبيان العناصر التي يقوم عليها كل منهما، إذْ يشتركان في علاقة التواصل والتأثير والتأثر بين طرفي الخطاب. وثانيهما: إجرائي يتّضح من خلال إبراز الفعاليات التداوليّة لكل من الاستراتيجيّة والخطاب، ومن ثمّ الكشف عن السّياقات اللغويّة وغير اللغويّة التي تسهم إسهاما كبيرا في تحديد نوع الخطاب وجنسه؛ والوقوف عند مسوغات كل استراتيجية خطابية وآلياتها.

المبحث الاول: ـ الخطاب: خصائصه وتحقّقها

اقام دي سوسير مشروعه على ثنائية اللغة والكلام ورأى ان الكلام لا يمكن ضبطه ويصعب تحديد قواعد له، ولذلك أقصاه من الدراسة تماما وهمشه وأهتم باللغة بوصفها نظام علامات، واهتم بالجملة لا يتجاوزها، فليس بعد الجملة –عنده– سوى جملة أخرى، وما يصح في الأولى يصح في ما بعدها[١]. ولكن اللاحقين من الدارسين بعد سوسير، كـ (باختين، وبنفنيست، وغرايس وديكرو) خالفوه، ورأوا ان الكلام يمكن ان يدرس وان تستخرج له قواعد وأنظمة، فظهرت ثنائية جديدة في اللسانيات هي الذاتية[٢] والتخاطب[٣] في اللغة. إذ يمكن التمييز بين الكلام بوصفه إنجازا فرديا للغة، والخطاب بوصفه خاضعا لقواعد تجعله قابلا للدراسة.

---

(١) ينظر: علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: د.مالك يوسف المطلبي، بغداد: دار آفاق عربية، ١٩٨٥، ص٣٣.

(٢) أثار بنفنست الحديث عن الذاتية التي أقصتها لسانيات سوسير داخل عملية التلفظ، محاولا وضع مكانة للذات التي غيبتها اللسانيات البنيوية، حتى أصبح للذات المتكلمة دور في تفعيل اللغة. ينظر: الذاتية في اللغة، إميل بنفنيست، ترجمة: حميد سمير وعمر حلي، مجلة نوافذ: المغرب، العدد ٩، سبتمبر ١٩٩٩، ص ٦٩–٧٠.

(٣) صاغ غرايس قوانين وقواعد رأى أن المتكلم عبرها يوصل مايود للمتلقي تصريحا بمقصده أو تلميحا، مطلقا عليها (أحكام المحادثة)، و قد أعاد ديكرو بسطها ضمن ما أسماها (قوانين الخطاب)، ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، تونس: دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، ٢٠٠٨، ص ٣٤٦–٣٤٨.

إن تحليل الخطاب فن حديث نسبيا، وقد تم انجازه بفعل ايمان بعض اللغويين اللسانيين، بأنه لا سبيل إلى دراسة اللغة بوصفها نظاماً مجرداً فحسب، وقالوا: "إنما نحن نتعامل بالكلام ونتخاطب، كما ان خشية المؤسس دي سوسير في أن الخطاب والكلام انجاز فردي يصعب تحديد ضوابط وقواعد لهما، وتبين عندهم أنها خشية في غير محلها، إذ يخضع المخاطِب (بكسر الخاء) لإكراهات، هي (سنن اجتماعية أو فكرية أو سواهما) يُجبَر عليها، وهذه الإكراهات هي التي تحدد نمط كلامه، وليس هذا المخاطب حرا كما قد يبدو له، وعليه أن يقبل بشكل ضمني عددا محددا من المبادئ التي تجعل التخاطب ممكنا"(١).

إن تحليل الخطاب جاء بمثابة ردّ فعل على السائد يومذاك، حين عدّ البنيويون النص وحدة كلامية مغلقة، واهتموا باللغوي ولاشي غير اللغوي، وكانت دراستهم محايثة، بينما الدراسات الماركسية والاجتماعية تكاد تهمل النص وتحلق فوقه، وهناك، اذن، اللغة والمجتمع، واللغة نشاط اجتماعي، ومن الضرورة أن البحث عن المعنى يكون في النص، وأن هذا النص فيه علامات وإشارات تحيل الى المجتمع.

وأول ظهور لمصطلح تحليل الخطاب جاء على يد زيلغ هاريس في دراسة له بمقال عنوانه (تحليل الخطاب)، نشر في مجلة (اللغة) الأمريكية في سنة ١٩٥٢، وقد حلل الخطاب من ناحية تركيبية، من حيث اهتمامه بترابط الجمل، وهو مقترن بالمنهج التوزيعي الذي يهدف إلى الكشف عن كيفية توزيع الوحدات داخل الخطاب، "وإن كان هاريس يركز في منهجه على الجانب الشكلي في التحليل ، فإنه، في مقابل ذلك، يطرح إمكانية التعامل مع الأطر غير اللغوية، وهذا يعود إلى خصوصية الخطاب الذي يرتكز على مجموعة من المرجعيات والآليات التي تحيل إلى خارج الخطاب"(٢) وبعد هاريس جاء(غريماس) ناظرا الى الخطاب نظرة تجاوزت الجملة، التي كان يدرسها اللسانيون وفق مقولتهم: ان ما بعد الجملة الا جملة وما يصلح للأولى يصلح للثانية. يشير غريماس

---

(١) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص٣٠.

(٢) مفهوم تحليل الخطاب عند زيليغ هاريس، د.فريدة موساوي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب: الجزائر، المجلد ٨، العدد ٤، ٢٠١٩، ص١٠٥.

في هذا الصدد إلى أنه "إذا كانت البنى السردية سابقة لتجليها فإن على التجلي أن يستخدم وحدات لسانية ذات أبعاد أكبر من أبعاد البلاغات كي يتحقق، أي وحدات تشكل تتابعا كبيرا ...، لكونه مستوى سيميائيا مشتركا ومختلفا عن المستوى اللِّساني وسابقا له"(١)

ولكن حدود الخطاب كثيرة، وهي ما يميز دراسة علم تحليل الخطاب عن غيره، فحدّ الخطاب عند إميل بنفنيست– الذي درس الموضوع من زاوية تلفظية– هو أنه يعين التلفظ، وتحيل عليه علامات ثلاثة: هي أنا (ضمير المتكلم)، وهنا (مكان التكلم)، والآن (زمان التكلم). كما أن للخطاب، عند بنفنيست، معنى ضيقا هو السرد أو الحكاية أو التاريخ حسب اختلاف المترجمين في التعريب(٢). والفرق بين السرد والخطاب يكمن في ان السرد يمحو المتلفظ كلّ العلامات المحيلة اليه ذاتا متلفظة الى الحد الذي يبدو للمتلقي او يخيل إليه أو يتوهم، ان الحكاية تروي نفسها بنفسها، في حين أن الخطاب تظهر فيه العلامات الثلاث المذكورة آنفا، وتظهر فيه نية التوجه الى المخاطب؛ لأن من غاياته التأثير(٣).

لقد جاء تصور بنفنيست مناقضا لتصور دي سوسير حول اللغة أو " اللسان؛ فدي سوسير يفصل بين " اللسان " و " الكلام "، وأن هذا الأخير بالنسبة له ظاهرة عرضية وفردية لا تخضع للتعميم النظري. إن " اللسان "–عنده– بصفته مفهوماً نظرياً ينأى عن كل ما هو نص أو خطاب بل حتى عن كلّ ما هو جملة. وإن هذا التصور للسان لم يلق قبولاً لدى الكثير من الدارسين، ومنهم (باختين، وبنفنيست، وديكرو)، فقد عدّ بنفنيست اللغة أو اللسان تلفظا، منطلقا من مدونة دي سوسير اللسان؛ ليثبت أنه لا يمكن الفصل بين اللسان واستعمالاته حتى في مجال الأدلة المنفصلة، فكثير من الأدلة لا يمكن أن يكون لها مدلول إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار ظرف التلفظ. كما ان التلفظ أو الإعراب هو امتلاك للسان، وتفعيل له من قبل ذات متحدثة. إن امتلاك اللغة وتفعيلها ينتج

---

(١) في المعنى (دراسات سيميائية)، أ.ج.غريماس، تعريب: نجيب غزاوي، اللاذقية: مطبعة الحداد، ٢٠٠٠، ص١٢.

(٢) ينظر: الذاتية في اللغة، إميل بنفنيست، ص ٦٨.

(٣) إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، د. محمد الباردي، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠، ص١.

ملفوظات، وكل تلفظ له ظرف معين، مؤلف من متلفظ وشريك للمتلفظ، يمكن له في السياق نفسه أن يصبح متلفظاً، وله زمان ومكان. ويحدد ظرف التلفظ هذا بالصيغة التالية " أنا – أنت – هنا – الآن[١].

الحد الثاني للخطاب هو حدّ (دومينيك منغنو)، الذي نظر إليه من زاوية تحليل الخطاب، ومنغنو هو أحد اعلام المدرسة الفرنسية لتحليل الخطاب الى جانب (باتريك شارودو)، يقول مانغنو: "الخطاب، فضلا عن طبيعته وحدة لغوية (ملفوظ)، يشكل وحدة اتصال مرتبطة بظروف انتاج معينة"[٢]؛ أي أن الخطاب نظام إكراهات تتحكم في انتاج مجموع لانهائي من الملفوظات، انطلاقاً من موقع معين اجتماعي أو أيديولوجي، كما يبدو في الخطاب النسوي مثلا.

وخصائص الخطاب أو قواعده –كما يستجليها منظرو تحليل الخطاب– هي: [٣]

أ–الخطاب وحدة تتجاوز الجملة، وهي تتجاوز تصور سوسير في اللسانيات.

ب–الخطاب موجه بمعنى أن الإنسان، حتى وهو يكلم نفسه يجعل منها شخصاً آخر، إذ ان الخطاب –كما يقول باختين– متّجه دائما إلى الخارج أي إلى الآخر.

ج–الخطاب شكل من اشكال العمل، وهنا تطرح نظرية الأعمال اللغوية، فالذي يقول قبلت أو رضيت إن تراجع عُدّ سفيها، لأنه قد زوج او باع، فاللغة هنا عمل شأن أي عمل آخر يتم إنجازه.

د–الخطاب مظروف بمقام، أي أنه محكوم بالعلاقة بين أطرافه: ضمير المتكلم والمكان والزمان.

هـ–الخطاب متكفّل به، اي متعهَّد به، بمعنى أنه في الخطاب نفسه نجد بصمات الذي يتكلم، كضمير الانا، والأزمنة، والأفعال الذاتية، والعلامات الذاتية، ذلك أن الخطاب لا يقول نفسه بنفسه، فهناك من يتكفل به أو يتعهد به.

---

(١) ينظر: خصوصيات التأسيس اللساني التلفظي عند "بنفنست"، مسكين دايري، مجلة سيميائيات: الجزائر، المجلد ٣، العدد ٣، سبتمبر، ٢٠١٠، ص ١٢.

(٢) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ص ٣٨.

(٣) ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينك منغنو، ص ١٨٢–١٨٤.

و–الخطاب محكوم بمعايير، فإذا حييتم بتحية وجب أن تحيوا بأحسن منها أو تردوها، ومن المعايير الاجتماعية ان التحية تتطلب رداً لا مزية للرادّ فيها عند رده، كما ان السؤال يتطلب إجابة وهكذا.

ز–الخطاب واقع بين خطابات متنوعة، ولا يوجد خطاب معلق، أي لابد من خطاب قبله، أو بعده، أو بما ينتظر أن يكون خطابا.

والخطاب له مصطلحات مجاورة له، مثل الكلام. وإن الفرق بين الخطاب والكلام، يكمن في أن الخطاب مظروف له هذا البعد الاجتماعي واللغوي، الذي تحدث عنه مانغنو، في حين يبدو (الكلام) فرديا، ووقتيا لا ضابط له[١]. و(الملفوظ) من المصطلحات التي تبدو مجاورة للخطاب، وقد أقام (ل. غسبان) موازنة بينه وبين الخطاب، فالملفوظ عنده متوالية الجمل المرسلة بين بياضين دلاليين وتوقفين في عملية التواصل؛ والخطاب هو الملفوظ منظورا إليه من وجهة الآلية الخطابية المتحكمة فيه. وعلى هذا الأساس إذا ألقينا على نص نظرة من زاوية هيكلته في اللسان فإن ذلك يجعل منه ملفوظا، ودراسة ظروف انتاجه لسانيا تجعل منه خطاباً[٢]. و(النص) هو هذا الشي الذي نقرؤه بين أيدينا، أما (الخطاب) فهو هذا النص وقد انزل في مقام، وانغرس اجتماعيا؛ بمعنى أن الخطاب هو المحتوى، وأما (النص) فهو هذا الشكل الذي نراه[٣].

إن دراسة الخطاب ليست هي تحليل الخطاب، فربما يدرس الخطاب السردي من وجهة نظر (جيرارد جينيت)، كما قد تدرس دلالات المكان من وجهة نظر ظاهراتية، وقد يدرس الشعر من زاوية بلاغية، ولكن تحليل الخطاب هو فرع من فروع المعرفة، وهو فن من الفنون مستقل بذاته، "يحلل اللغة أثناء الاستعمال، ويأخذ بالاعتبار العلاقة بين اللغة والسياقات المستعملة فيها، ويهتم بوصف التفاعلات الكلامية والكتابية وتحليلها"[٤].

---

(١) ينظر: تحليل الخطاب، ج.ب. براون، وج. يول، ترجمة: محمد لطفي الزليطني، ومنير التريكي، الرياض: النشر العلمي والمطابع–جامعة الملك سعود، ١٩٩٧، ص١٦.

(٢) ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينك منغنو، ص ٢١٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٥٤.

(٤) تحليل الخطاب، براين بالتريدج، ترجمة: عبد الرحمن بن عبد الله الفهد، الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٨، ص ٤.

كما أن دراسة الخطاب يمكن أن تُدرس بمناهج مختلفة، في حين تحتاج دراسة تحليل الخطاب إلى معرفة قواعده المخصوصة، وجهازه النظري المعروف. وقد حلل (فلاديمر بروب) الخطاب في الحكاية دارساً كتلاً نصية تتجاوز الجملة، ولكن هذا لم يثر المهتمين بالخطاب ليعدوا بروب من أعلام تحليل الخطاب؛ لأن نظرته كانت بنيوية، ولكونه قد عزل النص عن أي سياق خارجي فضلا عن مؤلفه نفسه(١).

و ذهب مانغنو الى ان تحليل الخطاب لا يعدو ان يكون فنا من الفنون، تتم فيه مقاربة الخطاب بوصفه تمفصل نصوص ومواضع اجتماعيه، فتحليل الخطاب بيني ذو هوية إشكالية، كما أنه يأخذ من فنون أخرى وتيارات، ويخضعها لوجهة نظره التي تعمل في موضعين هما التمفصل اللغوي والاجتماعي(٢).

كان ظهور (تحليل الخطاب) بمثابة رد فعل على البنيوية بأنواعها اللسانية البنيوية، التي توسعت اليوم الى علوم اللغة. فالتحليل البنيوي للنصوص الشعرية والسردية وربطها بالمجتمع محمول على ربط الخطاب بالمجتمع من غير الاهتمام بإسقاطات خارج النص. إن النص لدى البنيويين ماثل فيه المجتمع من خلال مؤلفه، ومن خلال ثقافته التي تظهر فيها أصداء هذا المجتمع، وليس معنى هذه الأصداء المشاكل الاجتماعية والنفسية حسب، وانما الاجناس الأدبية والممارسات الفكرية والرمزية التي يتم تبنيها(٣).

وتحليل الخطاب واقع بين أكثر من فرع أو رافد من روافد اللسانيات، هي:

أ- **اللسانيات التلفظية** التي يهتم دارس تحليل الخطاب فيها بالذاتية، وهي ليست ذاتية نفسية وإنما ذاتية لغوية، (أنا، الآن، هنا، أمس، غدا، اول أمس)، وهذه كلها علامات ذاتية، وهناك ذاتية نفسية تظهر أساسا في المعجم اللغوي أو الحقول الدلالية، وهي تحيل للذاتية التي تربط النص بالمجتمع، فكل من يكتب موجود داخل النص وخارجه

---

(١) ينظر: مدخل إلى السيميائيات السردية، سعيد بنكراد، الجزائر: منشورات الاختلاف، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣، ص ١٦.

(٢) ينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ص١٠-١١.

(٣) ينظر: النص بنياته ووظائفه، (مدخل أولي إلى علم النص، ضمن نظرية الأدب في القرن العشرين)، ترجمة: محمد العمري، المغرب: إفريقيا الشرق، ١٩٩٦، ص٧٦.

من خلال بصماته فيه، إن التلفظ حدث "يموقع الذات داخل خطابها، فتدرس هذا الأخير في علاقته مع منتجه (المخاطب)[١].

ب-اللسانيات النصية التي تهتم بالدلالة النحوية والتركيب النحوي وهي عند اللساني النصي مطية الى البنية الدلالية، وهي الغاية عنده. إن اللسانيات النصية يأخذ منها محلل الخطاب أمرين، هما: بناء النص من ناحية الروابط من ناحية تماسكه التركيبي، وبناء النص من ناحية انسجامه الدلالي[٢].

جـ- الحجاج وهو فرع من فروع المعرفة، يمثل ترسانة حجج. وفي تحليل الخطاب يصبح حجاجاً في الخطاب، وليس حجاجا مقصودا في ذاته، وإنما هو ما يسمى بالبعد الحجاجي؛ أي هذا الكلام الذي يوجد فيه ما يوجه الى نتيجة. ويكون إرساء الخطاب فيه مرجعيا بوساطة لفظ، ويتم بناء الملفوظ بفرض مسند على هذا اللفظ، ويقوم على تسلسل قضايا بوساطتها ينتج المرء قضايا، انطلاقا من القضايا التي تمت معرفتها[٣]، والبعد الحجاجي يراد به الحجاج الضمني، فأنت حين تقول لصديقك: اليوم حظر للتجوال، يفهم من المقام ان يتم التوجه الى نتيجة اعتذر، لا يمكن ان نخرج.

د- التداولية: المكون التداولي من مكونات اللغة، وفقا لتقسيم (موريس) في عام ١٩٣٨، عندما جعل ثلاثة مكونات للاحاطة بأي لغة، هي: التركيبية، والدلالية، والتداولية التي تهتم بالعلاقات القائمة بين الأدلة ومستعمليها، واستعمالها وآثارها، كما أن التداولية تسعى إلى وصف معنى الملفوظات في سياقها[٤]. ولقد قادت "تحاليل العبارات اللغوية التي تناولت الأفعال الإنشائية التي تعتبر أن دلالة الكلمات (المعجمية أو النحوية) تتضمن تعليمات حول كيفية استعمال الجمل في الخطاب"[٥]

---

(١) ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص٧٢.

(٢) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، القاهرة: الشركة العالمية للنشر (لونجمان)، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص٢٤٧.

(٣) ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينك منغنو، ص٦٩.

(٤) ينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ص١٠١.

(٥) التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس، د.محمد

وما تقدم يدل على أن تحليل الخطاب يأخذ من روافد، كثيرة، ولكن يطوعها لصالحه.

بدا الاهتمام بتحليل الخطاب في ١٩٦٩م على يد (ميشيل فوكو)، وكانت القضية قضية السلطة واللغة، وكيف تستعمل السلطة اللغة لتدجن الناس لتقنع الناس، وتأثر فيهم، ولهذا كان الخطاب السياسي هو مجال تحليل الخطاب. فاللغة تحكمنا والخطاب يحكم اللغة. وقد وقف فوكو طويلا عند علاقة الخطاب والإيديولوجيا بمفاهيم السلطة[١]

وفي الدراسات العربية عرّف طه عبد الرحمن الخطاب بأنه: "كل منطوق به موجه نحو الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا"[٢]، وعرّفه أحمد المتوكل بحسب وظيفته؛ بأنّه: "كل ملفوظ/مكتوب يشكل وحدة تواصليّة تامة "[٣]، وهذا يعني أن الخطاب مرتبط أساسا بفعل التلفظ الذي تحكمه قصود المتكلم في إفهام الغير بالتوضيح والبيان وذلك عمليّة تواصلبّة تامّة، وقد عدّه عبد الواسع الحميري "نظاما مركبا من عدد من الأنظمة الثُوجيهيّة والتّركيبية والدلاليّة والوظيفيّة (النفعيّة)؛ التي تتوازى وتتقاطع جزئيا أو كليا"[٤]، أي إن الخطاب ينشأ من تعالق هذه الأنظمة جميعا، فلا يمكن عزل أحدها عن الآخر بالإضافة إلى منشئ الخطاب ومتلقيه.

بمعنى أن الخطاب وحدة لغويّة يتم إنتاجها داخل سياق محدد، بغرض التواصل يحملها المتكلم قصوده وأغراضه إفهام الغير والتأثير فيهم، وهو بهذا يتجاوز البنية اللغويّة المغلقة، وينفتح على سياقات إنتاجه التداولية في الموقف التواصلي؛ وبذلك يمكن النظر إليه بوصفه استراتيجية للتلفظ.

ومما تقدم يتبين أن مفهوم الخطاب داخل النسق اللساني، يعد اللغة بنية مغلقة، وأنها سلسلة من المتواليات، وعبارة عن مركبات صورية، وتصور يدرسها في ذاتها

الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ١٩٩٨، ص٤٧.

(١) ينظر: الخطاب، سارة ميلز، ترجمة: عبد الوهاب علوب، القاهرة: المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، ص٤٨.

(٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرّحمن، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦، ص٢١٥.

(٣) الوظيفية بين الكليّة والتّمطيّة، أحمد المتوكل، الرباط: دار الأمان للنشر والتّوزيع، ٢٠٠٣، ص٢٢.

(٤) ما الخطاب؟ وكيف نحلله؟،عبد الواسع الحميري، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، ص٩.

ولذاتها، وآخر يدرس كيفية استعمالها انطلاقا من الفعل الذاتي للغة نفسها، فالخطاب عند إميل بنفينيست يقتضي حضور الذات المخاطبة والمتكلمة، ويتم بينهما في مستويين، مستوى الملفوظ بوصفه منجزا مستقلا عن الذات، وبعدّه مجموع الوقائع اللغوية التي تظهر في التلفظ بوصفها مستوى ثانيا في العملية التواصلية، وفيه يتم تسخير النسق اللغوي في استعمال اللغة، وربطها بالفعل الذاتي للقول.

المبحث الثاني: ـ الاستراتيجيات: سماتها ووظائفها

إنَّ استراتيجيّة الخطاب مصطلح مؤلف من لفظتين؛ هما: الاستراتيجيّة والخطاب، ولكلّ لفظة مفهومها المستقل الأصل عن مفهوم اللفظة الأخرى، فمفهوم الاستراتيجيّة مفهومٌ عام، وأمّا مفهوم الخطاب فمفهومٌ خاص. يروم هذا المبحث الخوض في مفهوم الاستراتيجيّة وبحث العلاقة الجامعة بينها وبين الخطاب، واستقصاء آليات استراتيجيات الخطاب ومسوغات حضورها في مقدمات شعراء التفعيلة العراقيين، وبياناتهم، وتجاربهم الشعرية.

الاستراتيجيّة مصدر صناعي؛ وهي، من الفنون العسكريّة، "علم، وفن ينصرفان إلى الخطط، والوسائل التي تعالج الوضع الكليّ للصراع"(١)، كما يُقصد بها التخطيط لتحقيق سياسة ما، وللتّحكم الوضع بشكل كلي، وتعرف أيضًا بكونها؛ طرقا محددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمّة من المهمات، أو هي مجموعة عمليّات تهدف إلى بلوغ غايات معيّنة، أوهي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة والتّحكم بها(٢).

وقد لاحظ (شارودو) في تحليل الخطاب أن لمصطلح الاستراتيجية استعمالات متباينة، وحدود عدّة، على وفق اتجاهات البحث؛ "فالكلمات عند بعضهم تدخل في استراتيجيات اجتماعية، وهي مؤشرات وأسلحة لإستراتيجيات الفردنة، وفي نظر آخرين فالإستراتيجية هي من شروط إنتاج الخطاب، وحسب وجهة نظر أخرى، تتكون هيكلة

(١) الموسوعة العسكرية، هيثم الأيوبي وآخرون، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١، ج١، ص٦٦

(٢) ينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ص٥٣٢.

عمل لغة ما من فضائين: فضاء إكراهات يتضمن المعطيات الدنيا التي ينبغي الاستجابة لها ليكون عمل اللغة صحيحا، وفضاء إستراتيجية يطابق الاختيارات الممكنة التي يتوخاها المتكلمون ليقوموا بإخراج عمل اللغة"[١]. إن هذا يدل أن للمصطلح أهمية كبيرة في الدرس التداولي عموماً؛ لكونه البوتقة التي تتفاعل فيها مختلف مكونات الخطاب، بوصفه ثمرة اجتماع عناصر متعددة، ومجالا تتمظهر فيه أدوات لغوية، وآليات خطابية منتقاة. يقول (جورج يول) في الإستراتيجيات: إنها "تؤكد على التقارب بين المتكلم والسامع، ويمكن أن تكون الأساس العامل بين مجموعة برمتها، أو أن تكون خيارا يستعمله متكلم في ظرف معين"[٢]. إن يول هنا يموضع الاستراتيجية في تتبع آليات، تكفل الوصول إلى معرفة الكيفية التي تعامل بها المرسل مع المرسل إليه (احتراما/ إهانة)، (إقناعا/ تسلطا، تنازلا عن الموقع الاجتماعي/ تعاليا... الخ). وهو ما يرمي إليه الخطاب – تداوليا– من خلال وظيفتيه الكليّتين (التعاملية والتفاعلية)؛ بإحالته إلى مقاصد محددة، قد يشي بها شكل الخطاب، كما قد يغيبها، فيسمح للغة أن تصبح شكلاً ودالاً يقود بدوره إلى مدلولات ضمنية، مضمرة، لا تُدرك إلا بتفعيل المعطيات السياقية، والعلاقات التخاطبية، والافتراضات المسبقة، وهنا يبرز دور المرسل فيما يضعه من خطط محكمة (إستراتيجيات)، يتوسّل بها إلى مقاصده وأهدافه. فيسم اطَرادُها (الإستراتيجيات) الخطاب، بسمة تتنامى شيئا فشيئا، حتى تغدو ظاهرة لافتة، لها أنساقها اللغوية، وأدواتها الخاصة بها، "إذ يمتلك الخطاب مجموعة من الاستراتيجيات تكون مستعملة بشكل تداولي داخل المجتمع اللغوي الواحد، وهذه الاستراتيجيات والتنظيمات الخطابية تكون متغيرة حسب مختلف السياقات الحاملة للمعنى"[٣].

ويذهب ميشيل فوكو إلى أن الإستراتيجية مصطلح له معان، تتعدد بتعدد السياقات التي ترد فيها، وهي عنده على ثلاثة: "أولا: للتدليل عن اختيار الوسائل المستخدمة

---

(١) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو ، ص٥٣٣.

(٢) التداولية، جورج يول، ترجمة: الدكتور قصي العتابي، الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص ١٠٦.

(٣) تحليل الخطاب من المدرسة البنيوية إلى المنهج التداولي، محمد حولة، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ: الجزائر، العدد: ٩، ديسمبر ٢٠١٤، ص٧٠.

للوصول إلى غاية معينة، والمقصود بذلك هو العقلانية المستخدمة لبلوغ هدف ما. وثانيا: للتدليل على الطريقة التي يتصرف بها أحد الشركاء في لعبة معينة تبعا لما يعتقد أنه سيكون تصرف الآخرين، ولما يخال أن الآخرين سيتصورون أنه تصرفه هو؛ باختصار، الطريقة التي نحاول بها التأثير على الغير. وأخيرا: للتدليل عل مجموع الأساليب المستخدمة في مجابهة ما لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على الاستسلام، وعليه تتحدد الإستراتيجية باختيار الحلول الرابحة"[١]. والذي يبدو من مقولة فوكو أنه يجعل الإستراتيجية ناتجة عن خطوات منتظمة لبلوغ هدف محدد، ويرى أن بعضها ذهني، وبعضها لغوي، وبعضها الآخر سلوكي، كما يجعل الاستراتيجية خاضعة لاعتبارات السياق، بما يتيحه من وسائل وظروف.

وفي حديثهما عن الطرائق المناسبة التي يختارها المتكلم؛ ليضمن دفع المخاطب إلى الجهة التي يريدها، يرى (براون ويول) أن المتكلم عندما ينتج خطابه لابد أن يكون قاصدا إلى أمر ما، وليس مجرد محرك لسانه، إذ إن قصده لا يخرج عن وظيفتين، هما: (الوظيفة التعاملية)، و(الوظيفة التفاعلية). في الوظيفة التعاملية يوظف المتكلم جهده لبناء الخطاب؛ ليستطيع المتلقي أن يأخذ منه المعلومات الصحيحة والدقيقة نتيجة لتبادل هذه المعلومات، ومن تحقيق التواصل فيما بينهم سواء كان ذلك لغرض التوجيه أم التعليم أم غيره[٢]، وفي الوظيفة التفاعلية يتحقق مايسميه براون ويول (تضامن الأقران[٣])، "وتحديد الأدوار في المحادثة، وإسعاف كل من المتكلم والمتلقي، وإن أوضح ما يمثل هذا الجانب في الاستعمال اللغوي أن قدرا كبيرا في المعاملات اليومية بين الناس، إنما يقوم على اللغة، بوصفها بالدرجة الأولى أداة أتصال بين الأفراد، أكثر من قيامه على اللغة بوصفها أداة تعامل"[٤]

---

(١) ميشيل فوكو مسيرة فلسفية، أوبير دريفوس وبول رابينوف، ترجمة: جورج أبي صالح، مراجعة وشرح: مطاع صفدي، بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٩٠،ص٢٠٠

(٢) ينظر :تحليل الخطاب، بروان ويول، ص٢.

(٣) تضامن الأقران هي طريقة االكلام التي يستخدمها أقران، أحدهم في نطاق اجتماعي معين، كالمدرسة أو المصنع أو الجيش، ينظر: المصدر السابق، ص٣.

(٤) المصدر السابق نفسه.

إن ما يظهره النص السابق لبراون ويول يثير قضية الإستراتيجية بوضوح، كما يحدد بعض الاستراتيجيات تحديداً بيناً، كالتوجيهية والتضامنية، مع التركيز على الوظيفة التواصلية، بوصفها إنجازاً يحققه الخطاب بوساطة اللغة، التي "لا تؤدي فقط وظيفة مرجعية تحيل على مدلول، بل تؤدي هنا وظيفة تداولية تتفاوت بحسب القصد أو الهدف الذي من أجله يسوق المتكلم خطابه"(١)، إذ لابد للمتكلم من اختيار الطرائق المناسبة التي تضمن له دفع المخاطب إلى الجهة التي يريدها.

وتربط (ديان مكدونيل) بين الاستراتيجية وتباين الخطابات وتعارضاتها، وهي بعد أن تنقل مقولة بارت الذاهبة إلى أن الخطاب ينشط –في حافزه التاريخي– عن طريق المصادمات، تخلص إلى أن "الخطابات المختلفة تنشئ المفاهيم والاستراتيجيات المختلفة، ويمكن في بعض الأحيان إفراد بعض المفاهيم التي نشأت في نطاق خطاب ما، وإعادة التفكير فيها في نطاق خطاب آخر"(٢). ويمكن أن يستنتج من كلام ديان أن الخصوصيّة التي تسم معنى الاستراتيجيّة تؤهلها لتكون من أهم القضايا التي تحدد التّميز والاختلاف بين الخطابات المتعددة، كما يدل على أنه لا يمكن للمرسل أن ينتج خطابًا بمعزل عن السّياق الذي قيل فيه، وأن هذه الاستراتيجيات التي تذكرها ديان تشكل إطاراً إجرائياً ومفاهيمياً يمكن أن يصلح لخطابات هي غير الخطابات التي تشكلت في ضوئها.

وقد موضع شارودو حدوداً واضحة لمصطلح (الاستراتيجية) في تحليل الخطاب، بعد أن شرح التباينات التي عرفها فهم المصطلح عند غير واحد من المنظرين لمفاهيم تحليل الخطاب، وهذه الحدود هي(٣):

---

(١) الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل (في نظرية النحو الوظيفي)، يوسف تغزاوي، إربد: عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٤، ص١.

(٢) مقدمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، ترجمة وتقديم: دكتور عز الدين إسماعيل، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص٦٩.

(٣) P.Charaudeau et D.Maingueneau, Dictionnarie d"analyse du discours. P٥٤٨

نقلا عن: تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، محمود طلحة، إربد–الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢، ص١٣٩.

١) إن الاستراتيجيات أثر الفاعل (فرد أو مجموعة) ينساق لاختيار عدد معين من العمليات اللغوية (بطريقة شعورية أو غير شعورية).
٢) إن الحديث عن الإستراتيجية لا يأخذ معناه إلا بالنظر إليها في إطار مقتضيات متعلقة، إما بقواعد، أو معايير، أو مواضعات معينة.
٣) إنه من المفيد الإبقاء على الشروط التي يضعها علم النفس الاجتماعي، وهي اشتراط وجود هدف معين، ومقام تردد، وغاية للبتّ في المسألة المطروحة عبر تدخل التردد، وحساب أو تقدير.

يلاحظ فيما ذكره مانغنو وشارودو في نصيهما السابق، الذي يذكران فيه حدود الاستراتيجيات في تحليل الخطاب، أن ارتباط الاستراتيجيّة بالخطاب له ما يسوغه؛ لأن الخطاب، بالنّظر إلى أغلب مفاهيمه، يتكوّن من مجموعة من العناصر (المرسل؛ المرسل إليه؛ السّياق)، وهذه العناصر تتفاعل فيما بينها، فيقوم المرسل بإختيار العبارات والكلمات المناسبة، وكذا اختيار السّياق المناسب له. فهو قبل التلفظ بخطابه يخطط لكيفيّة إنتاجه، ولكيفيّة إيصال معناه إلى المرسل إليه؛ فالمرسل يحرص كل الحرص على استعمال اللغة استعمالا دقيقا يتلاءم والسياق، ولكي يتمكن المرسل من القيام بهذه العمليات لابد أن تتوفر فيه كفايّة لغويّة فضلاً عن الكفايّة التّداولية، التي يتضمنها النص السابق في القواعد والمعايير المواضعات المعينة.

ومن وجهة نظر عربية، يعد (سعيد علوش) الإستراتيجية مصطلحا أدبيا، ويمايز بين نوعين منها، هما: (الاستراتيجية الخطابية)، و(الاستراتيجية السردية)، الأولى متعلقة بفاعل العبارة، بوصفه طريقا لإقامة خطاب البنيات السردية، والأخرى تستهدف إقامة "مسودات سردية، تمكن من توليد الخطابات، وتضم الاستراتيجية السردية برمجة بالمعنى الواسع للسردية المعقدة في تكوينها للموضوعات القيمية، وإقامة فاعلين ممثلين، يتكفلون بإنجاز برامج سردية ملحقة"[١]، ثم فسّر المسوّدة السردية بأنها خطاطة يتم بموجبها تصور السرد، وتسجيل كتابة عملٍ ما دون اعتمادها.

(١) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، د.سعيد علوش، بيروت–لبنان: دار الكتاب اللبناني، والمغرب–الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، ص١٠٩–١١٠.

ويرى عبد الهادي بن ظافر الشهري، أنّ الإستراتيجية هي "المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده، التي تؤدي إلى تحقيق أهدافه من خلال استعمال العلامات اللغوية، وغير اللغوية وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة ويستحسنه المرسل"(١). على الرغم من أن مقولة الشهري لاتخرج عما دارت عليه لفظة الاستراتيجية بوصفها مصطلحا من مصطلحات تحليل الخطاب، إلا أن أهمية ما يذكره نابعة من وقوفه على تعالق الخطاب مع الجانبين التواصلي التُفاعليَ بين (المرسل والمتلقي) بوصفهما طرفين للخطاب؛ ومن هنا يجد أن المتكلم يركز أثناء التّواصل مع المتلقي، على تبليغ مقاصده، وأهدافه معتمدًا طرائق تحقق هذا؛ فقد يسلك مرسل الخطاب مسالك محَّددة، تعكسها مجموعة من الخطط من أجل تحقيق أهداف ومقاصد محدّدة تحت تأثير عناصر سياقيّة تداوليّة محَّددة؛ حيث تعرفُ هذه المسالك في الدّرس التداولي المعاصر بـ "الاستراتيجيّات الخطابيّة Strategies of discourse"؛ إذ تختصّ كلّ منها بآليات لغويّة وغير لغوية تميزها عَّما سواها. ولتحقيق تواصل ناجح عن طريق أي خطاب، يقتضي أن يمتلك المرسل قدرة أعلى من كفايتيه اللغويّة والتداولية قدرة تجمَع بين الكفايتين معًا، تسمّى بـ (القدرة التواصليّة)(٢)

ويعتقد الشهري أن اختيار الخطاب المناسب، الذي يحقق غاية المتكلم، يعتمد على "بعدين، أولهما: البعد التخطيطي، وهذا البعد يتحقق في المستوى الذهني، وثانيهما: البعد المادي الذي تجسده الاستراتيجية لتتبلور فعلا، ويرتكز العمل في كلا البعدين على الفاعل الرئيس، فهو الذي يحلل السياق، ويخطط لفعله، ليختار من الإمكانات ما يفي بما يريد فعله حقا ويضمن أهدافه"(٣). يرى الشهري أنه لا يكون الخطاب استراتيجيا إلا إذا كان المتلفظ به مخططاً له، وواعياً بالشروط الموضوعية والذاتية المحيطة به، ومحققا لميزة التنظيم في استعماله للغة. فالإستراتيجية الخطابية وفق هذا التصور تفصح عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه، من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده،

---

(١) استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي الشهري، بيروت– لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص٥٣

(٢) ينظر: تحليل الخطاب، بروان ويول، ص٢،ص٢٢٧.

(٣) المصدر السابق نفسه.

التي تؤول إلى تحقيق أهدافه من خلال استعمال العلامات اللغوية، وغير اللغوية، وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ لعناصره المتنوعة، ويستحسنه المرسل.

ويصنف عبد الله البهلول الاستراتيجيات في صنفين رئيسين، الأول مقترن بالمناورة، والموارية، ويمكن الوصول إليه بانتهاج الطرق الملتوية، وتتبع المسلك الملائم، والآخر مقترن بمجموعة من الوسائل اللَغوية التي يتوسَلها المتكلَم، محدثا بينها تفاعلا، ليتمكن من توظيفها في تحقيق المقاصد الصَريحة والضمنية(١).

ومما تقدم يتبين أن ارتباط الاستراتيجيّة بالخطاب له ما يسوّغه؛ لأنّ الخطاب، بالنّظر إلى أغلب مفاهيمه، يتكوّن من مجموعة من العناصر، هي: (المرسل؛ المرسل إليه؛ السّياق)، وهي تتفاعل فيما بينها، لتهيء المرسل؛ كي يختار العبارات والكلمات المناسبة، واختيار السّياق المناسب له. إن المرسل قبل التلفظ بخطابه، يخطط لكيفيّة إنتاجه، وكذا كيفيّة إيصال معناه إلى المرسل إليه، وهو يحرص كل الحرص على استعمال اللغة استعمالا دقيقا يتلاءم والسياق، وإنه حتى يتمكن من القيام بهذه العمليات لابد أن تتوفر فيه كفايّة لغويّة بالإضافة إلى الكفايّة التّداولية، "فقدرة المتكلم قدرة تواصلية، بمعنى انّها معرفة القواعد التداولية، فضلا عن القواعد التركيبية والدلالية والصوتية، التي تمكِّن من الإنجاز في طبقات مقامية معينة، وقصد تحقيق أهداف تواصلية محددة"(٢)، وإذا كان الغرض من التخاطب هو الفهم والإفهام فإن المخاطب يهدف دائماً أثناء التخاطب إلى إيصال خطابه إلى المتلقي واضحاً سالماً من العثرات ، ومن ثم يعمد إلى استعمال الصيغ المشتركة المفهومة تجنباً لسوء الفهم، ومن هنا يستخدم مجموعة من الاستراتيجيات والتقنيات التي تمكنه من تمرير رسالته إلى متلقيه واضحة؛ حتى يحدث التفاعل بينهما، ومن ثم تبليغ مقاصد النص إلى المتلقي المقصود بطريقة تجعله قادراً على فهم معانيه وفك رموزه.

---

(١) ينظر: الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا، مقارنة أسلوبية حجاجية، عبد الله البهلول، بيروت– لبنان: مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص٣٣٢.

(٢) الوظائف التداولية في اللغة العربية، د. أحمد المتوكل، الدار البيضاء– المغرب: دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، ص١١.

فالإستراتيجية إذن هي طريقة تستعمل في الوصول إلى الغرض المنشود، ويتجلى التنظيم عند التلفظ بالخطاب فيما يسمى " بإستراتيجية الخطاب، وهذا يعني أن الخطاب المنجز يكون خطاباً مخططاً له بصفة مستمرة وشعورية، ومن هنا يتحتم على المرسل أن يختار الإستراتيجية المناسبة التي تستطيع أن تعبر عن قصده وتحقق هدفه بأفضل حالة، ولا يكون التواصل بين المرسل والمرسل إليه في الخطاب اعتباطيا أو عشوائيا، بل إن المتكلم يتواصل مع غيره على وفق قصد يسوق فيه كلامه. والقصديّة في الخطاب أمرٌ ضروري في عمليّة التواصل، إذ يتحتم على المرسل أن يضع خططا للتّلفظ بالخطاب لتحقيق التواصل، على وفق ما تقتضيه العلاقة بينه وبين المرسل إليه. ويختار المرسل للخطاب استراتيجيّة معيّنة وفقا لدواعي السياق والنسق، مستعملا التوجيه، أو التلميح، أو الاقناع، أو التضامن مع المرسل إليه؛ لبناء علاقة تودّد بينهما.

وينبني تحديد استراتيجيّات الخطاب اجتماعيًا على عاملين اثنين: الأول يمثّل العلاقة بين المرسل والمرسل إليه، أمّا الثاني فيتمثّل عامل السّلطة؛ وهذا هو الأساس الذي اعتمده "جيوفري ليتش"[١]، في تصنيف العلاقات بين الناس إلى صنفين، هما: صنف أساسه معيار التّضامن بوصفه بعدا اجتماعيا؛ وصنف محوره السّلطة، يخصّ العلاقات العامّة بين المتخاطبين، أما إذا تعلق الأمر بجوانب مختلفة وسياقات أخرى من الكلام، فإن المرسل يستعمل عبارات التودد عند التعامل مع المرسل إليهم، عبر مصارحتهم، من غير أن يجعل خطابه غامضًا ومعقدا.

ترتبط مقاصد المتكلمين بالاستراتيجيات ارتباطا وثيقا، إذ يتبنى المتخاطبون هذه الاستراتيجيات من أجل تحقيق مقاصدهم، فالاستراتيجيات هي وسيلة تحقيق المقاصد، وقد أدركت اللسانيات الحديثة وبخاصة التداولية أنه يستحيل فهم دلالات الخطاب الصريحة منها والضمنية، ما لم نفهم المقاصد التي وجدت وراء انتاجه، ففضاء الاستراتيجية يجب أن "يطابق الاختيارات الممكنة التي يتوخاها المتكلمون ليقوموا بإخراج عمل اللغة"[٢] ، وقد موضع (ما نغونو وشارودو) مفهوم الاستراتيجية في ثلاثة علوم،هي:

---

(١) مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ترجمة: عبد القادر قنيني، الدار البيضاء،المغرب: دار أفريقيا الشرق، ٢٠١٣، ص١٤٦ وما بعدها.

(٢) معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينك منغنو، ص٥٣٣.

علم النفس العرفاني الذي ينظر إلى اختلاف الاستراتيجيات بحسبان إكراهات المقام، والقدرات العرفانية للمتكلم. وفي علم النفس الاجتماعي يتم النظر في عمل المرء استراتيجيا على وفق السلوك المتوخى الذي ينتج عن وجود حتمية اجتماعية أو نفسية داخلية أو خارجية تضطر المنتج إلى أن يسلك سلوكا لغويا ما. وفي علم تحليل الخطاب يتم النظر للإستراتيجية بوصفها إحدى شروط إنتاج الخطاب، ومن وجهة نظر أخرى فإن هيكلة عمل اللغة متكون من فضائين، فضاء إكراهات يحتوي على معطيات دنيا لابد أن تتوفر ليكون الفعل اللغوي متحققا، وفضاء استراتيجية، يحيل على الخيارات الممكنة للمتخاطبين بإخراج عمل اللغة(١).

ولا تتحقق العملية التخاطبية إذا لم يتوفر هناك عامل العقد الذي يضمن الاستقرار والقابلية على توقع السلوك بصفة تمكن الذات المتكلمة من اللعب بمعطيات العقد، أو داخل هذه المعطيات، وإن تحديد الاستراتيجيات اللغوية يتمحور حول عدد من الرهانات، منها رهان إضفاء الشرعية الذي يحدد وضعية سلطة المتكلم، ورهان الصدق الذي سعى إلى تحديد وضعية صدق المتكلم، ورهان الإثارة الذي تكمن الغاية منه في حمل الآخر على المشاركة في العملية التبليغية، انطلاقا مما يدور في خلد المتكلم. كما أن البحث عن أنواع الاستراتيجيات يثبت أن هناك عددًا لا حصر له منها، وأنه لا يمكن التلفظ بالخطاب إلا باستعمال استراتيجيّة خطابيّة معيّنة، حسب (بونفوس وتورنيي)(٢).

والاختلاف كامن في تصنيف الإستراتيجيات، فهناك من حاول تصنيفها تصنيفا عامًا بالنظر لمساراتها العامّة وقواسمها المشتركة: باستعمال بعض المعايير المقترحة؛ وأهمّها ثلاثة معايير(٣)، الأول: "معيار اجتماعي، ينتج عن العلاقة بين طرفي التّخاطب، ويتفرّع عن هذا المعيار استرتيجيتان، هما: الاستراتيجيّة التضامنيّة والاستراتيجيّة التّوجيهيّة. والثاني: معيار شكل الخطاب، الذي يتعلق بشكل الخطاب اللغوي؛ للدّلالة على قصد المرسل؛ ويتفرع عن هذا المعيار الاستراتيجيّة التلميحية. والثالث: معيار هدف

---

(١) ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينك منغنو، ص٥٣٣.

(٢) المصدر السابق نفسه، استنادا إلى:

Bonnafous S et Tournier M. (١٩٩٥), Analyse du discours, lexicometrie, communication, et politqe, Langages, p.١٩.

(٣) ينظر :الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل (في نظرية النحو الوظيفي)، يوسف تغزاوي، ص١٨٩.

الخطاب الذي يتفرع عنه الاستراتيجيّة الحجاجيّة"[١]. وهذا يلخص أنواع الاستراتيجيات، على النحو الآتي:

أولا: الاستراتيجية التّضامنية: تحضر هذه الاستراتيجيّة لتعطي معنى التّعاون والتّشارك من قبل أشخاص أو مجموعات تجاه الأفراد، أو تجاه الجماعات، وبهذا يمكن القول إنها "الاستراتيجيّة التي يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها، أو تطورها بإزالة معالم الفروق بينهما"[٢]. هي استراتيجية يعرفها الشهري بأنها تنشأ حين " يحاول المرسل أن يجد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينها، واجمالا هي محاولة التقرب من المرسل إليه و تقريبه "[٣] اعتمادا على إبعاد عامل السلطة بينهما أثناء الخطاب، ليحل محله عامل أخلاقي هو التأدب في الخطاب، ويرى طه عبد الرحمن في اللسان والميزان أنه قد " تجد المتكلم في هذه المرتبة من التعامل حريصا على أن يحفظ عرى التواصل، حتى يجلب أقصى ما يمكن من عاجل المنفعة لنفسه ولمخاطبه، فيجهد في التوسل بما يجلب إقبال المخاطب على ساعه وفهم مراده وتلقيه له بالقبول، طمعا في أن يبادله نفس الحرص على التواصل وعلى الوصول إلى المنفعة المشتركة "[٤]. ولأجل تحقيق هذه المنفعة المشتركة يلغي المتكلم المسافة الاجتماعية في علاقته بالمتلقي، مسوّيا درجته بدرجة المتلقي، فتتجسد بذلك صفة التضامن بينها. ويذهب الشهري إلى إن اختيار المتكلم للاستراتيجية التضامنية قصد التواصل مع المتلقي من شأنها أن تحقق غايات أخلاقية تظهر أثناء الخطاب وبعده، منها: تأسيس العلاقة الوديّة بين طرفي الخطاب أو إعادة الحميمية لها بعدما تعرضت للبرودة، لأسباب عديدة منها سوء الفهم أو الخطأ أو التجريح، ومن بين المسوّغات؛ تحسين صورة المرسل أمام المرسل إليه حتى

---

(١) الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية: المغرب، المجلد: ٨، العدد: (١٥/٢)، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ص٥٤٣.

(٢) استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي الشهري، ص٢٥٧.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرّحمن، ص٢٢٣.

يدفع المرسل إليه للقول الأحسن أثناء دوران العملية التخاطبية، وكأنه يمهد طريق الحقيقة بتضامنه مع المخاطب، ومن المسوّغات تفعيل التضامن في حياة الناس، ومن بين المسوّغات: الحدّ من دور السلطة في حياة الناس، ومن المسوّغات ، تيسير طرق التفهيم والتعليم من طريق التأدب، ومن المسوّغات كذلك، كسب ولاء الناس ومحبتهم وتعاطفهم(١).

فالاستراتيجية التضامنية محاولة للتّقَرّب من المرسل إليه، وتقريبه تقريبا يجعله واثقًا أن المرسل يميل إليه ميلا طبيعيا خاليًا من أي دوافع أو أغراض منفعيّة، وهي الإستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، بتفهم حاجات الجمهور، أي أنها محاولة للتقرب من المرسل إليه وضمان كسبه باستعمال الود واللين والترفق معه. ولعل هذا ما حمل (جورج يول) إلى النظر إلى هذه الإستراتيجية على وفق مبدأ التأدب ذاكرا أنه "يمكن اعتبار النزوع إلى استخدام صيغ التّهذيب الإيجابية، التي تؤكد على التقارب بين المتكلم والسامع، على أنه إستراتيجية تآزر solidarity strategy، ويمكن أن تكون هذه الإستراتيجية الأساس العاملة بين مجموعة برمتها، أو أن تكون خيارا يستعمله متكلم في ظرف معيّن"(٢)

وتتحقق الاستراتيجية التضامنية من خلال علامات لغوية معينة، تبرز رغبة المتكلم في التضامن مع المتلقي، كما توضح مقدار تخليه عن سلطته للتقرب من المتلقي وتوطيد العلاقة معه، إما باعتبار وجود هذه العلاقة مسبقا، وإما أنها ناشئة أثناء التواصل، لأن "التضامن والسلطة يرتبطان بعلاقة متضادة"(٣)؛ فكلما اعتمد المتكلم على سلطته مع المتلقي، حاد عن التضامن معه، وإن أراد ذلك كان لزاما عليه التخلي عن هذه السلطة، أو تغيبها إلى حين، حسب مقاصده ورغباته. وإذا أراد المتكلم استعمال استراتيجية

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي الشهري، ص٢٦١-٢٦٢.

(٢) التداولية، جورج يول، ص١٠٦.

(٣) Deborah Tannen, That's not what I meant, Ballantine Books, New York,١٩٩٢, P٩٣
نقلا عن: الحجاج في كليلة و دمنة لابن المقفع، د.حمدي منصور جودي، عمّان: مركز الكتاب الاكاديمي، ٢٠١٨، ص٦١.

التضامن فإنه يعمد إلى اللغة الطبيعية المجيدة للخطاب الذي يصوغه من الوسائل اللسانية التي يجعلها المرسل علامة على توجيه الخطاب إلى المرسل إليه من الناحية النفسية والاجتماعية، والفعل التوجيهي من الوظائف الست للغة بحسب تصنيف أنموذج رومان جاكوبسن، وقد سمّاها بالوظيفة الإفهامية أو الندائية، كما في الأمر والنداء والنصيحة، إذ إنّها تعمل على إحداث تغيّر في سلوك المخاطَب(١)، وهناك صيغ مثل: الضمائر، والأسماء، فتعمد هذه الصيغ على الكشف عن الاستراتيجية التضامنية التي يختارها المتكلم أثناء الخطاب.

ب- الاستراتيجية التوجيهية: إذا كانت الاستراتيجية التضامنية تعتمد في تأسيس العلاقة بين المتخاطبين على مبدأ التأدب والتخلق، فإن الاستراتيجية التوجيهية لا تتلاءم مع هذا المبدأ؛ لأن المرسل يسعى من خلال خطابه التوجيهي إلى الضغط على المرسل إليه، لتوجيهه إلى مقاصد معينة يفرضها سياق التخاطب، كسياق النصح، أو الأمر، أو التحذير، يقول الشهري: "إن خطاب الاستراتيجية التوجيهية يعد ضغطا وتدخلا، ولو بدرجات متفاوتة على المرسل إليه، وتوجيهه لفعل مستقبلي معين، وهذا هو سبب تجاوز المرسل لتهذيب الخطاب"(٢). ويعد التوجيه من الآليات المباشرة التي يعتمدها المرسل في خطاباته، لأن مقاصده تتطابق مع الدلالات الحرفية لهذا الخطاب، وينزع المرسل إلى استعمال الاستراتيجية التوجيهية لغاية الوضوح وتبيان المقاصد، وفق ما يقتضيه سياق التخاطب، وبذلك يعد التوجيه فعلا لغويا يعكس وظيفة من وظائف اللغة التي تعمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجهات المرسل إليه وسلوكه. وإن هذا هو إحدى وظائف اللغة التي تضمن "السيطرة على محيطنا بشكل دائم ومنظم، هي إصدار الأوامر والتحكم في تصرفات الآخرين، أو السيطرة على أشياء أخرى في البيئة المحيطة بنا، وتشمل هذه الوظيفة نواحي كثيرة من حياتنا، منذ أن نستيقظ من نومنا صباحا إلى أن نأوي إلى الفراش مساء، إن جزءا كبيرا من اللغة التي نستخدمها خلال حياتنا اليومية يتألف، من نوع من الأمر: طلب شديد، طلب عادي، طلب لطيف،

---

(١) ينظر :قضايا الشعرية ، رومان ياكوبسن، ترجمة: محمد الولي، مبارك حنون، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص٢٩.

(٢) : استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي الشهري، ص٣٢٣.

رجاء، استجداء"[١]، بمعنى أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي إنجازي تأثيري، كما يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية، لتحقيق أغراض إنجازيه، كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول.

ويذهب إدريس مقبول إلى أنه في الاستراتيجية التضامنية "المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواه، يفترض أنها لصالح المخاطب أو المرسل إليه، ولا يعد التوجيه هنا فعلا لغويا وحسب وإنما يعد وظيفة من وظائف اللغة التي تعنى بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف هاليداي، إذ أن اللغة تعمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجهات المرسل إليه"[٢] ، وتعد هذه الرغبة في الثأثير سلطة تتمتع بكل ما لدى السلطة من العرض والتحضيض، وهي سلطة يعتمدها المرسل في خطابه التوجيهي مع المرسل إليه، على وفق مقتضيات مفروضة منها: فارق المنزلية والرتبة بين المرسل والمرسل إليه، والسياق الذي يفرض اتصالا محدودا بينها وفي نطاق ضيق. وإعادة الاعتبار لطبيعة العلاقة الموجودة بين طرفي الخطاب، مثل رغبة المرسل في الاستعلاء أو الارتقاء بمحتوى الخطاب، وإصرار المرسل على تحقيق مقاصده أثناء الخطاب، مثل سياقات التحدي أو الشعور بأن المرسل إليه قد تجاوز حدود طبيعة العلاقة بين الطرفين.

أن ما يجعل من الخطاب إنجازاً لفعل توجيهي هو ربطه بأنا المرسل المشتغلة بالخطاب وفيه، حتى لو لم تظهر في بنيته المنجزة، لكنها هي الموجه للخطاب الذي يعبر عن قصد المرسل والمحققة هدفه، فيصبح منطلق التوجيه علاقة سلطة يفرضها المرسل على المرسل إليه، وتصبح هذه السلطة سبب نجاح مقاصد الخطاب، وغاية اعتماد الاستراتيجية التوجيهية التي تستند على وسائل لغوية تحقق هذه السلطة القائمة بين طرفي الخطاب وتجسدها، مما يلزم المرسل استثمار كفاءته اللغوية في بناء هذه الاستراتيجية باعتماد أفعال كلامية منبثقة عن الإنشاء مثل: الأمر والنهي والاستفهام والتحذير والإغراء والنداء وذكر العواقب.

---

(١) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة رقم (٩)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٧٨، ص١٧٤.

(٢) الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، إدريس مقبول، ص٥٤٩.

ج- الاستراتيجية التلميحية: إن شكل ألفاظ الخطاب قد تطابق المعنى مباشرة، أو أنها قد تفضي إلى معاني ضمنية لا يمثلها شكل الألفاظ، وهو ما يعرف بالتلميح، فالمرسل قد يلمح بالقصد عن مفهوم الخطاب المناسب للسياق، لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المرسل إليه. وفي تصنيف (براون وليفنسون) في نظريتهما حول مبدأ التأدب في الدرس التداولي ، ظهرت خمس استراتيجيات عامة في التخاطب، منها الإستراتيجية التلميحية، التي وجدا أنها يمكن أنْ ينتج عنها أكثر من قصد(١). وقد وجد (سيرل) الإستراتيجية التلميحية ضمن أفعال الكلام غير المباشرة(٢).

والاستراتيجية التلميحية "يعبّر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي لخطابه؛ فيعبّر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق"(٣)، وعناصر السياق تعد قرائن مساعدة في الانتقال من المعنى الأول المذكور غير المقصود إلى المعنى الثاني المقصود المستلزم. ودوافع المرسل إلى استعمال الاستراتيجية التلميحية يفرضها عليه السياق غالبا، فيؤسس خطابه على الطريقة غير المباشرة لتبليغ مقاصده، ومن هذه الدوافع: مراعاة السياق وما يفرضه على المرسل من عدم التصريح بالمعنى مباشرة الأسباب اجتماعية أو ضوابط أخلاقية تراعي مشاعر المرسل إليه(٤). وكون التعريض بالمرسل إليه والانتقاص من شأنه سبيلا إلى انتهاج التلميح والابتعاد عن التصريح. ومحاولة المرسل التملص والهروب من مسؤولية الخطاب، مما يدفعه إلى فسح مجال التأويل حول المقاصد التي يرمي إليها من خطابه. وابتعاد المرسل عن فرض أمور على المرسل إليه قد تتعارض مع قناعاته.

أما الوسائل المعتمدة في الاستراتيجية التلميحية: فتمثلها صيغ لغوية وآليات بلاغية تمكن المرسل من تبليغ مقاصده بطريقة غير مباشرة تعتمد التضمين، لأن هنالك طرائق عديدة لتقول شيئا ما وأنت تعني شيئا آخر، منها التهكم والسخرية والتشبيه. وهذه الطرائق العديدة تدفع المرسل إليه للبحث عن المقصود، فيشتق المعنى الحرفي، ثم يفحص هذا

---

(١) ينظر : محمد السيدي، إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، موقع على الانترنيت:
www. aljabriabed.net/n٢٥-٠٧sayidi.htm

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي الشهري، ص٣٧٧

(٣) المصدر السابق، ص٣٧٦.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص٣٧٨.

المعنى في السياق، ويبحث عن المعنى غير الحرفي، إذا أخفق المعنى الحرفي في تعريفه بالقصد. والوسائل المعتمدة في الاستراتيجية التلميحية على ضربين[1]:

- **الوسائل اللغوية:** تجسدها ألفاظ منها (كم الخبرية)، إلى جانب الأفعال اللغوية غير المباشرة التي تنشأ عن الاستلزام التخاطبي (الحواري) بين المرسل والمرسل إليه، من خلال الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني؛ فالمعنى الصريح يمثل مدلول الصيغة الصورية والقيمة اللفظية التي تعنيها العبارة اللغوية، أما المعنى الضمني فهو ما يقصده المرسل من خطابه على نحو غير مباشر، يتعدى الصيغة الصورية لألفاظ الخطاب في سياق محدد، ويشمل: معنى عرفيا : الدلالة التي تقتضيها ألفاظ الخطاب، ويستلزمها في سياق تواصلي محدد، انطلاقا مما تعارف أصحاب اللغة عليه.
- **الوسائل البلاغية:** تشمل صور البيان وما تؤديه من تلميح، ومنها: التشبيه: وهو التقريب بين الشيئين في وجه اشتراك أو افتراق، ويشير إلى المقاصد المتضمنة في خطاب المرسل داخل سياق تواصلي محدد، ويبرز كفاءته اللغوية والتداولية، مما يجعل التشبيه ضرورة في الاستراتيجية التلميحية. والاستعارة: وهي تشبيه في الأصل لكن مع حذف أحد الطرفين، ووجود قرائن دالة على المحذوف تلتمس من السياق التواصلي، وهذا الحذف هو التلميح الذي يقصده المرسل في الاستراتيجية التلميحية. والكناية: وهي" ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك "، بمعنى أن المرسل يعتمد هذا المنحنى في ترك التصريح بمقاصده إلى التلميح بذكر ما يلازم هذا التصريح، فيجد المرسل في خطابه معنيين اثنين؛ أحدها مذكور غير مقصود، وثانيها محذوف مقصود مدرك من خلال التلميح والتضمين.

د- الاستراتيجية الاقناعية (الحجاجية): في الوقت الذي تبدو فيه مفاهيم الحجاج متعددة، فإنها تتفق على أنّه ينطلق من دعوى مسّوغة بغرض إقناع الآخرين،"إن الحجاج جنس خاص من الخطاب، يبنى على قضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي الشهري ، ص٣٨٤.

بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا قاصدا إقناع الآخر بصدق دعواه، والتّأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"[١]. وينظر طه عبد الرحمن إلى الحجاج بوصفه خطابا قائما على المحاججة بين المتكلم والمتلقي، يقول: "إن الحجاج هو "كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحقّ له الاعتراض عليها"[٢]. أي أن الإستراتيجية الحجاجية تتأسس بناء على معيار هدف الخطاب، وعلى ما يقصد المرسل تحقيقه من تواصله مع المرسل إليه، وبخاصة إذا أراد إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمرسل إليه والتأثير فيه لغاية فعل معين.

ويعتمد الإقناع على الحجاج بوصفه أداة لتحقيق ذلك، فالحجاج استراتيجية لغوية تتأسس تبعا لسياق الخطاب؛ لأن اللغة نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق. لهذا فإن ارتباط الحجاج بالإقناع راجع إلى الوظيفة الحجاجية (الإقناعية) من وراء كل خطاب يهدف إلى دفع المتلقي إلى فعل معين لتغيير سلوك أو معتقد، فـ "الحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية، وإنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق"[٣]، والخطاب ليس أبدا حدثا معزولا، بل على العكس من ذلك، فإنه يقابل خطابات سبقته أو ستليه التي قد تكون ضمنية، تدفع المرسل إليه إلى استنتاجها وفق معطيات سياق الخطاب.

إن الاستراتيجية الإقناعية الحجاجية تسعى في إطارها العام إلى تحقيق أهداف ومقاصد المرسل من خطابه، لما لها من تأثير على المرسل إليه، إلى جانب أنها تستعمل الحجج والأدلة، مما يضمن استمرارية الخطاب بين الطرفين، كما أنها شاملة في شتى المواقف التواصلية.

أما الوسائل المعتمدة في الاستراتيجية الإقناعية الحجاجية، فهي وسائل نفسية اجتماعية؛ تتمثل أساسا في دور المرسل ومدى قدرته على تهيئة المرسل إليه لما يقصده من خلال اعتماد استراتيجية إقناعية حجاجية؛ لأن الحجاج –كما يرى بيرلمان وتيتكاه–

---

(١) النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد، مجلة فصول: مصر، الهيئة المصرية للكتاب، العدد: ٦٠، ٢٠٠٢، ص١١.

(٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرّحمن، ص٢٢١.

(٣) الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، حبيب أعراب، مجلة عالم الفكر: الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد: ٣٠، العدد:١، سبتمبر ٢٠٠١، ص١٠٠.

يمثل " إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج، فأنجح حجّة هي تلك التي تنجح في تقوية حدّة الإذعان عند من يسمعها وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل، أو الإحجام عنه أو هي على الأقلّ ما تحققه الرغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة"[١]، وإذا لم توضع هذه الرغبة النفسية والاجتماعية في الحسبان، فإن الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير.

ويتوافر الحجاج على وسائل منطقية تشمل كل ما يقدمه المرسل من الأدلة المنطقية أو الشواهد الخاصة والإحصاءات؛ فالشواهد الخاصة ترتبط غالبا بالأدلة التاريخية أو بالوقائع والأخبار والأمثلة والقصص. وأما الأدلة المنطقية فتتعلق بالقياس المنطقي[٢]. ووسائل لغوية: ترتكز هذه الوسائل على دور لغة الحجاج المعتمدة أثناء الإقناع؛ لأن " اللغة في الخطاب الحجاجي تقوم بدور جوهري وفاعل في تحقيق التأثير والاستمالة، فالمفردات والتراكيب التي يختارها المتكلم لوصف حدث ما تعكس موقفه تجاه ذلك الحدث، مما ينعكس على المتلقي في حد ذاته لقبول أو رفض ذلك الموقف"[٣]. فدور اللغة لا يندرج في إثارة المشاعر بالنسبة للمرسل إليه، وإنما في تقديم الحجج والأدلة، وفق منطق يستميل هذا المرسل إليه ويجعله مجالا لطريقة الإقناع. وهذه الوسائل اللغوية المنطقية تشكل جملا وعبارات تنقل النتائج، وتقيم الحجج انطلاقا من مقدمات، فتصبح بالتالي وحدات ذات بعد حجاجي دلالي داخل الخطاب، ومنها مثلا: لكن، إن، بل، أما، وكذا أسلوب الشرط وأسلوب القصر.

---

(١) استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي الشهري، ص٤٥٦.

(٢) ينظر: النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد، ص٥٢.

(٣) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دمشق: دار القلم، الطبعة السادسة، ٢٠٠٢، ص٢٢٧.

المبحث الثالث: المقدّمات والبيانات والتّجارب الشّعرية: موقعها في الخطاب وتمثّلها في استراتيجياته

إن الشاعر في مقدمات الدواوين، والبيانات الشعرية، والتجارب؛ يقتحم عالمًا من صراع الحداثة والتقليد، الذي ساد خمسينيات القرن المنصرم وستينياته، ونتج عنه نظريات نقدية وأدبية ماتزال آثارها باديّة للعيان حتّى اليوم. وقد رسم الشاعر فيها – أي مقدمات الدواوين، والبيانات الشعرية، والتجارب– تفاصيل دقيقة لواقع الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة وقتئذ، إن النتاج الشعري يعكس نمو الوعي التاريخي فيه، وعده وثيقة أصيلة لواقع حياة الشعراء وشعورهم وسياساتهم وإنسانيتهم(١)، ولأنَ في هذه المدونة نصوصا تعيد صياغة الحياة الأدبية إلى جوهرها؛ وترجع للنظرية النقدية لجانبها المغيّب اعتباره، بمجموعة متداخلة من خطابات تؤكد أبعاد تواصليّة شخوصها وفعاليّتهم، لتتخذ من الاستراتيجيّات ضرورة لا بدّ منها لسرد الأحداث وتواصل المرسل والمستقبل، أي الشاعر والجمهور. وقد غدى الشعر وانتاجه فيها خطابًا رسميا، حيث يستجلب هذا الرسمي سلطة، ويوضع للخطاب استراتيجيات تتحكم فيه، فشاعر التفعيلة، كما يقول نهاد التكرلي، ظهر بروح متمردة منفعلة "لم تستخدم الشعر للعبث والتسلية، بل كانت تلد آلامها وأهواءها على شكل قصيدة شعرية"(٢)، كما أن النص في الأبحاث النقدية والأدبية الحديثة والمعاصرة، لم يعد بنية مغلقة لها حدود معلومة؛ بقدر ما أصبح يمتلك مجموعة من المداخل والمخارج التي تتيح العبور إليه واجتيازه ومغادرته وتنبيه القارئ إليه وحثه أو توجيهه، وقد كتبت نازك الملائكة بوصفها أحد أبرز شعراء الحداثة ومنظّريهم عام ١٩٥٣، مقالاً عن مزالق النقد المعاصر، تقول فيها: " فالنقد في هذه المرحلة من مراحل النمو الثقافي، موضوع دقيق خطر، وسيكشف المستقبل القريب الغطاء عن كثير مما يمر بنا اليوم باسم النقد"(٣) ويمكن النظر إلى مقدمات الدواوين والبيانات الشعرية، والتجارب الشعرية بوصفها أعمالاً نقدية أو هي أعمال تدخل في نقد النقد. ولقد أولت الدراسات النقدية الحديثة، غربية

---

(١) ينظر: أساليب الشعرية المعاصرة، صلاح فضل، بيروت: دار الآداب، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ص٦٠.

(٢) عبد الوهاب البياتي المبشر بالشعر الحديث، نهاد التكرلي، مجلة الأديب: بيروت، العدد: ١٢، ديسمبر ١٩٥٣، ص٣.

(٣) مزالق النقد المعاصر، نازك الملائكة، مجلة الأديب: بيروت، العدد: ٥، مايو ١٩٥٣، ص ١٥.

وعربية، المقدمة عناية فائقة؛ لأنها تعد المدخل الرئيس إلى أغوار النص، فضلا عن كونها عنصراً أساسياً من عناصر خطاب العتبات النصية ومكوناً هاماً من مكوناته. ولاعتبارات أخرى منها ما يرتبط بشكلها، ومنها ما يرتبط بوظيفتها وبنياتها[١]. وقد حظيت باهتمام الكثير من النقاد والدارسين في العصر الحديث وعيا منهم بوظيفة هذا الخطاب في إثارة اهتمام المتلقي وتوجيه قراءاته[٢].

وإذا كان النص قد حظي باهتمام الباحثين، فإن خطاب المقدمات وعلى الرغم مما أحيط به من دارسات في العصر الحديث، واهتمام متزايد من قبل النقاد والباحثين وعيا منهم بوظيفته إثارة اهتمام المتلقي وتوجيه قراءته؛ فإنه لا يزال بحاجة إلى مزيد من الدرس وإنعام النظر إنعاماً يستجيب لتقصي استراتيجيات الخطاب فيها، والوقوف على علاقة النص بفعل القراءة، وقد لا يعكس طبيعة الخطاب المقدماتي النظر إلى المقدمات عتبات نصية حسب، من غير الوقوف على الآليات التي انتجتها والوسائل التي توسلت بها لتنتجها خطابا ذا استراتيجيات مقصودة، ومن هنا تبرز أهمية قراءة هذا النوع من الخطابات ومحاورته ومساءلته مساءلة نقدية واعية.

---

(١) ينظر: المقدمة: التأصيل النظري بين الوعي الغربي والتراث العربي، د. نصيرة لكحل، مجلة جسور المعرفة: الجزائر، المجلد: ٧، العدد: ٢، جوان ٢٠٢١، ص٣١٣.

(٢) يمكن النظر في البحوث والدراسات الآتية بوصفها مثالا يدل على اهتمام النقد العربي بدراسة مقدمات الدواوين الشعرية: النقد في مقدمات الدواوين الشعرية من الشدياق إلى العقاد، د. حسن أحمد الأشلم، مجلة البحوث الأكاديمية، جامعة مصراتة: ليبيا، العدد: ٣، ٢٠٠٢، ص ٢٨٧-٣١١، ومقدمات الشعراء الإحيائيين لدواوينهم في الربع الأول من القرن العشرين: دراسة نقدية، أحمد بن صالح الطامي، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها: السعودية، المجلد: ١٨، العدد: ٣٦، ٢٠٠٦، ص٣٩٩-٤٢٢، ورؤية المقالح النقدية فى مقدمات دواوين الشعر المعاصر، أحمد قاسم علي أسحم، مجلة الباحث الجامعي، جامعة إب: اليمن، العدد: ١٧، ٢٠٠٨، ص١٢٩-٥٠، وقضايا الشعر في مقدمات دواوين مدرسة الديوان، خالد طلعت عبد الفتاح الخولي، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا: مصر، العدد: ٢٦، المجلد: ١، ٢٠١٣، ص ٤٥٢-٥٧٣، ومصطلح الشعر في مقدمات دواوين عبد الرحمن شكري، محمد الصديق معوش، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة: الجزائر، العدد: ٢٥، ٢٠١٦، ص٢٢٥ – ٢٣٦، وعتبة النص: قراءة في مقدمات دواوين شعرية، ياسر جلال شعبان محمد، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط: مصر، العدد: ٣٧، المجلد: ٢، ٢٠١٨، ص٨٥٠ – ٩٠٣، ومقدمات الدواوين الشعرية بين السجال النقدي وخطاب التعاقد العاطفي، محمد بن عياد، مجلة آفاق أدبية، العدد: ١٠، ٢٠١٨، ص١٣-، مقاربة المصاحبات النصية في دواوين جيل التسعينيات الجزائري: الهوامش والمقدمات أنموذجا، مريم حكوم، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بو علي الشلف – مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب: الجزائر، المجلد: ٦، العدد: ٣، ٢٠٢٠، ٣٣٣-٣٤٦.

إن المقدّمات –على الرغم من انفصالها عن النصوص، واستقلالها بذواتها– قد بنت قوانينها وأسئلتها التي لا تخلو من خصوصية؛ بفعل قدرتها على أن تواري كثيراً من الخيوط الخفية التي تصلها بالنص، وكشفها عن جدلية الانفصال والاتصال، التي تشي بفعل المعاضدة الذي تنهض به، كما أنها، بحكم موقعها غالبا عقب العنوان مباشرة، تنتج خطاباً واصفاً لمتن النص، مبينة فيه طبيعة موضوعه، ومحددة مجاله المتحرك، وكاشفة عن دواعي الكاتب الذاتية والموضوعية لتأليفه، فضلاً عن الإشارة أحياناً إلى المنطلقات النظرية الموجهة لتصوراته وأحكامه، وإلى الضوابط المنهجية التي تتحكم بطرق عرضها وتحليلها والدفاع عنها، فاختيار موقع المقدمة، كما يقول جيرارد جينيت، " ليس اختيارا محايدا، لأن لكل من الزمان والمكان إلى جانب المقدمة دورا رئيسا في تحديد وظيفة هذه الخطابات "[1].

وتتضمن المقدمة هيكلاً مختصراً لأبرز مواد الكتاب، وأهم أبوابه، وفصوله، قصد وضع القارئ في مدار النص، وتهيئته نفسياً وذهنياً؛ لكي يكون جيد الفهم، وحسن التلقي، ومتقبلاً ما يرد عليه من موادها، وإيراد العناصر إيراداً متسلسلاً ومرتباً ترتيباً منطقياً يؤدي السابق فيه إلى اللاّحق؛ ويحيل المتأخر فيه إلى المتقدم، يظل محكوماً بتمثل المرسل لمتلق معين قد يكون واقعيا ومحددا، أو مفترضا ومتخيلاً يسعى إلى حثه وتوجيهه بطرق شتى لتبني مقولاته وإنجاز ما يهدف إليه، ونظرا لكون المقدمة مدخلاً يقدم الموضوع، ونصاً تمهيدياً، أو إعدادياً، وتفسيرياً يوضع في بداية المؤلف، " فلا يخرج عن كل ما يهيئ شخصا ما إلى معرفة أو ممارسة شيء ما"[2]

وقد عرف العصر الحديث أدباً ونقداً أنواعا من المقدمات التي يتم بها الاستفتاح، فهناك المقدمات الذاتية والمقدمات الغيرية والمقدمات المشتركة. فأما المقدمات الذاتية هي التي يكتبها الكاتب أو المبدع بنفسه؛ حيث يقدّم من خلالها رؤيته وبعض الإضاءات التي تنير سبيل المتلقي، فيحقق بهذا وظيفتين متلازمتين: وظيفةٌ تبليغية ووظيفة إنجازية

---

(١) مقاربة الخطاب المقدماتي الروائي (مقدمة حديث عيسى بن هشام ، وإنشاء الرواية العربية)،السعدية الشاذلي، سلسلة الأطروحات والرسائل رقم ٦، مطبعة المعارف الجديدة: الرباط، ١٩٩٨، ص٤٩.

(٢) عتبات الكتابة (مقاربة لميثاق المحكي العربي)، عبد النبي ذاكر، دار وليلي: المغرب، ، ط١، ١٩٩٨، ص٧٧.

لبعض الجوانب التي تنطوي عليها ذات المرسل[1]، أما المقدمات الغيرية فهي التي يكتبها الآخر وغالبا ما يكون شاعراً أو ناقداً أو باحثاً أودارساً. وأما المقدماتّ المشتركة فهي التي يشترك فيها الكاتب مع غيره، وغالبا ما يكون مجالها جنس الرواية. وهذه الأنواع الثلاثة من المقدمات التي تضطلع بفعل توجيه المتلقي ووسم المعاني وتأويلها، تفضي بدورها إلى ثلاث أنواع من المقدمات تعضد ما سبق، أولها: مقدمة تقريضية: تكون تبليغية وتوجيهية تتوخى توجيه القارئ، مع إعطائه حكما مسبقا على قراءته بحيث يحول هذا النوع من المقدمات إلى المعنى الذي قد يؤوله المتلقي منحازاً إلى الجهة التي يريدها المرسل، وهو النوع الذي يكتبه غالب الأحيان الناشر، أو من يأخذ دوره من الشعراء المناصرين للشاعر. وثانيها: مقدمة نقدية: تدخل في حوار مع المرسل. وتتشكل خطابا وصفيا تقويميا موضوعيا، وقراءة تحليلية تركيبية تمس الجوانب الدلالية والشكلية والفنية والمقصدية. وثالثا: مقدمة موازية للنص: تكون مستقلة ومباشرة وتوجه انتباه المتلقي للثيمات والأسئلة المطروحة، وهي نوع من أنواع المقدمات التي تمتلك الأدوات التي تقترب اقترابا مباشرا من المتلقي

ومن بين الوظائف التي تختص بها المقدمات على اختلاف صيغها وأنواعها[2]:

١-ضمان قراءة جيدة للنص، وهذه لا تتأتى إلا من خلال عمليتين متكاملتين، هما:

أ- الحصول على قراءة، ب - ضمان أن تكون تلك القراءة جيدة، والمقدّم سواء أكان صاحب العمل ذاته أو كاتبا آخر هو المعني الأول وربما الوحيد بتأمين تلك القراءة الجيدة لأن النص الذي لا يقرأ يتهدد بألا يصدر مرة أخرى.

٢-التنبيه والإخبار: إن المقدمة "خطاب موجه نحو النص والقارئ قصد بناء، أو تحديد نمط من القراءة المتوخاة، وهذه الوظيفة التوجيهية جزء من استراتيجية

---

(١)ينظر: مقاربة الخطاب المقدماتي الروائي (مقدمة حديث عيسى بن هشام، وإنشاء الرواية العربية)، السعدية الشاذلي، ص٤٩-٥٠.

(٢) ينظر: وظائف الخطاب التقديمي وأبعاده الدلالية في ديوان" الكتابة بالنار"، لعثمان لوصيف دراسة في المصاحب النصي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ب/قسم الآداب واللغات: الجزائر، العدد: ٢٠، جوان ٢٠١٨، ص ١٦-٢١. وعتبات النص البنية والدلالة، عبد الفتاح الحجمري، منشورات الرابطة، الدار البيضاء: المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص٤٣.

المقدم في تحديد علاقة القارئ بالنص"[1]، ويأخذ التنبيه والإخبار في المقدمة أشكالا عديدة، منها: أ-إخبار القارئ بطبيعةٌ الكتاب وظروف تحريره. ب-البوح بالقصد حين يؤول الكاتب نصه فيعلن عن نيته وقصده. ج- تنظيم القراءة وترتيبها وذلك بتفسير فهرس موضوعات الكتاب، وتفصيله وترتيب المواد التي يتناولها حتى تساعد القارئ.

٣- اختيار القارئ: إذ هناك بعض المقدمات التي تعيّن قراءها الذين ترغب بوصول النص إليهم، وفي الوقت نفسه تسعى إلى تجنب نوع من القراء لا ترغب بوصوله إليهم، إما بتعبير صريح أو ضمني، فكل كاتب يحمل فكرة محددة عن نوعين من القراء الذين يتوجه إليهم بكتابه[2].

كما واكب شعراء التفعيلة العرب حركة الحداثة الشعرية، إضافة إلى المقدمات التي تصدرت بها دواوينهم، ببيانات أدبية موجهة إلى القارئ كان هدفها الإفصاح عن نظريتهم الجديدة في مفهوم الشعر وماهيته، ووظيفته وهذا لأن النفوس التي ألفت الشعر القديم وتعودت على شكله التقليدي لم تتهيأ لاستقبالها؛ لذلك كان لابد لرواد الحداثة الشعرية من أن يضعوا بيانات أدبية يشرحون فيها الأسباب التي دفعت بهم إلى التجديد ويوضحون فيها تصورهم لمفهوم الشعر وطبيعته. وقد انمازت هذه البيانات بنصوصها النقدية التي تم صياغتها على وفق بنية تختلف عن غيرها، كما انمازت بصدورها عن شعراء نقاد يجمعون بين الإبداع الشعري والعمل النقدي.

ويأتي الاهتمام بالبيانات الشعرية لشعراء الحداثة كونها قادرة على فهم النص من الداخل، ومن ثم فهم النصوص المجاورة لها أو المتداخلة معها في علاقات كثيرة كالنص الشعري ممثلا بقصيدة التفعيلة، والنصوص النقدية الحداثية كغيرها من النصوص تطفح بدلالات تستفز القارئ، وتدفعه ليدخل في حوار معها محاولا اكتشافها. ولعل التماس القارئ في أن يبدأ بقراءة البيان الشعري قبل القصيدة، يأتي لتسليط الضوء على العتبات المحيطة بالنص، علها تنير دربه للوصول إلى عالم الحقيقة النصية.

---

(١) النص الموازي آفاق المعنى خارج النص، أحمد المنادي، مجلة علامات: السعودية، الجزء: ٦١، المجلد: ١٦، جمادي الاول ١٤٢٨ هـ، مايو ٢٠٠٧، ص١٤٥-١٤٤.

(٢) ينظر: شعرية النص الموازي، جميل حمداوي، الرباط: منشورات المعارف، الطبعة الأولى، ٢٠١٤، ص٦١.

فالاهتمام بدراسة البيان الشعري متأت من الاهتمام بدراسة النصوص التي تعطي الإطار الدلالي العام للخطاب، وتساعد على فهمه وقراءته، ولقد كانت هذه البيانات ترصد واقع الشعر العربي الحديث، مستشرفة الإمكانات المستقبلية، وكان هاجسها الوحيد حضور تشكل النص الشعري في سياق الشعر المعاصر، بالبحث عما يجعل من الشعر والكتابة في الثقافة العربية المعاصرة خطاباً حداثياً، وتبين ملامح النص الشعري الحديث. وتتجه محصّلات البيانات في ديباجاتها الدعائية إلى طرح ما له " اعتبار في بناء نص شعري معاصر، ومن ثم تهيئة هذا النص صوب وقع المتلقي كونه طرفا من نسق الحداثة الشعرية "[١]

والنص الموازي أو ما يسمى بخطاب العتبات واحد من هذه المتعاليات النصية. وقد ميز "جيرار جنيت" بين نوعين كبيرين من النصوص الموازية، هما: المصاحب النصي الداخلي والمحيط النصي الخارجي[٢]. ومن بين الأجناس الخطابية التي أغفلها جيرار جنيت على الرغم من أنها تحيط بالنص وتؤثر في تشكله وتلقيه، هي البيان بوصفه محيطا نصيا لم تتم مساءلته مساءلة كافية في نظرية الخطاب المعاصرة، بالرغم من كونه غالبا ما يقف خلفية صريحة أو ضمنية للإبداع، أو التلقي بطريقة تجعل منه مساهماً في إنتاج القيم الجمالية في علاقتها بالحياة والنصوص والتاريخ والأيديولوجية والمؤسسة. ولا شك أن هذا يقدم إغراء للباحث ليسأل فيه عن سر فعالية البيان بوصفه خطابا، وقدرته على التأثير في المتلقي بجعله يتفاعل مع صاحب البيان، وهل هذا راجع إلى لغة البيان التي غالبا ما تتسم بالثورية والانقلاب والمواجهة؟ أم إلى رغبة المتلقي

---

(١) فاعلية البيانات الشعرية في بناء حداثة الخطاب الشعري (بيان نازك الملائكة و أدونيس أنموذجا)، فريدة آيت حمدوش، مجلة أبحاث: الجزائر، العدد: ٦، ديسمبر ٢٠١٨، ص٢٦.

(٢) قسّم جينيت النص الموازي إلى قسمين: نص مواز داخلي، هو ملحقات نصية، وعتبات تتصل بالنص مباشرة، ويشمل كل ما ورد محيطا بالكتاب من الغلاف، والمؤلف، والعنوان، والإهداء، والمقتبسات، والمقدمات، والهوامش، وغير ذلك مما حلله جنيت في الأحد عشر فصلا الأول من كتابه (عتبات). ونص مواز خارجي، هو كل نص من غير النوع الأول مما يكون بينه وبين الكتاب بعد فضائي، وفي أحيان كثيرة زماني، ويحمل صبغة إعلامية مثل الاستجوابات والمذكرات والشهادات، والإعلانات، ويشمل الفصلين الأخيرين من كتاب جنيت السابق ذكره. ينظر: شعرية النص الموازي، جميل حمداوي، ص١٥-١٦.

في التخلص من نسق فكري سائد قاصر والانتقال إلى آخر جديد؟ أم أن هناك أسبابا أخرى تتعلق باستراتيجيته النصية، بعدّه جنسا خطابيا خاصا، يمكن لهذه الدراسة أن تزيل الستار عنه وتكشف النقاب؟

تدل صيغة البيان اللغوية على الطبيعة التبليغية لرسالته، فهو موجه إلى الآخر بقصد إشعاره بأن وضعا ما سيتغير، وأن وضعاً جديداً هو بصدد الحدوث. إنه المعادل اللغوي للفعل الإنساني، الصرخة الموازية للحركة. وإذا دققنا النظر في هذه البيانات يمكن أن نميز بين صيغتين عامتين للبيان بوصفه خطابا، هما: أ- بيانات لغوية صريحة بمقصدية أصلية واضحة؛ هي ذاتها مقصدية المرسل. ب-خطابات وأفعال لغوية أو غيرها، تحتوي على فعل البيان وتنزلق لأداء وظيفته(١). وهذا يعني أن البيان "عمل استراتيجي يشكل برنامج عمل للجهة التي تصدره، بوصفه الإطار النظري والإجرائي لسياستها (كل أنواع السياسات)؛ إنه نظرية في المجال الذي يصدر فيه"(٢)،

والملاحظة العامة التي تظهرها بيانات شعراء التفعيلة العرب، تتلخص في كونها حاملة تصورات شاملة قائمة على تعيين المسائل الجوهرية لا التفصيلية؛ وبالتالي فهي مشروعات مستقبلية، تمثل رؤية استشرافية، وإرادة في التخلص من نسق فكري إلى نسق آخر، والبيان مصاغ ليكون إشعارا بالتحول، وهو رسالة اتصال الهدف منها إقناع المتلقين بمضمونها، وتختلف البيانات تبعا لاختلاف المضامين التي تحملها والرسائل التي توجهها.

لقد انتقل مصطلح البيان من عالم السياسة والاقتصاد إلى المجال الأدبي، فأصبحت كلمة البيان تدل فيما تدل على " نص نقدي نظري فردي أو جماعي، ينجزه شاعر أو شعراء، أو كاتب أو كتاب، أو ناقد أو نقاد، في مفصل تاريخي ثقافي معين يدفعهم إلى ذلك نزوع إلى التجديد والحداثة والثورة على المألوف، وتجاوز الواقع الأدبي السائد. بحجة تآكله وترهله؛ وفقده لأسباب الحياة"(٣)، ويظهر البيان إرهاصاً بتجربة جديدة في الكتابة

---

(١) ينظر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، نبيل منصر، الدار البيضاء-المغرب: دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٨١.

(٢) زحام الخطابات، عبد الله العشي، تيزي وزو-الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص١٢.

(٣) مفهوم الشعر في بيانات الشعريين العرب المعاصرين، جميلة سيش مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، شعبة: الشعرية العربية، السنة الجامعية ٢٠٠٨-٢٠٠٩، ،ص١٣

الأدبية كما أنه يعبر عن لحظة انفجار فكرية ووجدانية مخزنة في الذات، تنبثق من بين أعطاف نسق ثقافي يبدو في نظر كاتب البيان نسقا قاصراً مترهلاً عاجزاً عن الفعل والفاعلية.

ويتميز البيان الأدبي بكونه إعلانا عن ميلاد فعل أدبي جديد، أو مدرسة أدبية جديدة، أو حركة نقدية جديدة، أو توجه أدبي جديد، كبيانات المدارس الأدبية وأهمها بيانات السريالية، وبيانات الشعراء والكتاب والنقاد، وغالبا ما يتضمن البيان الإشارة إلى التغيرات الحضارية التي تستوجب الانتقال إلى كتابة جديدة، كما تتضمن الخلفية الجمالية التي تعتمدها المدرسة أو التيار، وقد واكب الشعراء والنقاد حركة الشعر المعاصر ببيانات أدبية موجهة أساسا إلى قارئ، وكان هدفها الإفصاح عن نظريتهم الجديدة في مفهوم الشعر، وماهيته، ووظيفته. وقد كتب عدد من شعراء التفعيلة العرب بيانات من هذا النوع، ومعظمهم من الرواد، كنازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي.

وتُظهر صياغة البيان الشعري أن الثورية والحماسية صفتان غالبتان فيه، إذ ينضوي على لغة كثيفة معبرة، منتقاة انتقاء بارعا، كما أنها متلبسة بالمجاز والغموض والغريب والسحر، تلبسا تحاول فيه البيانات أن ترقى إلى لغة المقدس والسحري والعجيب؛ بغية التأثير المضاعف في المتلقي، وهي لغة تنبع من الداخل يمتزج فيها الروحي بالمادي، وتحمل مضامين غريبة يصعب فك رموزها بسهولة. إنها لغة تمتد بين المعقول واللامعقول؛ بين الجدية والعبث. كما أنها لغة متحررة من ضوابط التقاليد وقواعد الكتابة وأصول المخاطبة، وتبدو لغة تسعى إلى مغايرة الراهن ما أمكن، وزلزلة المسلمات والبديهيات وما اتفق عليه. ويبدو أن الغاية من وراء هذه السمات التي عرفت بها لغة الديوان، تكمن في هز قناعات المتلقي ومراوغته وتغيير ذوقه وكسب حساسيته. إنها لغة قائمة على التشظي والتفتيت وزرع الفوضى في النظام وخلخلة الأسس التي يقوم عليها الواقع الأدبي والوعي الأدبي، وهي لغة قائمة على الجمل القصيرة الموحية والمعبرة والمستفزة، لغة سريعة تسابق الوقت وتسعى إلى تجاوزه؛ لغة مدهشة تصدم أفق انتظار المتلقي.

ويدفع منطق الثورة- الذي يصدر عنه البيان- المرسل إلى توظيف كل آليات الخطاب المؤثرة فكرياً وبيانياً ووجدانياً، وربما جعل هذا الأمر البيان أكثر الخطابات

النقدية جرأة في الفكر وإبداعية في الأسلوب، وقوة في التأثير في المتلقي باستخدام التفتيت والهدم والاستفزاز والمراوغة[١]. ولكن البيان قد يتشكل بصفته حلما، وتعاليا، ورؤيا، ونبوءة، واستشرافا مغرقا في الصوفية والثورية؛ ولذا يأتي محملاً بشتى الدلالات والمعاني والمشاعر، ساعيا إلى أن يكون نصا شاملاً، ومطلقا يحتوي الأدبي والجمالي والثقافي والسياسي والحضاري معا. إن البيان الشعري لشعراء التفعيلة يغدو دليلاً على تغيرات متعددة في الذات والذائقة الأدبية، وفي مجمل الواقع الأدبي بكل مكوناته: المبدع، النص، المتلقي، والسياقات المختلفة.

أما التجارب الشعرية التي كتبها شعراء التفعيلة فقد كانت محاولات لقراءة الواقع الذي تتداخل فيه الذات مع الوقائع ، وقد انهمكت كتابة التجارب الشعرية ببناء مواقف شاعر التفعيلة وهواجسه، " وهذا ما جعله يبحث عن نسق خاص به، يعلن فيه القيم الجديدة المؤسسة للخطاب الشعري المعبر عن مشروع فكري، تضمن الإشارة إلى التحولات التي أصبحت الحركة الأدبية عرضة لها" [٢]، ولهذا فقد تحرت كتابة التجارب الشعرية المسار الإبداعي الفني والجمالي من الرؤية إلى الموضوع، مؤسسة شبكة علاقات بين ممكناتها ووحداتها، تأسيساً سعى فيه شعراء التفعيلة إلى استخدم كل إمكاناتهم من أجل أن يعبروا عن قدرتهم على الاستجابة لوسيلة الفهم التي تعدّ الوظيفة الأبرز لحركة اللغة في الاستخدام الشعري، وقد تم هذا بوساطة صنع الدلالة التي هي وسيط الإفهام بين المتكلم والسامع، على النحو الذي يقوم ببناء التجربة الشعرية وتشكيل فضاءاتها التي تتجسد عادة بين الموضوع والرؤية، وبعد ذلك تأتي المهمة النقدية التي يضطلع بها الشاعر في تفسير النص، وبحث معناه، وتخريج قواعده، من أجل استكمال شروط الفعالية القرائية التي لا قيمة للنص من دون حصولها، فالنص يكتب لكي يُقرأ على مستوى الفهم والمتعة والفائدة حين تتحول التجربة من تجربة ذاتية تخصّ الشاعر إلى تجربة موضوعية تخصّ جمهور القراء، حيث تتجلى فائدة الأدب والفن وقيمتهما بهذا التحول

---

(١) ينظر: زحام الخطابات، عبد الله العشي، ص١٣.

(٢) الرؤيا الشعرية في بيانات عبد الوهاب البياتي (تجربتي الشعرية أنموذجا)، بلخوخه عبد العزيز، رسالة لنيل شهادة الماجستير في نظرية الأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة أحمد بن بلة وهران: الجزائر، ٢٠١٥، ص٣.

من تجربة الذات إلى تجربة الموضوع، عن طريق الحمولات الدلالية والرمزية التي ينهض بها نص التجربة الشعرية فالأولوية لدى شعراء التفعيلة "لطريقة كيفية القول أكثر أهمية من الشيء المقول، ومهمة الشاعر اقتناص ما لايمكن اقتناصه"(١)، وإن خطاب التجربة الشعرية مستمد من تجربة الحياة، التي تنبع من خلال مجموعة العلاقات والمجموعات التركيبية التي تحمل معاني مختلفة تثير انفعالات مختلفة، سروراً وحزناً خوفاً وخشية أو اطمئناناً، بحسب نوع التجربة وطبيعتها وخصوصيتها على النحو الذي يؤسس بنيانها ويقيم هيكلها اعتماداً على الانفعال والعاطفة والتجربة النفسية، وهي تغذي العلاقات والتراكيب بالكثير من الدلالة والمعنى المكون للتجربة.

إن استراتيجيات خطاب التجارب الشعرية لدى شعراء التفعيلة، بما تحمله من قيمة نفسية وحَدْسية شاملة ومستقلة بذاتها، تتجلى على نحو عميق وشامل في اللغة الشعرية المعبرة عن جوهر هذه القيمة. وإذا كانت أصول المرجعيات فيما يتعلق بمعنى خطاب التجربة الشعرية هي الأساس الموضوعي الرافد لحركة قصيدة التفعيلة في تجلياتها الفنية والجمالية، فإن الذاكرة، التي ينطلق منها خطاب التجربة الشعرية بممكناته الاسترجاعية، تؤدي دورا رئيسا وجوهرياً في هذا المضمار على مستوى الاستعادة والتمثيل والفعل والإنجاز على صعيد الروح الجماعية بأبعادها الإنسانية الشاملة، فالتجربة الشعرية بوصفها تجربة فنية في عالم قائم بذاته، كما يقول مصطفى بدوي: "تمكّن الشاعر أو القارئ من التخلص من العوامل الشخصية، التي تحبسه في حدود ذاته الضيقة، بمشاركته بقدر أكبر في صفة الإنسانية العامة"(٢)، وقد واكب الشاعر المعاصر حركة الحداثة الشعرية بكتابة تجارب شعرية كان لها شأنها في تكوين أفق الحداثة الشعرية، خاصة في بلورة رؤيا شاملة لكثير من المفاهيم الشعرية التي مست بنية القصيدة العربية، في التوكيد على ولادة منظومة شعرية جديدة تمثل نقطة انطلاق للحداثة الشعرية التي تبرز المثل الأعلى الشعري والجمالي، لتكون التجربة الشعرية منعطفا مهما؛ لكون كتابتها وتوثيقها

---

(١) التجربة الشعرية الحديثة عند نازك الملائكة (ديوان شظايا ورماد أنموذجا)، سميرة بوكرمة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي، مسار :ادب عربي حديث، قسم اللغة والأدب العربي، كلية اللغات والآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي–أم البواقي– الجزائر، ٢٠١٢، ص٨.

(٢) دراسات في الشعر والمسرح، محمد مصطفى بدوي، القاهرة: دار المعرفة، ١٩٦٠، ص٦٤.

يعد من النصوص، التي يتم الرجوع إليها لما فيه من نزعات تجديدية، وقيم تعبيرية، ورؤيا حداثية تتخطى ما هو محدود. وعلى الرغم من أن التجربة الشعرية قد تبدو أحيانا تجربة غامضة لا يمكن بسهولة تحليلها، أو الكشف عنها؛ لأن مكانها الباطن الخفي، فإنها أقرب إلى الرؤيا لاشتراكهما في الباطن؛ فالشاعر يذهب إلى منطقة الانفعال اللامحدود؛ لإخراج الشعور والإحساس إلى شكل مادي مربوط باللغة الواقعية. إن التجربة الشعرية تعني كل فكرة عقلية أثرت في رؤية الإنسان للكون والكائنات، فضلاً عن الأحداث المعاينة التي قد تدفع الشاعر أو الفنان إلى التفكير، وبهذا المعنى فهي أكبر وجوداً وأوسع عالماً من الذوات، وإن كان محل عالمها الذات، فالتجربة الشعرية هي " الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصدرها الشاعر، حين فكر في أمر، من الأمور تفكيرا ينمّ عن عميق شعوره وإحساسه"(١)

ولقد حمل شعراء التفعيلة على عاتقهم هواجس التجديد في الشعر الحديث، وأسسوا للقصيدة الحداثية تنظيراً وإبداعاً، وقد تجلى هذا في (مقدمات الدواوين)، و(البيانات الشعرية)، و(التجارب الشعرية) تجلياً عكس الرؤية الشعرية عند الشعراء، الذين عدوا المقدمات والبيانات والتجارب عتبة للتنظير أو مشروعا له، كما كرّس للشاعر مشروعية ممارسة النقد، كما يظهر التمعن في الخطاب واستراتيجياته، كون هذا البيان الشعري أو التجربة أو المقدمة، تنظيرا للفعل الشعري بوصفه نصاً نقدياً صادراً من حقل تجريبي ذاتي لصناعة الخطاب الشعري.

(١) النقد الأدبي الحديث (مصادره الأولى تطور فلسفاته الجمالية ومذاهبه)، القاهرة: دار ومطابع الشعب، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤، ص٣٩٠.

المقـــــدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدِّمـــة:

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاةُ والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين صفوة الخلق مُحمّد ابن عبد الله وعلى أله الطيبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ورضي عن أصحابه الذين كانوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، والذين جاهدوا معه في الله حقّ جهاده وما بدّلوا تبديلا.

إن مقدمات دواوين شعراء التفعيلة(نازك الملائكة والسياب والبياتي) وبياناتهم الشعرية وصياغة تجاربهم الشعرية، تمثل مدونة ثرية؛ لما تحمله من مواضيع وسياقات متنوعة عبر فترات زمنية متعاقبة، فقد كُتِبَ لها أن تُقارب الأحداث والوقائع، وتتبوأ مكانة ذات أهمية خاصة في الأدب العربي المعاصر، بما لها من تأثير في الأوساط المتلقية، كما أن تقريب فهم دلالاتها واستيعابها يمكن أن يجعلها أداة فاعلة في تزويد المتلقي بعوامل التثقيف والتواصل بين الأجيال الشعرية التي سبقت شعر التفعيلة، والأجيالِ التي أعقبتها، إلى جانب دورها في استمالة المتلقين والتأثير فيهم وإقناعهم بمضمون الرسالة التي تسعى هذه المقدمات والبيانات والتجارب أن تصنع بوساطتها رؤية مؤطرة لحركة الحداثة الشعرية، وتقريب الأفكار إليها في النظرية والتطبيق.

لقد انجرّ عن المدونة التي اتخذتها هذه الدراسة مجالاً لها، أن تأخذ بأفئدة المتلقين وتعمل على تحريضهم أو حثهم على ضرورة الإيمان بالحداثة في الشعر، كما أوكل لها إقناع الجمهور بضرورة الثورة على الصيغ التقليدية القديمة على مستويي الشكل والموضوع.

وكغيرها من الخطابات الشعرية التي انتجتها الحداثة العربية في الشعر ، فقد أسهمت مقدمات الدواوين والبيانات والتجارب بطريقة أو بأخرى في بيان ، أو شرح، أو تأطير رؤية الشاعر خارج القصيدة، وإن كانت القصيدة محورها، وهي تبشير بقصيدة التفعيلة، أو دعوة للالتفات إليها، ليساهم كل هذا بتوجيه مشاعر الجمهور، وحضّه

على الثورة ضد الإتباع والتقليد، وما يمثلانه من جهل تخلف يراهما شعراء التفعيلة سائدين في المجتمع، فينهض الشاعر الحديث في المقدمة أو البيان أو التجربة الشعرية عبر خطابات لها استراتيجيات محددة، يسهم في تبيان مواقف ثقافية واجتماعية وسياسية، ويترجم مشاعر جمهور آلمته ظروف المعيشة وقتئذ، وجعلته يترقب تباشير النصر والانفراج، بالاستعانة بصياغات لغوية تتراوح بين السهولة والبساطة أحيانا، وبين القوة والإيحاء أحيانا أخرى، بحسب الظرف والسياق الذي أنتج فيه. ولكن اللغة تبقى هي السبيل لنظم هذا الخطاب المتعدد الاستراتيجيات، والوسيلة الفعّالة في عملية التأثير والإقناع، والهدف في نجاح عملية التواصل.

إنَّ هذه المفاهيم والمعطيات تبعث على الاهتمام بقراءة مقدمات دواوين شعراء التفعيلة، أو بياناتهم، أو تجاربهم قراءة جديدة تسعى إلى البحث عن مدى تحقيقها لعملية التواصل في الأوساط المتلقية، كما تعمد إلى تحليل الخطاب تحليلاً مغايراً يعمد إلى التعمق في دلالاتها، وكشف مقاصد الشاعر منها، وحقيقة الوظائف التي تؤديها اللغة فيها، وأهدافها التواصلية.

إنّ هذا النوع من النصوص التي يمكن أن يطلق عليها اسم عتبات نصية، جدير بدراسة شافية تعتمد نظريات تحليل الخطاب، وتعالج النصوص التي شكلت مادة الدراسة من خلال التركيز على بنية اللغة والوظائف الأساسية التي تؤديها فيه، بوصفها خطاباً لا يتجسد إلا عبر اللغة، وكونها عصباً حساساً في إحداث التواصل بين المخاطب والمتلقي.

وإلى جانب هدف الكشف عن وظائف اللغة في مقدمات الدواوين والبيانات الشعرية والتجارب، فقد حاولت الدراسة أن تحلل النصوص على وفق زاوية جديدة تتمثل في تحليل الوسائل والأدوات اللغوية التي يوظفها أصحابها –أي النصوص– لتحقيق التأثير في المتلقي وبيان تفاعله، من خلال الطرق والخطط التي يتبناها الشاعر في صنع خطابه عبر سلسلة من الإشكالات، أهمها كون أغلب هذه المقدمات أو البيانات أو التجارب الشعرية جاءت لتشرح طبيعة الحداثة في الشعر، وتستقصي حاجة العصر لها، أو تعرض لصور من الإتباع مبيّنة عجزه عن مجاراة الواقع المعيش، أو

توازن بين الحداثة والاتباع. والتحقق من تأثير الاستراتيجيات المتبلورة في الخطاب في فعل التلقي والتواصل، والكيفية التي تساهم بها اللغة والدلالة في تحقيق فعل التواصل، والوقوف على العلاقة بين الوظائف اللغوية والاستعمال، والتعرّف على الكفايات التي تساعد المرسل على تحقيق مقاصده في المقدمة أو البيان أو التجربة. واستقصاء أنواع المقاصد التي يجسدها المرسل عبر خطابه، ومدى تفاعل القارئ مع هذه المقاصد، وإضاءة دور السياق في هذا، وأثره في تحقيق فعل التواصل. إن الدراسة على وفق ما تم ذكره منهمكة بالتعرف على الوسائل والأدوات الإجرائية التي توخاها الشاعر في المقدمة أو البيان أو التجربة الشعرية، من أجل أن يحقق هدف الإقناع والتأثير في المتلقي والتواصل معه.

وللإجابة عن هذه الإشكاليات وغيرها، ارتأت الدراسة أن تناقش موضوع الاستراتيجيات الخطابية لما فيها من تجسيد واضح للغة، ووظائفها مع مراعاة المقاصد في الخطاب. وبما أننا نعيش في عالم يرتكز أساسا على اللغة في الخطاب المتعددة أجناسه، فإنّ الاستراتيجيات الخطابية تظل تتبوأ مكانة هامة، بوصفها طرائق توصل مقاصد المرسل، وتعينه على تحقيق فعل التأثير، وبها يتم انسجام الخطاب، مع تدخل عنصر السياق مهما كان نوعه.

وعلى الرغم من أن استراتيجيات الخطاب تختلف من مرسل إلى مرسل آخر، فإنه لا مندوحة من حضورها في إنتاج الخطاب. وتأسيسا على ما سبق فقد وجدت الدراسة أن الضرورة تحتم التطرق إلى استراتيجيات الخطاب، والكشف عن وسائلها وأدواتها الإجرائية بوصفها مادة معتمدة للتحليل، ولكونها تظهر مهارة المبدع اللغوية. ولهذا كانت التداولية موضوعا وهدفا من أهداف هذه الدراسة، كما كان ما سبق مسوّغا لصياغة عنوان الرسالة: " استراتيجيات الخطاب في مقدّمات دواوين شعراء التّفعيلة العراقيّين وبياناتهم وتجاربهم الشّعرية ".

لقد وقع اختيار الرسالة على مقدمات الدواوين، والبيانات الشعرية، والتجارب؛ لأنها من المواضيع التي لم تنل حظها من الدّراسة والتحليل، ولكونها ميدانا تتمثّل فيه مختلف الآليات والوسائل اللغوية، التي تجسد بدورها تلك الاستراتيجيات الخطابية التي

يُصنَّفٌ الخطاب على وفقها، الى جانب ذلك، فإن الدراسة تعمّدت أن يكون تحليل النصوص متعددا من المقدمات والبيانات والتجارب، من مختلف المدوّنات؛ لتكون أكثر ثراء من حيث التحليل، وأقرب الى تحصيل النتائج المعتبرة.

وعلى الرغم من أنّ استراتيجيات الخطاب متعددة، لا يتم حصرها بيسر، فقد حاولت الدراسة أن تعتمد التصنيف الذي تبناه عبد الهادي بن ظافر الشهري، وهو تصنيف عام أفرز من خلاله أربع استراتيجيات كبرى هي: الاستراتيجية التضامنية والتوجيهية و التلميحية و الحجاجية. وقد عمدت الدراسة إلى توظيف كل ما يحقق الهدف من الخطاب، كالتضامن، والتوجيه، والتأثير والإقناع...الخ.

واعتمدت الدراسة في تحليل نصوصها على المنهج التداولي في إنتاج الخطاب، بوصفه مستوى تصنيفيا إجرائيا في الدراسات اللغوية، لتتبع مسار اللغة في المقدمات والبيانات والتجارب، وتفحص مختلف الطرائق والاستراتيجيات التي يتوخاها المرسل لإيصال مقاصده وبلوغ أهدافه، بما فيها من وسائل لغوية وآليات بلاغية، يتجاوز دراسة المستوى الدلالي ويبحث في علاقة العلامات بمؤوليها ومقام استعمالها مما يبرز أهمية دراسة اللغة في الاستعمال ، إنه يهتم بدراسة مقاصد المرسل وكيفية تبليغها في مستوى دلالة المقول الحرفية أو غير الحرفية. ويُعنى المنهج التداولي أيضا بكيفية توظيف المرسل للغة في سياقات معيّنة حتى يجعل الاثنين متلائمين، من خلال ربط الإنجاز بمقاصد المتكلم، ومعتقداته، واهتماماته، ورغباته، والوقائع الخارجية، مثل زمن القول ومكانه ، والعلاقة بين طرفي الخطاب، وهي كلها عناصر تحدّد الدلالة عند المتلقي ليعتمد عليها في تأويل الخطاب. إنها أمور حاولت الدراسة الإفادة منها، والكشف عنها بوساطة عدد من النصوص المنضوية في المقدمات أو البيانات أو التجارب الشعرية، وفقا للمنهج التداولي الذي يتكفّل بمعرفة ماهية الخطاب في سياق معين.

ورصدت الدراسة لهذا التحليل بعض المعطيات السياقية السابقة، ودورها في انتقاء الاستراتيجية الخطابية الملائمة، ثمّ حددت هذه الاستراتيجيات وصنّفتها. وبعد هذا تم اعتمادها لمعرفة الأدوات اللغوية والآليات الخطابية، ليتم الانتقال عبرها إلى المعنى والمقاصد المتوخاة؛ سعيا للوقوف على النتائج التي ترتبت عن هذا، والأهداف

التي استطاع الخطاب عموما والمقدمات والبيانات والتجارب الشعرية خصوصا أن تحققها.

الموضوع وأسباب اختياره

إن للعناصر السياقيّة دوراً بارزاً في تحقيق أهداف الخطاب وقراءة مقاصده، متوسلة باستراتيجية مناسبة من استراتيجيات الخطاب التي تحتاج أطراً معينة لابد أن يستجيب لها المرسل، فالإقناع يحتم اختيار أدوات لغوية وآليات خطابية تتحقق بها الغايات المتوخاة، والسيطرة تنحو الى الاستفادة من أدوات تكفل تحقيقها. وتتمثل هذه العوامل بشتى ضروبها في شكل الخطاب وآلياته، وتصبح عنصراً فعّالاً في تحقيق الخطاب آثاره ونتائجه.

لقد نصّ أهم منظري الخطاب، أن الخطاب ثمرة اجتماع عناصر ثلاثة، هي: المرسل، والمرسل إليه، والسياق، وعبر هذا الاجتماع تبرز الأدوات اللغوية والآليات الخطابية المنتقاة، ومن خلال تتبع خصائص الخطاب التعبيرية يسهل تحديد الكيفية التي يتعامل بها المرسل مع ذاته، ومع المرسل إليه، هل حاول إعلاء مقامه أم النكوص به؟ هل حاول أن يجعله بعيدا عنه أو قريبا منه؟ هل حاول إقناع المرسل إليه أو فَرَض سلطته عليه؟ هل تنازل عن موقعه الاجتماعي أو الوظيفي تقديراً للمرسل إليه أم أنه مكث في عليائه؟ كل هذه الاعتبارات وغيرها تبيّن كيف يمكن للغة الخطاب أن تقود فاحصها إلى إجابات واضحة عن هذه التساؤلات.

ومن هنا فإن عنوان هذه الرسالة: استراتيجيات الخطاب لدى شعراء التفعيلة في العراق من خلال مقدمات دواوينهم وبيناتهم الشعرية وتجاربهم، يستجلي هذه الجوانب المهمة في بيان كيفية تحقق استراتيجيات الخطاب في المقدمات التي صاغها شعراء التفعيلة (الشعر الحر) وصدّروا بها دواوينهم الشعرية، أو بياناتهم، او ما أطلق عليه (التجارب الشعرية) في لحظة مهمة بشّر بها الشعراء المعنيون بولادة نصوص جديدة تفارق المتداول وتخرق الحدود والصياغات المبثوثة في المدونة الشعرية إبان تحرير هذه المقدمات أو البيانات أو التجارب الشعرية.

ومن أسباب اختيار الموضوع فضلاً عمّا ذُكِرَ آنفا، أن العنوان المقترح يسعى إلى الوقوف على الخطاب المبثوث في المقدمات والبيانات والتجارب الشعرية من خلال تبين الوظيفة التعاملية أو التفاعلية، للتعبير عن مقاصد معينة يسعى لها شعراء التفعيلة ليحققوا أهدافا محددة، إذ يبرز في الخطاب المذكور مقاصد كثيرة تظهر مباشرة في شكل الخطاب، وقد لا تظهر ظهوراً واضحاً بل تلميحياً لتصبح لغة الخطاب شكلاً دالاً يقود إلى مدلولات ثاوية خلفه من خلال المعطيات السياقية، والعلاقات التخاطبية، والافتراضات المسبقة التي يدركها المرسل وهو الشاعر في هذه الرسالة، أو يفترض وجودها، فيبني لغة خطابه عليها، كما يدركها المرسل إليه، ليستدل على المقاصد من خلالها.

وبما أن هذه الرسالة بوصفها قراءة نقدية يجب أن تختار نصها الملائم، فقد وقع العزم فيها على اختيار نصوص المقدمات والبيانات الشعرية وكتب التجارب، لتحاول الإجابة عن أسئلة لمّا تزل مطروحة في الساحة النقدية العربية والعراقية خصوصا لمعالجة مسألة ظهور شعر التفعيلة ودلالات حضوره بوصفه نصاً مفارقاً في البنية الفنية والاجتماعية، التي وقف عندهما شعراء التفعيلة محاججين وموجهين بالإقناع مرة وبالتلميح مرة أخرى ، كما أن تبيّنَ استراتيجيات الخطاب –التي اعتمدها شعراء التفعيلة– تمثل صياغة مشروع تطور الشعر الحديث، وترصد ملامح قصيدة التفعيلة وغايات حضورها وانتشارها في المدونة.

ولم يكن اختيار هذا الموضوع مصادفة، وإنما تقاسمه دافعان: دافع ذاتي، وآخر موضوعي، فأما الذاتي فراجع إلى ميل الباحثة إلى تقصي الخطاب بمفاهيمه التداولية المعاصرة، بأنساقه اللسانية المعروفة، وبخاصة إذا كان النص المنوي بحثه يقع في دائرة الشعر العراقي الحديث، حيث يمنح القارئ زاداً ممزوجاً بعصره وتراثه، وأما الموضوعي فهو محاولة إضافة متوخاة على سبيل تقصي خبايا النص الحداثي (شعر التفعيلة)، وإماطة اللثام عن بعض استراتيجيات خطاب شعرائه في بحث علمي أكاديمي.

الدراسات السابقة وحدود هذه الدراسة

لم تقم حتى اليوم دراسة استراتيجيات الخطاب في مقدمات دواوين شعراء التفعيلة العراقيين او في بياناتهم او فيما بثّوه في تجاربهم الشعرية، على حد علم الباحثة، وكانت الوجهة صوب الدراسات المعاصرة لعلها توفر ما يروي الغليل ويطفئ الظمأ، إذ تنطلق غاية هذه الدراسة من بحث السياقات الكثيرة التي قادت الى ظهور شعر التفعيلة، لتتطلب خطابات متنوعة صاغها الشعراء أنفسهم قبل أن ينجزها النقاد، وكان القصد منها بلوغ أهداف المرسل إليهم المتباينة، عبر استراتيجيات متنوعة. لقد عكفت هذه الدراسة على الكشف عنها، ومعرفة الكيفية التي تم بها تطويعها واستعمالها، وتطوير ذوات الناس التخاطبية بما يواكب متطلبات السياق، وما يكفل التكيّف مع تقلباته، فللخطاب – كما ينص منظّروه – دور واضح في تقريب وجهات النظر، وإيضاح الحقائق وقدرة المرسل على توجيه المرسل إليه صوب الوجهة التي يروم شاعر التفعيلة تحقيقها.

لقد كمنت حدود هذه الدراسة في الوقوف على توظيف الاستراتيجيات في خطابات الشاعر الحديث، ليس في نصوصه الشعرية، بل في مقدمات دواوينه أو بيان تجربته الشعرية أو البيانات الشعرية المبثوثة في بطون الصحف والمجلات الثقافية التي توجه إليها الشاعر ليكتب خطابه الخاص بشعر التفعيلة.

وهذه الدراسة تعي في حدود فهمها أن للاستراتيجيات في الخطاب مكانة مهمّة، فهي طرائق توصّل المقاصد وتعين على إدارة دفة التخاطب، وبها يكمن التوافق مع سياق الخطاب أياً كان نوعه، سواء كان سياقاً عاماً أم سياقاً خاصاً. إذ تختلف الاستراتيجيات من مرسل إلى مرسل آخر. ويظلّ إنتاج الخطاب وفقاً لها أمراً ضرورياً، خصوصاً في عصرنا الحاضر؛ وعليه فإن من المهم الكشف عنها، وإنزالها منزلتها، ولفت الانتباه إلى قدراتها الكامنة التي تتجلّى من خلال مهارة المرسل وكفاءته التداولية.

ولهذا، تُعنَى استراتيجيات الخطاب بدراسة اللغة في الاستعمال، مما يتطلب منهجاً يعتدّ بالسياق الذي تستعمل فيه، وبيان أثره في بنية الخطاب ومعناه، وهذا ما يوفّره ما

عرف في المناهج اللغوية الحديثة بـ (المنهج التداولي)، كونه يتأسس على مفاهيم عديدة تؤلّف فيما بينها محاوره التي يتشكّل منها وأطره العامة التي توضّح معالمه.

إن استراتيجيات الخطاب في مقدمات دواوين شعراء التفعيلة، لم تلقَ العناية، ولم تحظ بدراسة مستقلة تبرز خصائصها، وتظهر دقائقها في الدراسات المعاصرة. ويعدّ هذا القصور العام حافزاً على المبادرة إلى دراسة استراتيجيات الخطاب في ضوء المنهج التداولي، على اختلاف محاوره، محاولة لسدّ هذا الفراغ بدراسة خاصة تتجلّى من خلالها أبعادها وتدرك آثارها، وذلك باستثمار ما يتصل بالمنهج التداولي وتوظيفه، بغية الوصول إلى تبويب واضح من خلال الطرح النظري المؤسس على شواهد وأمثلة متفرقة، دون أن تخضع الدراسة إلى قيد معين، ودون أن تحصر ذاتها ضمن إطار جزئي بعينه أو تنكفئ على نفسها وفق رؤية باحث ما، ويمكن ذلك من خلال توظيف كل ما يكون صالحاً لخدمة هدف البحث في هذا الإطار.

وتمّ توزيع الدراسة على أربعة فصول، يشتمل كل فصل فيها على ثلاثة مباحث. ناقشت الدراسة في الفصل الأول بعض القضايا المتعلقة بماهية المقدمات أو البيانات أو التجارب ودورها في صياغة الخطاب وعلاقتها باستراتيجياته. وتم في الفصل الأوّل النظر في ماهية الاستراتيجية الخطابية وكفاءات المرسل فيها، إلى جانب معالجة مسألة المقاصد، وقد تم التعرض إلى مفهوم الاستراتيجيات، وأنواعها وعلاقتها بالخطاب، وكان المبحث الأول مهتما باستجلاء خصائص الخطاب، وسبل تحققها، وقد حاول المبحث الثاني أن يكشف عن سمات الاستراتيجيات ووظائفها في الخطاب، وسعى المبحث الثالث إلى توضيح السبل التي تموضعت فيها المقدّمات والبيانات والتّجارب الشّعرية في الخطاب، وأهميتها، وموقعها، وتمثّلها في استراتيجياته.

أمّا الفصل الثاني فخصّص للحديث عن مواضعات الاستراتيجية التّوجيهية ومنزلتها في الخطاب وعلاقتها باستراتيجيّاته، كما حاول أن يتبيّن أثرها في العملية التواصلية، من خلال ثلاثة مباحث تطرقت الدراسة فيها إلى دراسة الوضعية التواصلية واستراتيجية التضامن عموما، وفي المقدمات والبيانات والتجارب الشعرية خصوصا. وجاء المبحث الأول ليكشف عن العوامل المؤثرة في اختيار الاستراتيجية التوجيهية،

في حين دار المبحث الثاني على آليات المرسل ومقاصده وعلاقته بالمرسل إليه في ضوء الاستراتيجية التوجيهية، أما المبحث الثالث فقد كان هدفه منصبا على التماس الأساليب اللغوية وغير اللغوية التي يتم استعمالها في الاستراتيجية التوجيهية، وكيفية تجلي وسائل التوجيه فيها.

وكان للفصل الثالث مهمّة الإفصاح عن آليات الاستراتيجية التضامنية ومسوّغات حضورها في الخطاب، وقد خصّص المبحث الأول للتعريف بمسوّغات التضامن وعلاقته باستراتيجيات الخطاب، وتعرّض المبحث الثاني لقواعد الاستراتيجية التضامنية والعناصر المتحكمة فيها، وأخذ المبحث الثالث على عاتقه الكشف عن مكوّنات الاستراتيجية التضامنية، اللغوية وغيرها، بحثا عن مختلف الأدوات اللغوية، والآليات البلاغية التي جسدتها الاستراتيجية، مع إبراز ما لها من دور في التأثير في المتلقي.

وقد سعى الفصل الرابع إلى تقصّي بنية الاستراتيجية الإقناعية وتشكّلها في الخطاب، وبيان علاقتها باستراتيجيات الخطاب، وفعل الحجاج ودوره في عملية الإقناع من خلال عرض بعض الأدوات اللغوية في هذه الاستراتيجية، فضلاً عن محاولة الوقوف على الكيفية التي وظف بها الشاعر فئة من الروابط الحجاجية في مقدمة الديوان أو البيان الشعري، أو التجربة؛ يسهم في إبراز الحجة وتحقيق فعل الإقناع اعتمادا على ما يدعى بالسلم الحجاجي. وتم في المبحث الأول تعريف بأصناف الإقناع، وفي المبحث الثاني تبيين لأدوات الاستراتيجية الإقناعية وعلاماتها، وفي المبحث الثالث كشف لمندرجات خطاب الاستراتيجية الاقناعية في النص وخارجه، كما ظهر في مقدمات دواوين شعراء التفعيلة وبياناتهم الشعرية وتجاربهم.

وقد انتهت الدراسة بخاتمة أبرزت فيها مختلف النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

أمّا عن أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في إنجاز هذا العمل فنذكر: كتاب استراتيجيات الخطاب: مقاربة تداولية "لعبد الهادي بن ظافر الشهري" الذي كان لنا المنطلق الأساس في تصنيف الاستراتيجيات الخطابية والمرجع القاعدي الذي أنار لنا معالم الخطة التي بنيت عليها الدراسة، وكتاب طه عبد الرحمن (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي)، الذي مهّد للدراسة طريق الكشف عن مبدأ التصديق التداولي في

ذ

مقدمات الدواوين أو البيانات أو التجارب، وقد تمّ في الدراسة تبني بعض أفكاره النظرية في قوانين الخطاب والحجاج، كما اعتمدت الدراسة على كتب تداوليين غربيين مثل مانغنو في معجم تحليل الخطاب، آن روبول وجاك موشلار، خاصة كتابهما (التداولية اليوم؛ علم جديد في التواصل)، وغيرها، وهي مصادر كان لها الفضل في توضيح معالم الاستراتيجيات اللغوية والخطابية.

ووعيا بحدود البحث، فقد حملت أسباب تداولية على إقصاء الاستراتيجية التلميحية من خطة الدراسة، منها أن خطابات شعراء التفعيلة العراقيين انطوت على التمرد والرفض، وسعت إلى المواجهة والتغيير، فكان المرسل فيها يتخذ من طريق التصريح المباشر والدلالة الظاهرة سبيلاً لصياغة خطابه، وهذا ما يناقض الاستراتيجية التلميحية، التي يتخذ فيها المرسل سبلاً دلالية غير مباشرة كـ (التضمين والاقتضاء) لصياغة خطابه، الذي يحتاج المرسل إليه فيه إلى إعمال آليات يحتاج فهمها إلى الانتقال من المعنى الحرفي للخطاب إلى المعنى المضمر، الذي يدلّ عليه السياق العام، في حين أن المرسل إليه مطلوب منه، على وفق خطاب شعراء التفعيلة العراقيين، أن ينجز الأقوال بسهولة وسرعة، استجابة لمتطلبات الثورة والتغيير. لقد كان شعراء التفعيلة محتاجين إلى التوجيه والتضامن والإقناع، على وفق انعدام السلطة والتفوق بينهم بوصفهم مرسلين، والمرسل إليهم، وهذا مخالف لما يظهر في الاستراتيجية التلميحية من الرغبة في إظهار التفوق والاستعلاء، أو سلوك طريق التّقية بإضمار الدلالة.

ولقد اعترضت سبيل الدراسة بعض العراقيل، منها ندرة المراجع التي تناولت موضوع استراتيجيات الخطاب في مقدمات الدواوين والبيانات الشعرية والتجارب التي عبر فيها شعراء التفعيلة عن توجهاتهم، إذ لم يسبق هذه الدراسة دراسة مستقلة في المادة التي عنيت بها، وندرة المراجع العربية في المنهج التداولي بشكل عام؛ إذ إن كثيراً من الدراسات التي دارت حول الموضوع كانت في المصادر الأجنبية.

ومع كل ما تقدم؛ فإن الدراسة تأمل أن تكون قد حققت ما تصبو إليه في إنجاز هذا البحث، ومنها النظر في المقدمات والبيانات والتجارب من خلال تحليل بنيتها

اللغوية، والكشف عن مقاصد شعراء التفعيلة العراقيين فيها من خلال استراتيجيات الخطاب، وتقريب المتلقي من اللغة.

ويطيب للباحثة أن تشكر الله تعالى الذي منّ عليها بفضله، فتتقدم بوافر الشكر إلى أستاذها المشرف: أ.د. خالد محمد صالح لقبوله الإشراف على الرسالة ومتابعتها والأخذ بيدها، وكان لإرشاداته وتوجيهاته السديدة أكبر الأثر في إنجازها. والشكر إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية، وكل من مدّ لي يد العون في إنجاز هذه الرسالة، وأتقدم بجزيل الشكر إلى لجنة المناقشة الكريمة لقبولها مناقشة هذه الرسالة وستكون لملاحظاتهم السديدة أكبر الأثر في أنضاج الدراسة، واستوائها على عودها، وأثرائها بآرائهم الصائبة.

وختاماً...

ترجو الباحثة أنْ تكون قد وفّقت في أضافة شيء يسير للمكتبة العربية والعراقية خصوصا، هذه كانت غايتها التي سعت إليها ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩) وإلّا فترجو ألا تحرم أجر المجتهدة المخطئة، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين على ما منح وما منع.